

هدية متواضعة

إلى القارئات والقراء العرب
في كل مكان

بعض ما كتبت

في العلم والأدب والتأديب

حسن عبدالقادر يحيى

*Min Ajmal Ma Katabt
Fil Ilm wal Adab wal Ta'deeb*

Hasan A. Yahya

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

@Hadi Hasan Yahya 2013

ضمن مشروع إحياء التراث العربي في المهجر
بالتعاون بين الموسوعة العربية الأمريكية ودار الكاتب العربي للنشر في المهجر
ومطابع القدس – الولايات المتحدة



Sponsored by

Arab American Encyclopedia – AAE, and the Arab Writer Publishing
House in Diaspora – USA, serving Ihyaa al Turath al Arabi fil Mahjar
Project and Jerusalem Printers

Book's Name

من أجمل ما كتبت
في العلم والأدب والتأديب

ISBN

ISBN

Manufactured in the United State of America

من أجمل ما كتبت

المحتوى Content

لوذهبت إلى أي صفحة ستجد موضوعا يهمك

المقالات مختارة حسب الموضوع تغطي المجالات التالية

لقاءات صحفية تربية تعليم
علم النفس منطق وفلسفة
علم الاجتماع أدب ولغة
عقيدة وأديان
فن وموسيقى
سياسة وحضارات
بعض الأشعار بالعربية
بعض الأشعار بالإنجليزية

منشورات الدكتور يحيى – الموسوعة العربية الأمريكية

لقاءات صحافية

لقاء صحفي

مع المفكر وعالم الاجتماع العربي الأمريكي
الدكتور حسن عبد القادر يحيى *

INTERVIEW WITH DR. HASAN YAHYA

س. ما هي حصيلة مشوارك الإبداعي ؟
ج. حصلت على ما يمكن أن يقال عنه بأنه أعلى الشهادات في سلم التحصيل العلمي وهي شهادة الدكتوراة العالمية. وعادة تأتي الدكتوراة بعد الماجستير واليكالوريوس والمدرسة بمرآلها الثلاث الثانوية والإعدادية والابتدائية . على مستوى الإبداع الأسري فلي ثلاثة أبناء وبنات واحدة .

س. ما هي أعمالك التي تعتر بها ، في مجال التدريس أو الكتابة الإبداعية ؟
ج. الأعمال كالأبناء كلها عزيزة على النفس ، وإن كنت أفضل النظرية التي توصلت إليها خلال أبحاثي عن التعايش السلمي في الأسرة والمجتمع ، وهي النظرية الهلالية نظرية سي أو جيم التي تحولت إلى علم جديد تحت عنوان الهلالية (Crescentology) وهي فكرة جديدة وقد تم تطبيقها في المجالات التربوية عند الشعوب ومن المتوقع أن يفود تطبيق النظرية البشرية إلى تعايش دائم وتفاهم معرفي خال من المشاكل فيما بينهم . والنظرية تتطلع إلى عالم قريب الشبه بفكرة المدينة الفاضلة للفارابي وفكرة الجمهورية لأفلاطون ، وفكرة أتلاتنس الجديدة لبيكون ومدينة الشمس لكامبانيا ، ولكن الفرق بين عالم النظرية الهلالية وبين غيرها أنها ممكنة التطبيق في الواقع .

س. ماذا تعني بأنها ممكنة التطبيق ؟
ج. أعني أن الأعمال الأخرى التي ذكرتها كانت خيالية مثالية في خيال كتابها ، أما النظرية الهلالية فإنها ستساهم في فض الخلافات بين الناس عند تغيير مناهج التدريس شكلا ومحتوى ، مثلا سنقل من الطلاق في المجتمعات ، وستقل المنازعات والانحرافات الاجتماعية كما أنها ستكون مبنية على فرضيات التفاهم واحترام الرأي الآخر من خلال المعرفة الصحيحة المتبادلة بين الناس التي ستؤدي إلى تقدير الآخرين ومن ثم قبولهم باختلاف أدواقهم وأفكارهم

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

، فلا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى ، والله خلق الخلق وهم مختلفون ليتعارفوا ويعيشوا حياتهم القصيرة فيها بسلام وعمل جدي . كما أن النظرية تعتمد على عدم التعصب للجنس أو العرق أو الأصل أو التراث أو الدين . والنظرية تبقى نظرية ما لم يتم تطبيقها والسير بموجب فرضياتها وتغيير ما في النفوس حتى يغير الله ما بالأقوام من كراهية وتعصب وبغضاء .

س. د. حسن ! أنت تعلم أن الإنسان لا يخلو من المتاعب إذا أراد الوصول إلى القمة في الإبداع ، فهل هناك من صعوبات اعترضت طريقك أو واجهتك في مشوارك الإبداعي ؟
ج. أوافقك الرأي ، فالإبداع لا يأتي من فراغ كما أنه لا يأتي على صحن من ذهب ، ولكنه يحتاج إلى عمل مستمر ومعاناة من أجل تحقيق الأهداف ، وأصدقك القول بأن زيادة المشاكل في حياة الإنسان تجعله خبيرا في حلها . فإذا كانت الأهداف محددة فإن العمل على حلها والحاجة إلى التخلص منها تدفع الإنسان إلى الإبداع ، وقديما قالوا: إن الحاجة هي أم الاختراع . وفي حياتي الكثير من المصاعب والمشاكل التي اعترضت سبيلي ولكن الهدف لم يغب عن ناظري مهما كانت الصعوبات . ولسفتي في الحياة أنه لا توجد مشكلة إلا ولها أكثر من حل واحد . وعادة ما يكون التذرع بالصبر أحدها ، فالصبر يحل مشاكل كثيرة ، فلو صبر الزوج على زوجته لما طلقها ، ولو صبرت الزوجة على الزوج قبل أن تسأله أين قضى يومه ، لقال لها الزوج ذلك بعد دقيقة . فالصبر بحد ذاته حل لكثير من المشاكل الأسرية والاجتماعية .

س. هل ترى تعارضا بين عمك وبين حياتك الزوجية ؟
ج. لا بالطبع ، فكلا من العمل والحياة الزوجية له نكهته وله واجباته ، وله مسؤولياته ، ولا تعارض بينهما إذا أحسن التخطيط لهما ، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر . وكانت زوجتي عوناً لي في دراستي وفي عملي ، وهي تقدر عملي وتناقشني فيه وكثيراً ما نتحدث في أمور المنزل أو أمور العمل ، ولا أرى غضاظة في تبادل الأفكار بين الزوج والزوجة ، أو بين الزوجة والأبناء .

س. ما موقف أبنائك حين يرون ما حققته من إبداعات في الكتابة والتأليف ؟ أي هل كنت لهم نموذجاً للتحصيل العلمي مثلاً؟
ج. هناك ما يسمى في علم الاجتماع "الاختلاف بين الأجيال" وفي حالتي كان والدي أميين تعلموا القراءة والكتابة من خلال ما حفظا من القرآن الكريم . وبالنسبة لي فقد حصلت على أعلى درجات العلم ، أما بالنسبة لأولادي فقد كان الحال مختلفاً إذ لم يحاول أحد منهم أن يحصل على الدكتوراة مثلاً . ولكنهم يشعرون بالفخر والاعتزاز بما حصلته وهم يعتبرون نجاحي نجاحاً لهم . فهم يعاملونني كصديق ولا ينسون احترامي كأب .

س. كما نعلم تمر الكتابة عادة بمراحل فهل هناك شروط تراها للكتابة الإبداعية ؟
الإبداع يحتاج تفاعلاً مع قضية اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية ، كما يحتاج إلى معلومات تتصل بالموضوع مما يستدعي البحث والتقصي ، بالإضافة إلى توكي الصدق في نقل المعلومات ، وذلك يستدعي وقتاً ، والإبداع يحتاج وقتاً وتخطيطاً لتحقيقه . والكتابة تحتاج جلدًا وصبراً ومثابرة وكلها صفات إتقانها ينمو مع الأيام .

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

س. د. حسن ! ما أهم إبداعاتك ونشاطاتك الكتابية ؟

اهتمامي ينصب في قضايا الإنسان في كل مكان وخاصة في العالمين العربي والإسلامي ، ومركز الإنسان العربي في الحضارة العالمية وتداخلاته مع الحضارة العالمية والعولمة ، لذا فإن مقالتي وكتاباتي عادة ما تكون حول العولمة والثقافة والأخلاق والتراث والتربية والإدارة والحضارات ، وأثار ذلك على الإنسان العربي والمرأة العربية وسلوكهما وأدوارهما المتغيرة في المجتمع الحديث .

س. كيف تستطيع الموازنة بين عمك الرسمي كأستاذ في الجامعة وبين نشاطاتك الأخرى مثل كتابة المقالات والظهور في المحاضرات أو المقابلات التلفزيونية ؟
ج. التخطيط ثم التخطيط ثم التخطيط ، والتقيد بالنظام الذي أرسمه . فلكل نشاط متسع في برنامجي ، وكل شيء يسير على ما يرام . وأستطيع القول أن لكل شيء نظام يجب أن يحترم.

س. هل تعتقد أن الإبداع موهبة تولد مع الإنسان أم تكتسب من خلال البيئة الاجتماعية والخبرة العملية؟
ج. أعتقد أن الفطرة تتكامل مع الخبرة العملية من خلال بيئة الفرد الاجتماعية . لذا أعتقد بل أؤيد أن لكل جانب نصيب ولكني لا أعرف بالضبط مدى تأثير كل منهما على الإنسان ، وإن كنت أعتقد أن تأثير التجربة الإنسانية بعد الولادة أكبر من التأثير البيولوجي على السلوك الإنساني .

س. ما أحب الألوان إليك ؟ ولماذا ؟
ج. في الحقيقة أحب أكثر من لون ، فأنا أحب اللون الأزرق لأنه لون السماء التي لا حدود لها وانعكاسها على البحر الواسع . وأحب اللون الأخضر لأنه يدل على الحياة المتجددة والعتاء الوافر والخير للبشر . وأحب اللون الأسود لأنه يدل على الهدوء والحزن والليل والموت .

س. هل من نصيحة تقولها لأفراد الأسرة في المجتمع العربي بخصوص الإبداع والتفكير الإبداعي؟

التواصل والحديث بين أفراد الأسرة من أهم القنوات التي توثق عرى المحبة بينهم فليحرصوا عليها . وعلى الآباء والأمهات أن يجدوا الوقت الكافي للإصغاء لأبنائهم وبناتهم ، وأن يتواصلوا معهم وأن يفهموا التغيرات العصرية التي يجهلها الوالدين ولا يهتمون بها وتكون ذات اهتمام عند الأبناء والبنات من الأجيال الجديدة . وأن يحملوهم المسؤولية ويساعدوهم على اتخاذ القرارات التي تهتم بحياتهم بحرية ودون قهر ودكتاتورية . وعليهم عدم الركون إلى الإشاعات والتأكد من صحة المعلومات قبل أن يحكموا على تصرفات وسلوكيات الأبناء والبنات .

بالنسبة للأبناء والبنات أقول: ليس كل ما يلعب ذهابا ، فليستعملوا عقولهم أكثر من عواطفهم . وليعلموا أن والديهم يكونون لهم حبا كبيرا وإن لم يظهروا ، وللامهات أقول: تعلمي من ابنتك أو ابنك ، مهما كانت أفكارهم سخيفة من وجهة نظرك ، وناقشيهما فيما يقولون دون أن

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

تفرضي رأيك عليهم . وللآباء أقول: اقتطعوا وقتاً لقضائه مع الأسرة والأبناء والبنات فالعمل لا ينتهي ، وكونوا مصغيين جيدين لما يقوله الأبناء فمن أفكارهم نتعلم كيف نعاملهم . وكن صديقاً لأبنائك .

س. هل هناك بيت شعر أو مقولة تؤمن بها وتدفعك للإبداع ؟
ج. أما بيت الشعر فهو الحقيقة التاريخية التي تتعاقب سواء كنا سعداء أو أشقياء وهو : ثلاثة أيام هي الدهر كله وما هن إلا الأمس واليوم والغد ، وقول المتنبي وما من شدة إلا سيأتي من بعد شدتها رخاء ، وأما المقولة فهي عن النبي صلى الله عليه وسلم : اطلبوا العلم ولو في الصين .

س. إذا خيرت بالعيش في جزيرة معزولة فماذا تحب أن تأخذ معك من الكتب؟ سم كتاباً أو كتابين .

ج. القرآن الكريم أفضل رفيق ، فهو خير رفيق لكل عاقل . فإذا خيرت بكتاب آخر فهو كتاب مقدمة ابن خلدون في التاريخ أو كتاب حي بن يقظان لابن طفيل . فالكتاب الأول يبني الإيمان والأخلاق وكل من الثاني والثالث يبني التأمل في خلق الله من الأمم والبشر . واليوم نظراً لما يحتويه الكمبيوتر من معلومات حول الكتب الثلاثة . لذا فإني سأختار الكمبيوتر لبناء العلاقات والتواصل مع البشر عن طريق الإيميل .
س. ما انطباعاتك عن المرأة القطرية؟

ج. المرأة العربية ذكية ولها عزيمة الرجال في سعيها الحثيث لتحقيق الهدف . وأكثر ما شد انتباهي وما أعجبني في الحقيقة هو تصميم المرأة العربية على النجاح والإبداع فيما تسعى إليه . فهي مؤدبة وخلوقة ودؤوبة على العمل لتحقيق ما تصبو إليه . وتهتم بالتراث وتعتر به وتحترم الآخرين .

س. ما أثر الكمبيوتر وعصر المعلومات على الأسرة حسب رأيك؟
ج. أعتقد أن له آثاراً كثيرة ، ولكن الآثار الإيجابية ستكون أكثر من الآثار السلبية ، حيث سيفتح الكمبيوتر أفقاً جديدة لأفراد الأسرة لتبادل المعلومات والتواصل فيما بينهم . وأعتقد أن الآباء سيقضون وقتاً أكثر مع أفراد الأسرة خاصة وأنهم سيتمكنون من التواصل مع الآخرين عبر الكمبيوتر والإنترنت ، وهذا عامل إيجابي لزيادة التفاهم بين أفراد الأسرة .

أجرتها جريدة عربية

تربية وتعليم

هموم المدرسين في عصر متغير

د. حسن عبد القادر يحيى

جامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

CONCERNS IN A CHANGING AGE' TEACHERS HASAN YAHYA, PH.D

أثبتت الدراسات مؤخرا أن من أهم الصفات التي يتصف بها المدرسون والمدرسات هي أنهم أطول عمرا ممن يعملون في أي مهنة أخرى . جاء ذلك في مجلة "السكان" الصادرة في الولايات المتحدة . وقد استمرت تلك الدراسة أكثر من خمسين عاما ، حيث بدأ الإعداد لها في عام 1940 وشملت 16 دولة غربية صناعية بالإضافة إلى اليابان . فهل تعتبر هذه ظاهرة إيجابية أم سلبية للمدرسين والمدرسات؟ ولا أعتقد أن نفس النتائج ستظهر ، لو نفذت الدراسة في العالم العربي حول طول عمر المدرسين ، أو حول الأسباب التي تطيل أعمارهم . ولكن طول عمر المدرسين لا يقدم أو يؤخر في العملية التعليمية ، لأن عملية التربية والتعليم عملية متشعبة يشارك فيها المدرس والمدير والموجه والمنهاج والبيئة المدرسية وأولياء التلاميذ وإدارات الدولة . وتشابك نوعية هؤلاء مع المدرس قد تقصر أو تطيل عمره . فمن هو المسؤول عن فشل العملية التربوية ؟ هل هو المدرس أم المدير؟ هل هو الموجه التربوي أم الوزير ؟ هل هي الوزارة أم المجتمع ؟ هل هو المنهاج أم الطالبة والطالب؟ وهل وهل

قال لي مدرس : إن المدير يعيش في عالم بعيد جدا عن عالم المدرسين ، فهو يأمر ويراقب وينتقد ويفصل ويتحكم في المدرسة كما يشاء ، وأهمها أنه لا يعامل المدرسين كبشر لهم عقول أو ضمائر . وقال لي مدير: المدرسون لا يفقهون شيئا من أعمالنا وهم كسالى يحتاجون مراقبة أنية للحفاظ على سير العملية التربوية . وهم قليلو حيلة لا يعملون إلا ما يطلب منهم ، وهم تابعون غير مجددين في طرق تدريسهم البالية . وقال لي موجه تربوي: المدرسون مسحوقون بالعمل اليومي في التدريس وهم موظفون ينتظرون معاشهم في نهاية الشهر ، وهم لا يهتمون بنفسية الطلاب ولا بأوامر المدير أو الموجه ، فهم يعتقدون أن المدير والموجه أعداءهم أو أنهم قادمون من كوكب آخر .

وبعد استماعي إلى العديد من هذه التصريحات ، وجدت أن الجميع مغرق في خطأ التعميم على الجميع في الطرف الآخر (هم) ، دون وزن لمشاعر الآخرين أو وزن للمدرسين المتفانين في وظيفتهم أو للمديرين بفعالية لمدارسهم أو للموجهين الخبراء في توجيههم الفني أو التربوي . وليست المسألة من هو على حق منهم ، ولكن المسألة هي فهم وظيفتهم ومستوى طلابهم وطالباتهم . فهم في مرحلة من مراحل العمر الذي هو تعلم مستمر قبل المدرسة وبعدها أي من الميلاد حتى الممات .

إن الأدوار التي يقوم بها المدرس أو المدير أو الموجه إنما هي أدوار تحتاج إلى إتقان ، كالممثلين على المسرح ، ففيهم الفنان الذي يعرف دوره فينقيد به ، ومنهم الفنان الذي يبتكر في النص أو الإخراج إذا ما صادفته مشكلة في البيئة المسرحية كالضوء أو الصوت أو النسيان لكلمات الدور . فالمدرس فنان ، والمدير فنان ، والموجه فنان ، وشتان ما بين الفنان الجدير بفنه والفنان الذي لا يكون جديراً بذلك الفن . ومن أخطاء المديرين سواء كانت أخطاء تعيين أو أخطاء كفاءة أو أخطاء تخصص ، أو أخطاء نفسية ، فإنها تنعكس كلها على المدرسين . فكم من مدرس كفؤ انطفاً سراجاً من كثرة اندفاع هواء كلام المدير ، وذابت شعلته من عدم تقدير جهده وكفاءته .

وإن كان من الصعب توجيه اللوم إلى أحد ، فإن التربية والتعليم اليوم تختلف اختلافاً جذرياً عن التربية والتعليم قبل خمسين عاماً مثلاً . خاصة في مجالات التخصص وتنوعها وطرق التدريس الحديثة ونوعية المدرسين والمدراء والموجهين . بالإضافة إلى ما تتمتع به المدارس من مبانٍ وفضول حديثة وخدمات ومواصلات وتغذية ، لم تكن موجودة في السابق . فالعملية ليست من صنع جانب واحد وإنما عملية مشتركة يشارك فيها المجتمع بكل فئاته . والتراث عادة له أهمية خاصة في الحض على محبة تناول العلم من المهد إلى اللحد .

فليسأل كل مشارك في العملية التربوية قبل اتهام الآخرين المشاركين فيها نفسه هذا السؤال: هل قام بدوره كاملاً كمدرس (كمدرسة) أو كمدير (كمديرة) أو كموجه (كموجهة) أو كموظف (كموظفة) أو كعامل (كعاملة) في مدرسة أو إدارة أو وزارة ؟ هل حاول الاستفادة من التقدم التكنولوجي والعلمي في مجال التربية والتعليم ، أم أنهم ظنوا خطأ أنهم ملكوا العلم في مجال وظيفتهم ولا يحتاجون مهارات جديدة ؟ هل غيروا ما بأنفسهم وتقبلوا الأجيال الجديدة بصدق رحب كما هم لا كما يتصورونهم أو يتخيلونهم مثاليين محبين للعلم ؟ هل طبقوا النظريات أم استمروا بعملية تخزين المعلومات من طرف واحد ؟ هل بدأوا يفهمون نفسية الأجيال الجديدة من الطالبات والطلاب ؟ هل غيروا من طرق التدريس البالية التي تركز على المدرس أو المنهج واتبعوا الطرق الحديثة التي تركز على المتعلم والمتعلمة ؟ وهل زادوا من معلوماتهم العلمية التي تيسر عملهم كمدرسين ومدرسات أو مديرين ومديرات أو موجهين وموجهات ؟

لم نذكر حتى الآن هموم المدرسين التي تتصل بعدد الحصص اليومية والأسبوعية ، ولا بحجم ونوعية المنهاج الواجب إنهاؤه ، ولا بمستوى العائد المادي الشهري على جهودهم ، ولا بمشاكل التقويم (التقييم) أو مشاكل المواصلات ، ولا بمشاكلهم الأسرية ، ولا بمشاكلهم النفسية، وكلها لها أثر في العملية التربوية . فاتقوا الله يا من تشاركون في العملية التربوية في المدرسين وابتحثوا عن دوافع تدفعهم للامتنياز والكمال في عملهم . فهم الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : من علمني حرفاً كنت له عبداً . أو كما قال .

تربية وتعليم

ضرورة التعليم مدى الحياة

د. حسن عبد القادر يحيى
جامعة ميشيغان – الولايات المتحدة
EDUCATION FOR LIFE
HASAN YAHYA, PH.D

لا يكتمل تعلم الإنسان في أي فترة من فترات حياته بل يحتاج طيلة حياته ، فهو في سن ما قبل الروضة ، يحتاج أسرة حنونة تتمثل في الأم والأب تأخذ بيد الطفل أو الطفلة حتى يشعروا بالانتماء الطبيعي ، وينتقل الأطفال إلى الروضة ولها نوعية خاصة في تربية الأطفال ، وينتقلون إلى المدرسة الابتدائية ومنها إلى المتوسطة والثانوية ، وبعدها ينتقلون إلى الدراسة الجامعية التي تزيد من معرفتهم لأنفسهم أولاً ومن ثم فهم دورهم في الحياة وفهم غيرهم في المجتمع الكبير. وفي كل فترة من هذه الفترات يحتاجون إلى من يأخذ بيدهم ليقودهم إلى مرحلة أخرى تزيد من معارفهم ، وتبني شخصياتهم ، وتساعدهم على اكتساب مهارات للعيش بسعادة في المجتمع الكبير . ولا يتوقف التعليم عند هذه المرحلة ، حيث يحتاج كل إنسان بعد الزواج أن يتعلم أسس استمرار الحياة الزوجية بسعادة ، فإذا انتهت ووصلت إلى طريق مسدود ، احتاج كل منهما - الزوج والزوجة - إلى فهم تلك المرحلة من الناحيتين النفسية والاجتماعية ، وإذا مات أحدهما احتاج الآخر إلى التأقلم ليعيش بدون صاحبه في عالم يزيد اعتماد الناس فيه على أنفسهم لا على الجماعة ، فلكل منهم شأن يغنيه . وينطبق ما قلناه هنا على موضوع البحث عن وظيفة أو طريقة لتسويق النفس والمؤهلات ، وهي علوم مستقلة بذاتها ، فالتأقلم إلى البيئة الجديدة سواء كانت وظيفة أو أسرة أو بقاء بعد فقدان حبيب ، يحتاج إلى تعلم مستمر يأخذ من الإنسان عمره . وقديما قالوا: العلم يعطيك جزءا منه مقابل عمرك كله ، فإذا أعطيتَه عمرك ، كنت في خطر . بمعنى أن الإنسان يفني عمره ولا يستطيع أن يحوز من العلم إلا على قسط يسير منه فهو يحتاج أعمارا لمعرفته وإتقانه ، فاستغلوا أعماركم فيما يجلب السعادة لكم لا التعاسة . هل أنتم مهتدون ؟

تربية وتعليم

التكنولوجيا والدنيا آخر وقت

د. حسن عبد القادر يحيى

جامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

TECHNOLOGY CHANGE OVER TIME

HASAN YAHYA, PH.D

قال لي صديق هذه الحكاية: قبل أيام كان والدي في زيارة دولة قطر ، وما أن نزل من الطائرة وأصبح خارج المطار توجهنا إلى السيارة ، فتناولت التلفون النقال واتصلت بأخي لأبلغه بوصول الوالد إلى دولة قطر سالما ثم ناولت التلفون لوالدي . فنظر إلي الجهاز النقال الذي لم يتعد حجمه نصف كف اليد غير مصدق ، وبدأ يتمتم مبهورا ، ويقول : "سبحان الله ، الدنيا يا ولدي آخر وقت" . ثم قال لي نفس الصديق : إن الوالد كلما رأى شيئا جديدا من التكنولوجيا ردد جملة المشهورة أيضا مبهورا غير مصدق "سبحان الله ، الدنيا يا ولدي آخر وقت" .

ومنذ فجر التاريخ والتكنولوجيا تبهر الناس ، فقد أدى استعمال المحراث إلى تغيير معالم الإنتاج الزراعي ، واكتشاف الآلة البخارية غير معالم الإنتاج الصناعي ، واكتشاف التلفون والتلفاز والإذاعة غيرت معالم التاريخ المعاصر ، وأدى اختراع الحاسوب (الكمبيوتر) إلى تغيير وجه العالم حيث نسج عالما جديدا في الاتصالات السريعة ، ومن يملك قوة صنعه يملك القوة في قيادة هذا العالم الذي نعيش فيه . إذ لم تعد الحروب في الوقت الحاضر تعتمد على عدد أفراد الجيش وإنما على التكنولوجيا الذي يمتلكها . فالتكنولوجيا اليوم تستعمل للهجوم وللدفاع عن بعد .

وتعتبر التكنولوجيا سببا ونتيجة معا تؤثر في المجتمع ويؤثر فيها المجتمع لحاجته إلى تكنولوجيا جديدة . فمثلا خدمة عدد قليل تحتاج كتابة لإنهاء أعمالهم ، فإذا زاد عدد السكان فإن الحاسوب والإدارة الحديثة ستحل بعض المشاكل الإدارية ، ولذا يرى الناس جديدا من التكنولوجيا الحديثة يأخذ مكان التكنولوجيا القديمة كنتيجة حتمية لحل المشاكل ، فقبل عشرين عاما كان حجم الكمبيوتر كبيرا حتى أن غرفة كبيرة تضيق به ، أما اليوم فنراه بحجم ساعة اليد ، وفيه الفاكس والتلفون ، والكاميرا ، والآلة الحاسبة الدقيقة .

فأما اعتبار التكنولوجيا سببا في التغيير الاجتماعي فهي اختراع يؤثر في العلاقات الاجتماعية فيقربها أو يبعدها كاختراع وسائل المواصلات الناقلة كالسيارة والطائرة والقطار والسفينة والصاروخ . فمثلا كان اختراع السيارة يقرب المسافات بين الناس فيقومون بزيارة بعضهم ويلتقون وجها لوجه ، ولكن اختراع التلفون أبعد بين الناس من ناحية اجتماعية حيث بدأ الناس يتصلون ببعضهم عبر الهاتف بدلا من الزيارة من أجل اللقاء وجها لوجه . وأما اعتبار التكنولوجيا نتيجة فإن زيادة عدد السكان يستدعي البحث عن اختراع جديد . خذ مثلا مصلحة

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

البريد حيث كان رجل واحد يوزع البريد بنفسه للقريبة ، أما الآن فالبريد الآلي يخدم ملايين البشر في وقت قصير أحياناً يصل إلى ثوان معدودات . فهل سنصل يوماً إلى أن نقول ما قاله والد صديقي : "سبحان الله ، الدنيا يا ولدي آخر وقت." أعتقد أننا سنفعل ذلك ، خاصة وأن التكنولوجيا تتجدد كل يوم ونحن نقف نتفرج عليها وننبهر بها وبعجائبيها. فعلاً ، لا نحتاج إلى طول وقت ، فقد صدق والد صديقي حين قال: الدنيا آخر وقت .

تربية وتعليم

أهداف الأمم التربوية

د. حسن عبد القادر يحيى

أستاذ بجامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

NATIONAL EDUCATIONAL GOALS

Hasan Yahya, Ph.D

تقرر الأمم الحديثة والنامية مئات الأهداف يوميا من خلال مؤسساتها السياسية وأليتها الاقتصادية وبنيتها الاجتماعية في المجال التربوي والثقافي. وعادة ما تكون الأهداف في كل مكان وزمان هي المنزلة المرئية أو المتخيلة يضعها شخص معين أو مجموعة من الأشخاص ويتم التخطيط من قبلهم للوصول إليها ، كما تكون الأهداف عادة محدودة بزمان ومكان و مؤهلات . فأما المحدودية بزمان (فهي بدقيقة واحدة ، أو بساعة واحدة ، أو بيوم واحد ، أو بسنة واحدة ، أو مشروع تنمية محدود بثلاث سنوات أو خطة خمسية محددة بخمس سنوات أو أكثر) وأما محدودية المكان (فهي في وزارة ، أو في مكان إقامة لأسرة ، أو في مجرى نهر ، أو في مجال تربوي كمرحلة دراسية) ، وأما المحدودية بالمؤهلات (فهي المصادر والكفاءات البشرية والطبيعية المساعدة مع الزمان والمكان للوصول إلى الهدف أو الأهداف) . وعليه فإن هدفا مثل : حصولي على الشهادة الجامعية في أربع سنوات داخل أو خارج بلدي ، يعتبر هدفا مكملا لشروط الهدف . فالزمان قد حدد بأربع سنوات ، والمكان لم يكن مشكلة في الخارج أو الداخل ، والمؤهلات البشرية : كالتصميم والعمل الدائب والإصرار على الوصول إلى الهدف متوفرة . وهنا نستطيع القول ؛ إن الهدف تكاملت شروطه بتحديد الوقت وتحديد المكان وتحديد المؤهلات . ويختل الهدف إذا زاد الوقت عن أربع سنوات ، أو حالت ظروف للوصول إلى المكان في الداخل أو الخارج ، أو أصيب المرء أو المرأة بظواهر جسمية أو نفسية عارضة منعه أو منعتها من التأهيل للوصول إلى الهدف . ونظرا لاختلال شروط الهدف فإن الهدف نفسه يختل ويهتز فلا يتحقق . أنظر إلى هذا المثل الآخر: أريد أن أبنى برجا سكنيا في شارع زايد بمدينة دبي مثلا خلال ستة أشهر . فشروط الهدف مكتملة ، فالمكان محدد والزمان محدد والمصادر أو المؤهلات لن تشكل عقبة في الوصول إلى الهدف . وعليه فإن التخطيط للوصول لذلك الهدف يكون مكتملا إذا اكتملت شروطه . فالزمان محدد في ستة أشهر والمكان محدد في شارع زايد ، والمؤهلات (من مصادر مالية وفنية وهندسية وطبيعية) محددة . إذ لا يعقل أن يتم البناء بدون خبرة وكفاءة هندسية بشرية (تخطط للفكرة على الورق) وكفاءة تكنولوجية (خرائط ورافعات ومواد مصنعة ومدراء ومديرات وعمال ، وحاسوب وقياسات) . ويبقى التقييم أو التقويم للإنتاج الذي هدف إليه وهو أيضا يقع تحت المؤهلات والكفاءات العليا والخبرات الفنية والمتخصصة ، التي تحكم على نجاح الهدف أو عدم نجاحه .

وكل مشروع مهما صغر أو كبر حجما أو كيفية ، فإنه يحتاج تخطيطا يحتوي على الشروط الرئيسية للهدف التي سبقت وهي عناصر الزمان والمكان والمؤهلات . فإثناء جامعة جديدة ، أو استحضار عمال من الخارج ، أو تسويق سلعة عالمية ، أو بناء أجيال المستقبل ، أو حتى بناء جيش ، فإن الأهداف وإن اختلفت معانيها إلا أنها مقيدة بزمان ومكان ومؤهلات . ولعل المثال هنا يمكن أن يعطى لهدف نبيل تسعى إليه كل أمة من الأمم ويسعى إليه كل شعب من الشعوب مهما كان تاريخه ، كالتربية في بناء الأجيال من بنين وبنات ليكونوا مواطنين صالحين ومواطنات صالحات ، وليعيشوا في سعادة غامرة في بلدهم ، ويتمتعون بخيرات بلدهم . وهو هدف تعكسه كل فلسفات التعليم في كل بلد . فالهدف واضح وله استمرارية زمنية وإن تحدد بجيل واحد مرئي حتى يصل إلى سن العمل في المجتمع كمدراء ومديرات أو خبيرات وخبراء أو مهندسين ومهندسات أو معلمات ومعلمين أو عضوات في الجيش والشرطة أو أعضاء ، أو عضوات في السلك الدبلوماسي أو أعضاء ، أو وزراء ووزيرات في الأجهزة التنفيذية للدولة ، أو في أجهزتها التشريعية والقانونية ، وكذلك بناء الأجيال المتعاقبة الذين يأتون بعدهم وهي غير مرئية الآن ، إلا أنها ستكون محور السياسات ومحط اهتمام السياسيين في كل مخطط لبناء الأمة أو الشعب على أسس سليمة ومتينة .

فهدف التربية يكون عادة محددا بزمان قصير أو طويل حسب الحاجة والعدد المشارك والطاقات من المؤهلات المطلوب تحضيرها من الكفاءات المواطنة والوافدة الموجودة حاليا في سوق العمل من المديرين والمديرات والمستشارين والمستشارات ، والمدرسين والمدرسات، أو التحضير لها من الأجيال القادمة من المواطنين لتسد حاجة ملحة في سوق العمل لبناء المستقبل وتنويع الدخل القومي واستقطاب الكفاءات لبناء الوطن من داخله وخارجه .

والدليل على نجاح أهداف التربية هو تحقيق قيمة المردود التعليمي على الوطن والمواطن . ونظرا لأنه لا يظهر ذلك عادة بين يوم وليلة ، ولا بين غمضة عين وانتباهتها كما يقال ، إلا أن أهداف التربية لا تتغير في مجملها لأنها تخطط لما يتوقع الوصول إليه من عزة وسؤدد لأفراد البلد المعين ليعيشوا سعداء مشاركين في بناء بلدهم الحديث مع الحفاظ على أصالة الأصل في العادات والتقاليد ومساهمين مستقبليين في رسم الأهداف المستقبلية التي يرونها قريبة منهم مع تطورات المجتمع الحديث وزيادة التنمية في عالم سريع التغير في مجالات الاتصال والتواصل الحضاري ومجالات التعامل مع البيئة الطبيعية والبشرية ، وفي ظل تقديرهم لخيرات بلادهم والمحافظة على مصادر هذه الخيرات والتمتع بها في عالم صحي هادي معافى خال من الحروب والنكسات والنكبات والويلات بفضل التخطيط الصائب والفعال لمستقبل الشعب الزاهر وأجياله المتعاقبة ، ولن يتأتى ذلك في أي بلد إلا ببعد النظر في التخطيط المستقبلي بعناصره الثلاث الزمن والمكان والبشر المؤهل للقيادة والنجاح .

تربية وتعليم

رفقا بالأطفال

حسن يحيى – ولاية ميشيغان

هناك تسابق بين الحضارات حول الكمية والنوعية ، وكلما كانت الحضارة تهتم بالتنوع كانت مقبولة أكثر من الحضارة التي تهتم بالكمية ، وتسري هذه الفرضية على التربية التابعة لتلك الحضارة ، فإذا كانت التربية في حضارة ما تهتم بالكمية أكثر من النوعية فإنها في مشكلة حضارية لا تخرج منها حتى تغير موازينها . وعلى ذكر الموازين ، فقد قمت بزيارة صديقي في إحدى الدول العربية وعنده طفلة في الثامنة من عمرها ، وهي في الفصل الثالث ، فاسترعى انتباهي حجم الحقيبة التي تحملها وما فيها من الكتب وهي عائدة من المدرسة ، فالحقيبة ينوء بحملها ابن الخامسة عشرة من العمر ، فقلت لها كيف نستطيع وزن الكتب ؟ قالت: نضع الكتب في الميزان ونزنها فنعرف وزنها . قلت : هناك طرق أخرى فما رأيك؟ قالت: نعم هناك طريقة أخرى وهي أن نضع الكتب في الحقيبة ونزن الحقيبة فنعرف وزنها . قلت لها حاولي وزنها فجاءت بميزان من الغرفة المجاورة ووضعت عليها الحقيبة ولكنها لم تستطع رؤية الميزان لحجم الحقيبة التي غطت الأرقام . قلت لها : هناك طريقة أسهل ، فهل عندك طرق أخرى لقياس وزن الحقيبة وما فيها من الكتب ؟ نظرت إلي نظرة الواثقة المتمكنة من نفسها، وهنا تدخل أخو البنات وهو يكبرها بسنين فقال: أوزني نفسك أولاً ، قامت وكأن الفكرة فكرتها بوزن نفسها أولاً بدون الحقيبة ، فكان وزنها 21 كيلوغراما ، ثم قامت فوزنت نفسها وهي تحمل الحقيبة ، فكان الناتج 27 كيلوغراما ، وبعملية بسيطة قلنا لها ما وزن الكتب التي تحتويها الحقيبة؟ فأخذت السؤال بجدية فقامت وجاءت بورقة وقلم ، ورتبت الرقمين عاموديا ووضعت علامة ناقص وبدأت بعملية الطرح وقد اشتركت فيها الأصابع أيضا ، وكان الجواب 6 كيلوغرامات ، قلت لها: أهذا وزنك أم وزن الكتب؟ قالت وهي تبتسم وتؤكد ذكاءها تنتعش بثقتها بنفسها: طبعاً الستة كيلوغرامات هي وزن الكتب . فقلت لها : وهل تحملين هذه الحقيبة كل يوم من أيام الأسبوع ؟ قالت وكأنها تريد أن تزيد من معلوماتي المتواضعة عن التربية والتعليم : نعم ، ثم قامت بتبرير إجابتها تلك بأن أضافت: لا نستطيع الدراسة بدون الكتب كما تعلم . وبعملية حساب بسيطة وجدت أن الطفلة المسكينة تحمل حوالي 22،8 في المائة من وزنها كل يوم ، وبحسبة بسيطة خلال العام الواحد فإنها تحمل الحقيبة مرتين كل يوم لمدة تزيد على مائتي يوم فيكون مجموع ما حملته الطفلة وهي في الثامنة من العمر ستة كيلوغرامات مضروبة بمرتين ثم ضرب الحاصل ب 200 يوم ، فإن المجموع وبكل بساطة يزيد على 2400 كيلو غراما، وهنا أتساءل: هل التعليم حمل أثقال ؟ أم متعة لتلقي المعرفة ؟ هل التعليم باكمية أم بالنوعية؟ هذا ما كان حال التعليم في بلد الطفلة ، أما التعليم في الدول الأخرى المتقدمة مثل أوروبا وأمريكا وكندا فيختلف وتبقى الكتب في خزنة خاصة للطلاب في المدرسة ، يأخذ منها ما يشاء لكل حصة . وكان تعليقي البسيط على تلك الظاهرة : رفقا بالأطفال حاملي الأثقال ، فمهما اختلفت طرق التدريس فلا

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

يجب أن نختلف في أن الأطفال سيعيشون في عصر غير عصرنا ، وزماننا غير زماننا وبما أن لكل زمن همومه ، فالعلم لا يوزن بالباذنجان (على رأي عادل إمام) أي بالكمية ، وإنما يوزن بالكيفية ، ومن هذا النوع تعويد الأطفال على اتخاذ القرارات الصائبة والتفكير النقدي والنقد المبدع والاهتمام بالجواهر لا بالمظهر ، وتلك لعمرى من أسس النهضة الحديثة في كل مجتمع يريد أن يسود في الألفية الثالثة .

تربية وتعليم

الكمبيوتر والأخلاق

د. حسن عبد القادر يحيى
جامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

ETHICS AND THE COMPUTER
HASAN YAHYA, PH.D

هل تعلمون أن الحاسوب (الكمبيوتر ومعناه الانترنت وهو من التكنولوجيا التي تدخل أكثر البيوت في هذا العالم فيراها الكبير والصغير) ، هو جهاز ليس له عقل ويفهم أكثر من شعب كامل ؟ وهل تعلمون أنه ليس له حول ولا حيلة ولكنه مخادع قوي كبير؟ وهل تعلمون أنه صغير ولكن فعله كبير ؟ وهل تعلمون أنه يفرج الهموم عن مستعمليه ويخدمهم أو يستخدمهم فيما يشاؤون ويحبون ويجلب الهم لمن لا يريد أحيانا ؟ وأخيرا هل تعلمون أن الكمبيوتر سيفصل على الأسرة وخاصة الأطفال ؟ لسبب بسيط وهو أنه إذا أسيء استعماله يهدم ما بينه الآباء والأمهات ، ويفصل بين الأزواج والزوجات ، ويفرق بين الإخوة والأحبة . فكم من بيت انهدم وكان السبب فيه هذا الكمبيوتر الغبي ، الذكي ، القوي ، الضعيف في آن واحد

كفكيف نستغل ذكاهه لصالح الأسرة ؟ وكيف نجعله يساهم في تربية النشء وتربية الشعوب بدلا من المساهمة في هدم الأسر وهدم الشعوب ؟ كيف نجعله بناء للأخلاق لا هداما له ؟ هذه الأسئلة وغيرها كثير ، ترددت أخيرا بين الذين يغارون على أخلاق النشء الجديد وأخلاق الشعوب العريقة . ولكن المد كبير وشديد ، لا يقف أمامه إلا كل ذي حظ عظيم . قال لي صديقي يوما: "عدت من العمل يوما إلى البيت ففوجئت بوجود ولدي ابن العشر سنوات ومعها خمسة من رفقاءه وهم في مثل سنه ، استغلوا فرصة غياب الأم والأب عن البيت ، فجلسوا يتفرون على الانترنت . ولم يفتن أحد لوصولي ، فوفقت خلفهم أنظر إلى ما كانوا ينظرون إليه ، فاعتقد لسانى ، وطار صوابى ، وغلا الدم في عروقي ، ولم يغب عن ذهني من قبل ولو للحظة واحدة ، أن طفلي والأطفال الآخرين هم في سن بريئة لا يطالها الشك من قريب أو بعيد . وكما كانت دهشتي حين دهشوا لوجودي ، فلم تكن المناظر التي سمرتهم أمام الكمبيوتر بريئة ، فما أن رأوني واقفا أمامهم ، حتى أصبحوا للحظة وكأنهم خشب مسندة ، لم يحبروا جوابا لسؤالي الذي توقف على لسانى فلم أسأله . ماذا تفعلون ؟ وانتشر الأطفال في كل زاوية من البيت هاربين ، وكل منهم يشير إلى الآخر على أنه المذنب الباديء بالأمر كله ، فقد انكشف سرهم ، وذاع أمرهم ، وطار صوابهم ، وأصبحوا وكان على رؤوسهم الطير ،

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

ولم يجبني عن السؤال إلا ولدي البالغ من العمر أربع سنوات حين أفاق من نومه ، وهو يبكي وينظر إلى الكمبيوتر ويقول : "أبويا ، أبويا ، الكمبيوتر ما يستحي" . فلا يقولن أحدكم غدا ، إن الكمبيوتر عنده أخلاق . فهل يتعظ الآباء والأمهات والمدرسون والمدربات فيفتحوا أعينهم واسعات . فهم مسؤولون عن انحراف الأطفال سواء أرضوا أم لم يرضوا .

تربية وتعليم

هل أنت مثقف ؟ مثقفة ؟

د. حسن عبد القادر يحيى
جامعة ميشيغان – الولايات المتحدة
ARE YOU LEARNED PERSON?
HASAN YAHYA, PH.D

هذا المقال للمثقفين والمثقفات من أبناء وبنات الأمة العربية ، فإذا قرأته أو قرأته قراءة متأنية وحاولتم فهم ما فيه من أفكار ، فاعتبر نفسك في عداد المثقفين الذين يفهمون ما يقرأون ، أو اعتبري نفسك في عداد المثقفات اللواتي يفهمن ما يقرآن . وهذا يعني أن هناك بعض المثقفين لا يفهمون ما يقرأون أحيانا ، أو أن بعض المثقفات لا يفهمن ما يقرآن أحيانا ، أو لا يفهمون ما يكتبون أو لا يفهمن ما يكتبن أحيانا أخرى ، فهما كان عمركم ، ومهما كان جنسكم (ذكر أو أنثى) ، ومهما كانت مستويات دراستكم ، ومهما كانت جنسيتكم ، ومهما كان اتجاهكم السياسي ، ومهما كانت ديانتكم ، ومهما كانت وظيفتكم ، فأنتم في فهم هذا المقال مثقفون أو مثقفات يفهمون ما يقرأون، أو يفهمن ما يقرآن ، سواء بقبول ما جاء فيه أو عدم قبول بعض ما جاء فيه أو كله . وأنا على استعداد بأن أشهد – كتابة - أنكم من القراء المثقفين أو من القارئات المثقفات الذين يستحقون التقدير والإعجاب والتشجيع إذا فهمتم ما تقرأونه . وهذا ليس اختبار مهارة للفهم ، ولا قياسا للتفكير ، ولا امتحان للذكاء ، فكل إنسان - ذكرا كان أم أنثى - مهما بلغ أو بلغت من البلاهة أو الذكاء ، أو حاز أو حازت من قلة العقل أو زيادته ، وسواء أكان مرغما أو مختارا أو كانت مرغمة أو مختارة فإنه يفهم بقدر ، أو تفهم بقدر ، وعليه فإن العالم أو العالمية وغير العالم وغير العالمية يتساوون في فهم ما يقرأون إذا أرادوا الفهم أو المحاولة للفهم ، خاصة إذا طرح أمر - مهما كان صعبا - بصورة سهلة ميسرة واستطاع الفرد أن يقول رأيه أو تقول رأيها فيما فهم . ولنا في التاريخ خير معلم ، فكم من الحكماء من لا يقرأ ولا يكتب ، ولكنه شديد الرأي ، شديد الفهم ، حاد الإدراك . فإذا قرر شيئا كان قراره حكيما مؤثرا يستدعي التقدير والإعجاب . وكم من النساء الحكيمات من لا تقرأ ولا تكتب ، ولكنها سديدة الرأي ، شديدة الفهم ، حادة الإدراك ، فإذا قررت شيئا كان قرارها حكيما مؤثرا يستدعي التقدير والإعجاب .

أما زلت معي أيها القاريء ، أيتها القارئة ، إن لم تستطيعوا فهم ما قرأتموه حتى الآن ، فأعيدوا القراءة من جديد ، ولن تخسروا شيئا ، فإن فهمتموه ، وستفهموه ، إذ ليس عندي شك في ذلك إن ركزتم في القراءة لما سبق ، ورتبتم الأفكار التي وردت فيه حتى الآن ، فإنكم من المثقفين الذين يفهمون ما يقرأون أو المثقفات اللواتي يفهمن ما يقرآن . فهل أنت مثقف ؟ يا مثقفة . وهل أنت مثقفة ؟ يا مثقفة .

مقالات في علم نفس

حول السلوك البشري

للدكتور حسن عبد القادر يحيى
أستاذ بجامعة ميشيغان – الولايات المتحدة
ABOUT HUMAN BEHAVIOR
HASAN YAHYA, PH.D

نظرا للاختلاف الشديد بين من يعيد الطبيعة البشرية الى الخير أو يعيدها الى الشر في جانب وبين من يضع الخير والشر معا في تلك الطبيعة من جانب آخر. لذا حاول العلماء غور النفس البشرية واستعمال مختلف الاتجاهات لتطويع النفس البشرية لتعيش بسلام مع نفسها ومع الآخرين وهو ما أطلق عليه عملية التطبيع الاجتماعي. وهي عملية لتحضير الأفراد للانتماء الى المجموعة أو المجتمع. ويكون الهدف منها هو فهم الأوضاع النفسية للآخرين والتعايش معهم بدون مشاكل. وأعادوا الكرة في بحث النفس البشرية وسلوكياتها ، وتساءلوا : هل هي طبيعية فطرية بيولوجية خلق الانسان بها أم أنها تكونت بفعل البيئة الاجتماعية أو الجغرافية.

مبدأ الطبع nature أم مبدأ التطبع : nurture

1. مبدأ الطبع والوراثة : يرى علماء الأحياء أن الانسان يولد بصفات موروثية تؤثر في سلوكه وليس الأمر عائد الى المجتمع ومؤسساته. ويستدلون على ذلك ما يرونه من تصرفات عدائية عند الأطفال الى جانب الغريزة الجنسية.

2. مبدأ التطبع من البيئة الاجتماعية: ويرى علماء الاجتماع حسب هذا المبدأ أن التفاعل مع الآخرين والخبرة من البيئة هما العاملان الأساسيان في تنمية شخصية الطفل والشباب والعجوز.

3. مبدأ التكوين العقلي: وينادي أصحابه بأن في العقل جزئيات تهدي إلى سواء السبيل أو الانحراف عنه. وهم بهذا يقولون أن الجدل حول الطبع أو التطبع أمر غير وارد. وممن

ينادون بهذا المبدأ عالم النفس الأمريكي موني . (Money 1980)

تنشئة الأطفال في البيت أو الروضة: نظرا لتزايد أعداد النساء في قوة العمل زاد عدد الأولاد الذين يرسلون الى دور الحضانة والرعاية. والحضانات نوعان: الأول رسمي تابع للحكومة أو لمنظمات تجارية ربحية والثاني لمنظمات خيرية غير ربحية وعلى الأرجح دينية. وقد أثبتت الدراسات الحديثة في الغرب أن انحراف الأطفال الذين تربوا عن طريق الحضانات الربحية أكثر من الأطفال الذين تربوا في حضانات غير ربحية. وما زال دور الحضانات في الدول العربية والنامية بطيئا لاعتماد الأطفال على تربية الجدة وأفراد الأسرة .

الانعزال والتفاعل: أثبتت الدراسات الحديثة أن الطفل لا ينمو سويا اذا عاش بدون تفاعل مع غيره من الأطفال وبدون رعاية من أبويه. حيث يعتمد الطفل على الوالدين في تعلم اللغة

والرموز التراثية. وتعاني الدول الغنية في الخليج العربي وغيرها من مشكلة تربية الأطفال من قبل المربية التي غالبا لا تجيد اللغة الأم للأطفال.

التطبيع بين الذكر والأنثى: لكل تراث وسائله في تطبيع الذكر أو الأنثى وهناك اختلاف في تعامل ومعاملة الآباء لأبنائهم فمثلا عند شراء الألعاب أو عند تعلم أشياء جديدة فان للطفل أعباه الدالة على الخشونة والرجولة وللطفلة أعباها الداله على النعومة والأنوثة. ويمكن ملاحظة الفرق في التنشئة بين الجنسين في البيئة الأسرية والتعليمية وفي طرق التعامل مع الأصحاب وفي أجهزة الاعلام والأفلام.

مؤسسات التطبيع:

تعتبر الأسرة من أهم المؤسسات في المجتمع لتطبيع الأفراد ، ثم تأتي المدرسة، فالمؤسسات الدينية (كالمسجد) ثم الأصحاب ووسائل الإعلام ومكان العمل والمؤسسات التقويمية كالسجون والمستشفيات العقلية والمؤسسة العسكرية.

الأسرة Family: هي أهم المؤسسات الاجتماعية لتربية الاطفال تربية سوية خالية من الاضطرابات النفسية والعصبية. وبما أن دور الأسرة في تربية الأبناء قد بدأ يضمحل في كثير من الدول الغربية فان تربية الطفل أصبحت على عاتق المؤسسات الأخرى كالحضانات ورياض الأطفال.

المدرسة: School وهي المؤسسة الثانية أهمية في تربية الأطفال. ولا يكون دور المدارس للتعليم فقط وانما للتربية على أن يكون الطفل مواطنا صالحا في المستقبل يتعاون مع الآخرين ويفتدي بأخلاق الكبار من عادات وتقاليد.

الدين (المسجد ودور العبادة): وهي من المؤسسات الطبيعية منذ الصغر وتؤثر في حياة الأطفال تأثيرا كبيرا .

الأصحاب Peer Group : وهم المجموعات التي يصاحبها الولد أو البنت . وعادة ما تكون أعمارهم متقاربة فيقضون وقتا طويلا مع بعضهم البعض ويشعرون بشعور الانتماء.

الاعلام Mass Media: وهو وسائل التلفزيون والاذاعة والجرائد والمجلات . وتحتوي العديد من القصص والعادات التي يتطبع الولد بطباعها. وقد أفادت الدراسات أن الوقت المخصص للتلفاز يزيد أحيانا على ستة ساعات عند الأبناء من سن الثانية عشرة الى الثامنة عشرة. كما أكدت دراسات كثيرة أن التلفاز يؤثر على سلوك الأطفال بالانحراف نحو استعمال العنف لكثرة مشاهدة أفلام ومسلسلات العنف التي يشاهدونها.

مكان العمل والوظيفة: تعويد الموظفين على احترام قواعد العمل ، والتدرب عليه ، ومعاملة الزبائن بطريقة مبتكرة متفائلة . وهذا يستدعي تطبيعا للأفراد في أعمالهم المختلفة.

السجون: تطبيع الشخصية المنحرفة لتكون نافعة بعد قضاء فترة السجن . ولها أساليب خاصة في التطبيع .

المستشفيات العقلية: تطبيع المرضى على نظام جديد ، بإعطاء الأدوية والنوم قسرا أو طاعة. المؤسسة العسكرية: وهي من أهم مؤسسات التطبيع حيث تغير سلوك الجنود وتطبعهم على احترام الأوامر والتقييد بالقوانين العسكرية والاهتمام بالضبط والربط .

وقد اهتم علماء النفس الاجتماعي بمراحل النمو عند الأفراد منذ نشأتهم وحتى وفاتهم. ومن الجوانب التي تغطي نمو الشخصية عند بعضهم ما يلي:

1. النمو الفكري: كان الاعتقاد السائد عند الناس أن عقل الطفل يعمل تماما كعقل الكبير البالغ حتى جاء العالم النفسي السويسري جون بياجيه (Jean Piaget) (1896-1980) وأثبت من خلال دراسته على ذكاء الأطفال عكس ذلك تماما. وقد أفادت أبحاثه علماء الاجتماع كثيرا لأن عملية النمو الفكري عامل هام في تنمية الشخصية وبالتالي في القدرة على وظيفة تلك الشخصية في المجتمع. وبناء على ما توصل اليه بياجيه فان الطفل يمر في مراحل حتى يصل الى الفكر المنطقي وأن بعضهم لن يستطيع الوصول الى مراحل متقدمة. فمن الولادة حتى السنة الثانية من خلال مرحلة القدرة على تحسس الأشياء sensorimotor stage يحاول الطفل تحسس الأشياء لمعرفة العالم من حوله. ومن الأمثلة أنك إذا خبأت لعبة أو غطيتها بشيء لا يعرف الطفل أنها موجودة بل يعتقد أنها اختفت فلا يبحث عنها. ويبدأ بالتعلم البطيء شيئا عن السبب والنتيجة، وفي السنة الثانية يستطيع الطفل التفوه ببعض الكلمات ذات المعاني من حوله وهي مرحلة سماها بياجيه مرحلة ما قبل العمليات العقلية preoperational stage وفيها لا يستطيع الطفل رؤية العالم من وجهة نظر غيره بل من وجهة نظره هو فإذا فقد شيئا يبكي حتى يحصل عليه وإذا غضب صاح وملاً الدنيا صراخا (مما يهرج الآباء والأمهات أحيانا في الأسواق أو في حضور الآخرين فيميل بعضهم إلى عقاب الطفل بالضرب أو العقاب). أما مرحلة العمليات العقلية operational stage فانها من السنة السابعة حتى الثانية عشرة من عمر الطفل (من الصف الأول حتى الصف السادس) وفيها يبدأ الطفل في التفكير بطريقة منطقية ويستطيع فهم بعض الأعمال المركبة والأرقام والأحجام والجهات والأشكال وعلاقة الحيز النسبي للأشياء كالأواني المستطرقة والمسافات القرب والبعد والعلاقة بين الحجم والمسافة ويفرح للمديح والجوائز ويشعر بالافتخار أمام والديه أو أقرانه. كما يستطيع التعرف على مفهوم الزمن الماضي والحاضر والمستقبل، وفي المرحلة التالية وهي مرحلة المراهقة (Adolescence-formal logical thought) يستطيع الطفل التفكير في أشياء منطقية معقدة ومطلقة كما يستطيع تنمية أفكار ليس لها رباط بالحياة العملية مثل الموت والفناء والبقاء و الحرية والعدالة، كما يستطيعون معرفة نتائج أعمالهم ان كانت سيئة أو جيدة. وبهذه المرحلة يكتمل بناء الشخصية التي تكون مستعدة لدخول مرحلة البلوغ والتعايش مع الآخرين.

واطسون له نظرة خاصة فهو مولع بنظرية التعليم المكتسبة، حيث أيد نظريته بقوله: أعطني أطفالا أصحاء مهما كانت خلفياتهم الاجتماعية وأنا كفيل لأجعل منهم القاتل أو المجرم أو الطبيب أو المدير. أو أي نوع من البشر. وللحديث بقية.

علم نفس

صراع النفس ونظرية المؤامرة

د. حسن عبد القادر يحيى

جامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

SELF CONFLICT AND CONSPIRACY THEORY

HASAN YAHYA, PH.D

يعتقد البعض من النساء والرجال أن هناك مؤامرة تحاك ضدهم من طرف لا يستطيعون وصفه تحديدا ولا شكلا ، كلما وقعوا في ورطة عائلية أو أصيبوا بانتكاس نفسي أو خسروا مالا وأرواحا في حرب أو مالا وأسواقا في تجارة . أو انصدموا في قصة حب اعتقدوا أنها مؤمنة وغير قابلة للصد م فكتب لها الفشل ، أو فشلوا في تحقيق هدف اعتقدوا أنهم أحسنوا التخطيط له ففوجئوا بالوسائل السلبية التي لم يحسبوا لها حسابا فساهمت في إفشال أهدافهم ، أو أو إلى آخر هذه الأمثلة ، فإن هذا أمر طبيعي يمكن معالجته علميا . فقد أثبتت الدراسات أن سبب البلاء في معظم الأحيان هو الإنسان نفسه لا المحيطين به أو بها كما يعتقد المرء أو المرأة - وعليه وباختصار شديد – فإن الإنسان على فرض أنه إنسان متراكم الخبرات والتعلم ينشأ في أسرة تحنو عليه وتقدم له كل أسباب البقاء والنمو والتطور ، فإنه يمكن إصلاحه من حالة لوم الغير إلى حالة لوم النفس . والفرضية تقول أن الإنسان مسؤول عن تصرفاته ، سواء أكانت هذه التصرفات مقبولة من المجتمع أم كانت مرفوضة . أو إن كانت مقبولة جزئيا أم مرفوضة جزئيا . وإن كانت نتائج تصرفات الإنسان المرفوضة قد تجلب له مشاكل لا يحدها شمال أو جنوب ، كما لا يحدها غرب أو شرق . فإن تصرفات الإنسان المقبولة من البيئة الاجتماعية من حوله قد تكون أيضا بلا حدود.

ونعود لفكرة تعليق اللوم الإنساني على الغير الموصوف بالمؤامرة التي يحيك خيوطها الناس للناس أو التي تحيك خيوطها الدول للدول أو الشعوب للشعوب أو الجار للجار أو الغني للفقير أو الشمال على الجنوب أو الأبيض للأسود أو الزوجة للزوج أو الزوج للزوجة أو (الحماة للكنة) أو الصديق للصديق أو كثير المصادر لقليلها ، أو الرأسمالية العالمية للاشتراكية العالمية ، أو مؤامرة التكنولوجيا (أو صانعيها غربا أو شرقا) ضد الإنسان والقيم والتقاليد . فكلها مصادر للوم بعض الناس البعض الآخر من الناس . خذي مثلا : إذا وقفت سيارة فجأة أمامك وأنت تقودين سيارتك ، تقولين (في الغالب) بسرعة ودون تفكير: من هذا الغبي الذي لا يعرف القيادة ؟ فتلومينه عل سوء قيادته ، وتنسين أن تلومي نفسك إذا حصل حادث والتحمت مقدمة سيارتك بمؤخرة سيارته . ولا تشكري ما أنت فيه من وعي وإدراك وحسن قيادة إن تفاديت ذلك الحادث . فالذي يقود سيارته أمامك ، ليس له حول ولا قوة خاصة إذا مر من أمامه فجأة ، إنسان أو حيوان .

خذ مثلا آخر ، تطعي موعدا لبعض الناس فلا تصل في الوقت المحدد ، فتلوم الشارع المكتظ بالناس والسيارات ، ولا تلوم نفسك لسوء تخطيطك . بل ولا تعتذر عن ذلك التأخير أو لم

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

تتصل لتخبر صاحب العلاقة بأن الظروف لم تسمح لك بالحضور حسب الوقت المحدد لذا فإنك تعتذر عن التأخير . فدقيقة التأخير هي تأخير بحد ذاتها على كل حال . ووصولك خمس دقائق أو أقل أو أكثر عن موعدك هو الأساس ولكنك لا تفي بالوعد وتكابر بأن السبب في التأخير هو المرور أو أي شيء آخر عدا نفسك . وهذا مرض عصري بحد ذاته يصاب به العربي في الشرق أو غيره في الغرب أو من تخلقوا بأخلاقه في هذه النقطة . إلا أن الفرق واضح بينهما فالأول يلوم المرور وحركة السير ولا يعتذر ويعتبرها قاعدة لا من الشواذ ، بينما الآخر يلوم نفسه ويعلل تأخره بالاعتذار بالاتصال أو بالتعبير عن شعوره المؤلم بتأخره عن الموعد ولو دقيقة واحدة .

فأين المؤامرة إذن؟ في المثالين السابقين . هل تأمر من يقود سيارته أمامك وهو لا يعرفك؟ أم تأمرت حركة المرور عليك فأخرت وصولك إلى موعدك؟ الجواب واضح عند كل عاقل، ولا يحتاج إلى تعليق أكثر .

أما المؤامرة أو ما يطلق عليه "نظرية" المؤامرة ، فهي ماركسية اشتراكية في أصولها ، ومفادها أن الأغنياء أصحاب رؤوس الأموال وأصحاب الأراضي ، أصحاب المصانع قد تأمروا مسبقا على العمال الفقراء في كل مجتمع أو قل في العالم أجمع ، ومنها مؤامرة الشمال على الجنوب ، أو مؤامرة الصهيونية العالمية على العالم ماليا وفكريا أو مؤامرة أو مؤامرة الرأسمالية العالمية ضد الأسرة لزيادة استهلاك صادراتها التكنولوجية ، فهي تفرق بين الرجل والمرأة وتدق الأسافين بين الآباء وأبنائهم ، وبين الأسرة والعاجزين فيها من الأطفال والمسنين .

وبصورة أخرى فإن كل ما لا يرى بالعين المجردة أي لا يمكن تحديده زمانا أو مكانا هو السبب في المؤامرة . فهو الرأسمالية أحيانا ، وهو الاختراعات التي تساهم في ضعف عرى التواصل بين أفراد الأسرة أحيانا أخرى ، وهو أحيانا التنافس أو التناشز بين القرية والبادية من جهة وبين المدينة وتعقيداتها من جهة أخرى . فكيف نضع إصبعنا على المؤامرة أو الإشارة إلى المتآمرين في هذا الحال؟ إذا سلمنا جدلا بأن هناك تأمر ضد النفس أو النفوس الإنسانية فردا كانت أو على شكل أسرة ، أو على شكل مجتمع نام أو مجتمع نائم؟ ذلك ما نريد أن نلفت النظر إليه وأن ندعو إلى التفكير حوله في هذا المقال . فهل وصلت الفكرة؟

علم نفس

العامل الوراثي ومرض التوحد

الدكتور حسن عبد القادر يحيى

أستاذ بجامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

Autism

Hasan A. Yahya, Ph.D

منذ أن نشر واطسون بحثه حول تركيب الحمض النووي أو ما يعرف بالدي إن إيه D.N.A عام 1953 ، والعالم ينظر إلى أمل جديد في شفاء العديد من الأمراض الوراثية . حيث كان للتركيب الذي اكتشفه خصائص بيولوجية جعلت العلماء يؤكدون على طرق جديدة للوقاية أو العلاج من الأمراض المستعصية أحيانا وذلك من خلال فتح آفاق الخريطة البيولوجية . وكان المهتمون من علماء الأحياء الذين يعطون العامل الوراثي الأهمية في وجود مثل تلك الأمراض يجدون خيارات جديدة لشفاء المرضى المعاقين جسديا أو دماغيا أو حسيا . وكان مرض التوحد أحد هذه الأمراض الميؤوس منها . والتوحد هنا ليس من الوحدة ولا من الاتحاد ، وهو نوع من الإعاقة الدماغية تمنع قيام الدماغ بوظيفته في الإدراك والتعامل مع الآخرين بشكل طبيعي ، وهو ترجمة كلمة (Autism) وهي حالة سلوك غير إرادي ينشأ عن مزيج جينات الأب والأم ، أي يتسبب بعوامل وراثية ، ولا يكون للمريض أو الوالدين أي ذنب في حالته. سوى عدم الوعي وعدم المعرفة .

أسباب مرض التوحد

قد تتعرض الأم لأشعة إكس أو ليزر وهي حامل ، أو تتعرض للشمس فترة طويلة أثناء الحمل ، أو قد تأخذ بعض المضادات الحيوية التي قد تؤثر على الجنين فتصيبه بالتوحد دون أن تدري . وقد يشترك الأب مع الأم في تسبب حالة التوحد عند بعض أطفالهم لعامل وراثي لا يعرف الوالدان عنه شيئا . وعادة ما يكثر هذا المرض بين الأطفال الذين يشترك فيه الوالدان بصلة القرابة القريبة كأولاد الأعمام والعمات وأبناء الخالات ممن ينتسبون لنفس الجذور ولو لسابع جد أو نسلم . كما أن من أسبابه تعرض الحوامل لبعض الإشعاعات أثناء الحروب أو بعدها . مما يسبب تشوها دماغيا بحيث يفقد الدماغ وظيفته في الإدراك .

حجم المرض ومقداره

هناك طفل واحد في كل ألفين وخمسمائة طفل مصاب بمرض التوحد في العالم ، ومعنى ذلك ان في العالم ما يزيد على 2.4 مليون مريض بهذا المرض . وهذا الرقم لا يحتوي على حالات الإعاقة العقلية كالتخلف والبله والجنون أو الإعاقات الجسدية الواضحة كالسمع والإبصار والكساح والتشوية الخلقي ، وتزداد النسبة في دول العالم النامي وتكاد النسبة لا تصنف في الدول ذات النظم التقليدية والفقيرة ، بينما تقل نسبة المصابين به في دول العالم الأخرى ممن تعارف على تسميتها بأنها الدول المتقدمة صناعيا وفكريا وتكنولوجيا . وزيادة النسبة أو نقصانها يعود إلى الاهتمام أو عدم الاهتمام بشؤون صحة الإنسان والبيئة

الاجتماعية والطبيعية . كما تتأثر النسبة زيادة أو نقصانا بمدى ما تقدمه الدول من مصادر بشرية ومالية للحد من الظاهرة والعمل على علاجها ، فالتوحد يشكل جزءا أكثر أهمية بالنسبة للمعوقين أو قليلي القدرة العقلية أو الجسمية (ويندرج تحتها السمع والإبصار والإدراك عند الإنسان) . وتزداد نسبة المرض لدى الأولاد أكثر من البنات ، وإذا أصيب به الطفل الأول للأسرة فإن احتمال إصابة الطفل الثاني بالتوحد كبيرة وقد تصل إلى 2% أو 3% ، وينقسم التوحد - حسب شدة وقوة أعراضه - إلى ثلاث درجات منها البسيط والمتوسط والشديد بنسبة 5ر8% ، 5ر28% ، 33% على التوالي.

وستخصص هذه الورقة لموضوع التوحد نظرا لعدم الاهتمام به كعلم نفسي اجتماعي ، أو كشريحة لا تستحق العناية أمام الكم الهائل والعدد الكبير من المصابين بالإعاقات التقليدية من سمع وإبصار وإدراك وبله وجنون . بالإضافة إلى قلة المعالجين النفسيين والاجتماعيين والمساعدين في هذا المجال ، ونظرا لأن الظاهرة تتزايد مع السنين فإن المصابين بالتوحد يحتاجون إلى العديد من المتخصصين في هذا المجال وقد يبدأ الطلاب والطالبات بالتخصص في سن مبكرة من دراساتهم النفسية والاجتماعية فينوجهوا إلى سوق المهن الطبية التي تحتاج خبراتهم . وهو ما يجب أن يتوجه فيه التربويون والآباء والفلاسفة في مجال احترام النفس البشرية مهما كانت نواقصها ، ولا يجب أن يتحمل التوحديون نتائج ذنب لم يكن لهم يد في حالتهم .

مظاهر مرض التوحد

أما مظاهر التوحد فمنها عدم قدرة الطفل على الكلام أو الشعور بوجوده كشخص ، وعدم معرفة أمه أو أبيه وتمييزهم عن الآخرين أو الأشياء التي حولهم ، وعدم إبداء مظاهر السرور لتلبية حاجة أو إبداء الامتعاض أو الغضب لفقدان شيء ما . وكل تصرفاته تكون لا إرادية بحيث لا يتحكم في نفسه أو في تصرفاته وتتحكم به قدماء فتسوقه إلى شتى السبل دون وعي أو إدراك لما يفعل . ومن مظاهره أيضا أنه إذا نظر إلى شيء مثل حنفية الماء والماء يسيل منها فإنه يطيل النظر فيها ، وقد يركز بصره على شيء وقتا طويلا دون ملل أو إحساس بالوقت . وقد تتحرك يده لا إراديا أمام وجهه أو يكرر حركات لا يمل منها دون إدراك أو إحساس بالغير . ومن أعراض التوحد ما أوردته النشرة الدورية الصادرة في القاهرة عن اتحاد الفئات الخاصة والمعوقين وجود اضطرابات في العلاقات الاجتماعية بين الطفل المصاب والمجتمع من حوله كالأهل والأصدقاء ، ويبدو الطفل مكتئبا ومنفردا بنفسه ، ويصعب عليه التركيز في النظر إلى الأشياء والأشخاص ولا يلعب مع الآخرين ويفضل اللعب مع نفسه لساعات طويلة . (النشرة الدورية: عدد 68، ديسمبر 2001)

بحوث حول مرض التوحد

لم تعر معاهد ومراكز البحوث الغربية والشرقية - إذا جاز التعبير - ظاهرة التوحد كثير انتباه في السنوات الخمسين الماضية ، ولكن حجم المشكلة وظهور الاهتمامات بمرضى الأيدز (في الثمانينات) والخارطة الوراثية مع مطلع الألفية الثالثة ، بدأت مشكلة التوحد تأخذ حيزا من تفكير العلماء النفسيين والاجتماعيين وبدأت بعض مراكز البحوث في بعض الجامعات أن يولي المشكلة اهتمامات أكاديمية وأخرى طبية . ولكن الجهود لا تتناسب مع حجم المشكلة التي نحن بصدها . فهناك ملايين من الأطفال مصابون بالتوحد ، وهو مرض لا بد أن يؤخذ في الاعتبار كواجب على المجتمعات وحق للمصابين من المعوقين وقليلي القدرة العقلية والجسدية والإدراكية في أن يعاملوا كبشر يمكن أن يتمتعوا بحياة سعيدة هم ووالديهم وأسره

. ومساواتهم بغيرهم من المعوقين ، وفسح المجال في الجامعات والمعاهد والمستشفيات لتخريج كفاءات من الجنسين للتعامل معهم وإدارة عملية شفائهم . وهو أمل نرجوه من أولياء الأمور ومن بيدهم صناعة القرارات .

طرق علاج مرض التوحد

اختلف العلماء حول علاج المرضى بالتوحد ، فذهب فريق إلى قطع الأمل في شفائهم منه ، وكانت البحوث التي أجريت على العينات متقدمة في السن نوعا ما (فوق الخمسة عشر عاما) ، وقد تعاملوا مع الحالات منها بالوصفات الطبية المهدئة أو المخدرة إلى حد النوم . وفريق يأمل بتحقيق تقدم في حالة المرضى بالتوحد مع الوقت من خلال صبر الأم وحنانها ومعاملتها لهم ، بالإضافة إلى المعاملات الإنسانية ضمن بيئة الأسرة ، أو من خلال اتصالهم بمتدربين مهرة في التواصل والتعامل مع المرضى (عادة تقوم به الهيئات الحكومية والجمعيات التطوعية) ، وهؤلاء المتدربين قلة قليلة لا تفي بالعدد المتزايد من هذا الصنف من المرضى ، لحاجتهم الماسة إلى من يرافقهم في كل الأحيان لأنهم يقررون دون وعي ، فهم يسرحون ويمشون ويجرون دون إدراك لوجهة أو لغرض . وتكمن الخطورة عند هؤلاء المرضى بأنهم إذا تركوا وحدهم قاموا بمحاولات إيذاء النفس أو إيذاء الآخرين دون وعي . وذهب فريق ثالث إلى علاج الطب النفسي عن طريق دراسات الحالة التي تتجح أحيانا طرديا كلما بدأ العلاج مبكرا خاصة بالنسبة للعمر وما يستتبع ذلك العلاج النفسي من عقاقير لتهدئة المرضى بالتوحد . وقد بدأت الجامعات كم أسلفنا بالاهتمام بهذا المرض وبدأوا باستحداث مناهج ومساقات تزيد من معارف منتسبيها في مجال فهم مرض التوحد وطرق معالجته .

ويعتبر العلاج النفسي أهم العلاجات في هذا المجال ، ونظرا لأن مرضى التوحد يحتاجون لرعاية دائمة ومستمرة فإنه ينصح بمرافقتهم من قبل عاقل بالغ كالأم مثلا أو من يقوم مقامها في الرعاية . ويقوم العلاج النفسي بقياس حالة المريض تباعا ، وتسجيل التغيرات الحاصلة على المريض ووصف بعض العقاقير الطبية التي قد تخفف من الانحراف أو التسبب في تصرفات المريض .

أما العلاج الاجتماعي فله شقان: أولهما معرفة حالة المريض من قبل الآخرين ، وثانيهما صفة التسامح من الآخرين تجاه مرضى التوحد . وقد أثبتت الدراسات النفسية الاجتماعية أهمية دور الأم في علاج المرضى بالتعاون مع الطب النفسي والاجتماعي ، ونجاحها في تخفيف أثر وجود المريض كعضو في الأسرة . وتسهيل مهمة المرضى ليكونوا أقل عنفا وأكثر إدراكا لحالتهم . ومن طرق العلاج عدم حبس المريض بالتوحد أو عزله عن الأفراد الآخرين أو عن المشاركة في النشاطات الاجتماعية طالما أنه تحت العناية المستمرة والرفقة الواعية . ومن طرق العلاج لمرضى التوحد عدم استعمال العقاب الجسدي كحل للمشاكل ، خاصة وأن المريض لا يدرك ما فعل ولا يدرك معنى العقاب . وقد استعملت طرق سماع الموسيقى والأغاني أو مشاهدة برامج التلفاز في علاج المرضى بالتوحد رغم أنه من الصعوبة بمكان جلب انتباههم لشيء معين . أو قيادتهم بالعنف نحو الشفاء ، أو حتى إبداء دوافع للامتناع أو لتكرار بعض التصرفات . وقد أثبتت الأبحاث أن تطبيق الجزاء للفعل الجيد خاصة إذا بدأ المريض بتكرار بعض الكلمات قد يأتي بنتيجة مثل تروديد (واو) عند رؤية شيء غير طبيعي ، وكلما قال المريض كلمة واو أعطي جائزة على ذلك ، وهكذا حتى يزيد عدد الكلمات التي ينطقها المريض ، ومن يدرى ، فقد تحل عقد لسانه وقد يشفى من مرضه بعد أن قطع الأمل بالشفاء ، والله أعلم .

وبالنسبة للعلاج الطبي لمرضى التوحد : فإن العلم يتقدم يوما بعد يوم ، وطالما أن هناك اكتشافات بعد توليف خارطة الجينات ، يبقى الأمل متواجدا في التوصل إلى علاج لأمراض كان يظن أنها بلا علاج . والعلاج الطبي ناتج عن البحوث الدماغية المتقدمة ، فكما سمعنا عن حبوب الطاقة ، وعلاجات مرض المناعة (الايذز) سيصل العلم يوما إلى علاج مرض التوحد عن طريق اكتشاف علاج لأنسجة الدماغ التالفة أو التي لا تقوم بوظيفتها في الكلام وإدراك الأشياء والإحساس بها . وعادة ما تمزج الوصفات الطبية بوصفات علاجية من قبل متخصصين لمعالجة مرضى التوحد . ورغم ظهور عدة عقاقير طبية توصف بأنها شافية لحالات التوحد إلا أنه ثبت عدم وجود أي عقار طبي شافي بمعنى الكلمة حتى الآن إلا أن بعضها قد تخفف من أعراض التوحد (مثل غياب القدرة على الانتباه والتركيز أو النشاط الحركي الزائد..) ، وعلى الأسر التي توجد لدى أطفالها حالات توحد أن تحذر من الإعلانات المضللة للعقاقير في هذا المجال.

كلمة أخيرة : مستقبل مرضى التوحد ، وأفضل سبل علاجه ، ودور الأم في العلاج التوحد مرض يبدأ مع ميلاد الطفل وتستمر حتى مماته ، ونسبة الناجين من المرض ضئيلة قد لا تزيد عن 30% ، وأكثرها من المرضى الذين لا يكون لديهم تخلف عقلي. ويصل 70% من مرضى التوحد إلى سن الشيخوخة وهم تحت رعاية خاصة. والمستقبل يؤكد على البيئة المحيطة الحانية والمساعدة لمرضى التوحد هي التي تهيء فرص التقدم ما لم يرافقها نوبات صرع ، لعل في التأهيل للإداريين والأمهات والآباء والمرضى كذلك ما يبشر بالخير ، ففي الولايات المتحدة استطاع أربعة أشخاص كانوا مرضى بالتوحد ، الحصول على درجة الدكتوراة . كما أن للتغذية دور حيوي في علاج التوحد في المستقبل ، فالوجبة الصحية المناسبة لسنه ووزنه تؤدي إلى الاستقرار الغذائي المطلوب ، وينصح خبراء التغذية بتوفير المواد المعدنية والفيتامينات (كالزنك والنحاس والمغنيسيوم) لمرضى التوحد .

وللتعليم دور فعال فطفل التوحد بعكس الطفل السوي يحتاج عناية خاصة ومناهج تناسب مستواه العقلي والجسدي ، وذلك بسبب التوقف في نمو قدراته العقلية واللغوية والاتصالية مما يستدعي أسلوبا تعليميا خاصا وجهدا مضاعفا . ونظرا لتقدم مقاييس التقويم لمرضى التوحد (كالذكاء والسلوك والبروفایل النفسي وصياغة الأهداف للمشاريع والبرامج) فهناك العديد من المؤسسات التي تقدم البرامج التعليمية الفردية أي أن لكل طفل مريض بالتوحد برنامجه الخاص به نظرا لاختلاف كل حالة عن غيرها . وكنتيجة لتلك القياسات (سواء للمرضى أو من الإداريين أو القائمين على خدمة المرضى) فإن التخطيط للبرامج حسب المراحل التي يمكن تقسيمها حسب حاجة المريض ، سيزيد كما وكيفا وسيعطي الأمل في وضع أهداف محددة لكل مرحلة ضمن البرامج الخاصة التي تخدم مرضى التوحد في المجال الاجتماعي والإداري والخدمي .

أما بالنسبة لدور الأم فإن الجزء الأكبر والجزء الأهم يقع على الأم في معالجة مرضى التوحد ، فهي التي تأخذ بيده وتقوم بخدمته ليل نهار ، وهي العارفة بأحوال طفلها . ولكن يبقى السؤال: هل تقوم الأم بذلك بوازع الضمير والأمانة وبقدر من المهارة العلاجية المكتسبة أم أنها تقوم به حسب الطريقة التقليدية في العناية والرعاية دون مهارات علاجية ؟ ومهما كان الدافع لمسؤولية الأم في خدمة طفلها ومهارتها في ذلك هو الوسيلة الناجعة في استمرار تأقلم

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

مرضى التوحد في الأسرة وتمتعهم بحياة أقرب إلى الحياة الطبيعية التي يعيشها الاطفال
الأسوياء فهم يستحقونها مثل غيرهم كبشر .

علم نفس

الرغبة والشعور البشري د. حسن يحيى

الرغبات هي موضوع ، إن لم أكن مخطئا – حقيقي يمكن الوصول إليها بتراجع كامل في حالة الرأي العادي غير المردود . وهي أمور طبيعية أن نعتبر الرغبة في كنهها سلوك نحو شئ متخيل ، وليس حقيقيا ، وهذا الشئ يسمى الغاية أو موضوع الرغبة . وقد يعتبر بأنه الهدف لكل فعل ينشأ من تلك الرغبة . فنحن نفكر بمحتوى الرغبة كمحتوى العقيدة ، بينما يكون سلوكنا نحو المحتوى مختلفا . وحسب هذه النظرية ، حينما نقول: "أرجو أن تمطر قريبا " أو "أتوقع أن تمطر قريبا" فنحن نعبر في المثال الأول رغبة ، وفي المثال الثاني اعتقاد . مع أن المحتوى متشابه في الحالتين وهو منظر المطر . ولعل من السهل في هذه الحالة القول أن الاعتقاد هو شعور بالنسبة للمحتوى ، لذا فإن الرغبة تكون أمرا آخر . وحسب هذه النظرية فإن ما يأتي أولا بالنسبة للرغبة هو تخيل الشئ ، بمشاعر خاصة تخصه ، وبالذات شعور خاص نسميه "راغب" في الشئ. ويكون عدم الرضا مرتبطا بعدم حصول الرغبة ، والأفعال التي ترمي نحو إرضائها حسب وجهة النظر هذه أن كليهما يؤثر في الرغبة . لذا أعتقد أنه من العدل أن نقول أن وجهة النظر هذه تقف عائقا أمام الرفض وعدم القبول . ومع هذا ، أعتقد أن ذلك خطأ فادح ، لعدم القدرة على دحضه منطقيا ، ولكن الحقائق المتعددة ، يمكن التوصل إليها مما يجعلها سهلة من التعقيد وواضحة حتى تصل في النهاية إلى احتمال التخلص منها نهائيا والنظر إلى المشكلة بطرق جديدة كاملة . وأول الحقائق التي نصل إليها في التعامل مع وجهة النظر هذه حول الرغبة ، هي الدراسة التي قام بها علماء التحليل النفسي بالنسبة للكائن البشري ، وخاصة هؤلاء الذين يقاسون من الجنون بأنواعه ، فنجدهما ما يسمى بالرغبات "الكامنة" التي تكون قاسما مشتركا وتظهر خداعا للنفس. لذا فإن معظم المحللين النفسيين يولون أهمية أقل عند تحليل الرغبة ويكونون مهتمين في الاكتشاف حسب ملاحظات ما يرون أنه يشكل الرغبات عند البشر بدلا من اكتشاف حقيقة تكوينات الرغبة نفسها . لذا أعتقد أنه من الغريب أن نقول أن كل ما يكتشف من قبل هؤلاء لا قيمة له إذا كان تعبيراً لغويا حسب النظرية السلوكية للرغبة بدلا من لغة الاعتقاد اليومي . إن الوصف العام لهذه الظاهرة تجعلنا نسأل : إذا قال شخص أن رغبته كذا وكذا ، وأن هذه الرغبات تلهمه فيقوم بأفعال من أجل تحقيقها ، ولكن المشاهد من الخارج يرى تلك الرغبات أن الأفعال ماهي إلا لتحقيق نهايات مختلفة تماما عما يتخيله ذلك الشخص ، وأن هذه النهايات المختلفة ، ما هي إلا رغبات متوقعة وليست متخيلة . وبصفة عامة فإن الرغبات المتوقعة أقل قيمة من الرغبات المتخيلة ، لذا فإنها أقل قبولا منها ، وعليه فإن توقعاتنا ، موجودة كرغبات لأهداف تخدم النهايات ولكن في الجزء اللاواعي من العقل ، حيث يرفض المريض أن يقبلها في العقل اللاواعي خوفا من أن يفكر أنه نفسه

مريض. وليس هناك من شك في أن حالات كثيرة حسب هذه الفرضية تكون قابلة للتطبيق بدون صعوبة واضحة. ولكن بنظرة أعمق حسب مدخل فرويد إلى مناطق الغرائز، فكلما تعمقنا فيما يسمى بالرغبة في العقل الواعي، كلما قل احتمال كون الرغبة اعتقاداً بأن الاعتقاد النفسي الخاطي يغطي على أعيننا برؤية حقيقة الرغبات للأشياء في حياتنا. وبالنسبة لهذه الحالات فأنا نجد أن هناك خلافاً بين الملاحظ الخارجي للرغبة وبين المريض الراغب في العقل اللاواعي. وكل ما في الأمر بالنسبة للتحليل النفسي هو أن نتق بالملاحظ الخارجي وليس ما ينطق به المريض. وأعتقد أن هذه النقطة صحيحة بالكامل، ولكن الطلب من المريض إعادة تقرير ما تحويه الرغبة تكون في حالة القانون السببي لأفعالنا، وليس كشيء بالفعل موجود في عقولنا.

ولكن دعنا أولاً أن نجعل المقولة أكثر وضوحاً للخصائص الأساسية لهذه الظاهرة، ظاهرة الرغبة. فلو أن شخصاً قال أنه يرغب في شيء ما (ألف)، وأنه يقوم بفعل لتحقيق تلك الرغبة، فإننا نلاحظ أن أفعاله تقوده إلى نتائج مختلفة (باء)، وأن "باء" إنما هي نوع من النهايات التي تبدو أن تكون مستهدفة عند الحيوانات والإنسان الأول، لأن الإنسان المتمدن ليس من اللازم أن يعتبرها في الحسبان. ونحن أحياناً نجد أيضاً أن كل مجموعة الاعتقادات إنما هي كاذبة، ولا يمكن التعويل عليها في إقناع المريض أن ما حصل عليه لا يعني بالضرورة ما قصده في "ألف"، وإنما هو "باء". مثلاً لدينا رغبة لإيلام الآخرين الذين نكرهم، لذلك فإننا نعتقد أنهم أشرار، وأن العقاب لهم إنما هو جزاء يستحقونه وسيصح من سلوكهم، وهذا الاعتقاد يجعلنا نقوم بأفعال حسب رغبتنا في إيقاع الألم فيهم، بينما الاعتقاد بأن ما نقوم به هو تعبير عن رغبتنا في العقاب هو ذنب يدعو للتوبة عنه.

ولهذا السبب فإن قانون الجرائم طيلة عصور التاريخ هو الذي ألهمنا لإيقاع أقصى الألم لتصحيح مسار المجرمين، وعليه يبدو من السهل تفسير هذه الحالات على أنها نتيجة "خداع نفسي" ولكن هذا التفسير كثيراً ما يكون خرافة، فأكثر الناس بالنسبة للتفكير في العقوبات ليس لديهم حاجة في إخفاء دوافعهم الاتهامية في أنفسهم أكثر مما يخفون الفرضية المتنامية لرغبة الانتقام. فدوافعنا ليست نتيجة لملاحظات سببية ولكن تم اكتشافها عن طريق البحث العلمي لدراسة أفعالنا، من خلال اعتبار أنفسنا موضوعيين كما يجب كما نرى حركة الكواكب أو التحولات الكيميائية وتأثرها بواسطة إلها.

إن دراسة الحيوانات تؤكد هذه النتيجة، ومن طرق عديدة أفضل تفسير لتحليل الرغبة. ففي دراسة الحيوانات ليس لدينا مشاكل بالنسبة لاعتبار تأثير الأخلاق، بينما في التعامل مع الجنس البشري فإننا نتأثر بما نعرف عن العادات والتقاليد حول السلبية في الجرائم، فكم من البشر كانوا قد غبنوا ببناء عادات خرافية اعتبروها حكماً وأخلاقاً وليست مجرد تدخل علمي في الرغبة لمعرفة حقائق تنافي ما تعارف عليه البشر في هذا المجال. ولكن لا أحد يهتم فيما إذا كانت الحيوانات لديها أخلاق أم لا، وليس هناك من تفكير أساساً بأنها تعقل. وأكثر من هذا، فإننا لا نتوقع أن تكون الحيوانات واعية أو أنها جاهزة لترغب شيئاً وأن لها غرائز كالشعر وأن لها أهداف تعمل للحصول عليها كالصيد مثلاً، ونظراً لهذه الأسباب هناك الكثير عند تحليل العقل مما هو أكثر سهولة في الكشف عن طريق دراسة الحيوانات من الملاحظات الممكن الحصول عليها عند دراسة الجنس البشري.

ونحن جميعاً نعتقد أننا بمراقبة سلوك الحيوانات، نستطيع أن نكتشف أكثر أو أقل عن رغباتها، وفي هذه الحالة - وأنا أوافق عليها - فإن الرغبة عند الحيوانات يمكن ملاحظتها عن

طريق أفعالها ، لأنها الشيء الوحيد الذي نستطيع ملاحظته ، فهي قد يكون لديها عقل تحصل فيه أشياء كثيرة ولكننا لا نستطيع سبر غور تلك العقول ، ما عدا ما نراه من اختلاف في أفعالها ، وكلما درسنا هذه الاختلافات وفحصناها كلما ازداد الأمر غموضا ، فقد يبدو أن أفعال الحيوانات وحدها يجب أن تفسر أو تقيس الرغبات عندها ، وهذه خطوة يسيرة لاستنتاج أن رغبات الحيوانات ليست إلا خصائص لبعض تصرفاتها وأفعالها هذا بالنسبة لمن يعتبر أنها إلهام للرغبة كما هو الأمر . وعندما يلاحظ أن هذه الفكرة تقدم بعض الرضا حقل رغبة الحيوانات ، ولكنها من الصعوبة بمكان أن نرى أن هذه التفسيرات يمكن تطبيقها على رغبات الجنس البشري.

نحن نحكم بسهولة من خلال سلوك الحيوان إذا كان جائعا مثلا ، أو عطشانا ، أو أنه غاضب أو طبيعي في سلوكه ، أو خائف ، أو أنه خطير ، ولعل تبرير حكمنا وما نصل إليه من نتائج ممكنة ، يكون نتيجة تصرفات الحيوانات المباشرة كما نلاحظها . ومعظم الناس قد يقولون أن ما يرونه هو شيء ناتج عن عقل الحيوان ، سواء أكان جائعا أم خائفا ، أم غاضبا وهكذا . لذا فهي تصرفات تقود توقعاتهم وكأنها مخطط لها أو نتيجة لما يسبقها ، ولكن هذا التفسير المتوقع بأن عقل الحيوان له دخل في ذلك إنما هو عار عن الصحة ولا ضرورة له . ويمكننا أن نقول ببساطة أن سلوك الحيوانات خلال الدقيقة الأخيرة لها صفات تميزها بأنها "جائعة" مثلا ، وأن أفعالها في الدقيقة التي تليها لا تتغير كثيرا ، ما لم يتغير سلوكه بإيجاد الطعام . أو أنه تأثر لوجود سبب آخر أدى إلى ظهور الخوف عليها مثلا ، فاحيوان الجائع يبدو عليه عدم الارتياح ، فهو ينتقل من مكان إلى مكان آخر ، خاصة إلى المكان حيث يقدم الطعام له عادة ، فهو يشم ويشمشم ، عن طريق أنفه ، أو ينظر بعينه إلى المكان الذي يأتي منه الطعام ، فهذه الأعضاء تنبئنا بشيء ، فيتجه مثلا بقوة حال رؤية الطعام ، وإذا كان الطعام كافيا فإنه يبدو عليه الهدوء نوعا ما ، وهذه الأشياء يمكن ملاحظتها عند تمييز الجوع عند الحيوان ، أو عدم وجود الجوع ، وما دلنا على ذلك هو تصرفات الحيوان الخارجية (الجسدية) وهو جائع ، ولكنها لا تدل على حالة الحيوان العقلية ، مما يستعصي علينا ملاحظتها ، وما نراه نسميه "جوعا" وليس احتمال خرافي لشيء لا نعلمه عن عقل الحيوان .

والتعميم الحاصل في قضية الجوع عند الحيوان ، نستطيع القول أننا ندعو ذلك رغبة لدى الحيوان تترجم في عدة خطوات لها مميزات واضحة ، فهناك أولا حالة من النشاط والحركة مع صفات خاصة يمكن وصفها ، والنشاط يؤدي إلى نتيجة ، والحركات توصل إلى وضع الطعام ، وتبقى تلك الحركات حتى يصل الطعام ، فتتوقف أو يبدو الهدوء والسكينة على الحيوان . فهي دائرة من الأفعال والحركات تميز الحي من الميت ، ومن أجزائها أولا: أن الحركات تؤدي لنتيجة ، وثانيا: أن الحركات مستمرة حتى يصل الطعام ، ولا يمكن وصف تلك الحركات بأكثر من هذا القدر . إما لأنها تعبير عما يميز الحي الذي يتحرك عن الميت الذي لا يتحرك ، أو أنها حركات غائبة عن عقل الحيوان . بينما النباتات والخضروات المقدمة هي وسيلة للتعبير عن الرغبة أو الحاجة عند الحيوان . وكما نقول أن الأنهار "رغبات" تسير نحو البحر أو المحيط ، حيث يمكننا القول أنها تتحرك حتى تصل إلى مبتهاها سواء إلى البحر أو إلى مكان لا تبلغه فتتوقف عنده ، فنقول حققت ما أرادت وهي مندفعة نحو البحر حسب القوانين الفيزيائية ، وإذا عرفنا أكثر عن الحيوان فإننا نستطيع القول أن لديها رغبة ، حيث هناك بعض الأفعال التي يمكن نسبتها للجسد أو للتحويل الكيميائي الذي يجعوها للتصرف بشكل دون آخر .

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

بالإضافة إلى أن حركات الحيوانات لا تدل على أنها دوائر تخص الرغبة عندها ، فهناك أولا أن هذه الحركات إنما هي عضوية كالوقوع أو التزلق ، حيث تقوم الأعضاء بحركات ميكانيكية تجعل الحيوان يقوم بها مرغما ، كأنها تقريبا ، حركات مادة ميتة . فالحيوان الذي يقع من مكان عال يحاول محاولات لا تفيد وهو في الهواء قبل ارتطامه بالأرض بعوامل الجاذبية الأرضية ، نفس الحركات ستظهر على الحيوان كما لو كان ميتا . وفي هذه الحالة إذا مات الحيوان بعد الارتطام بالأرض فأول ما نراه خلال السقوط هو حالة عدم الارتياح حتى يصل إلى الأرض جثة هامدة ، ولا نستطيع القول أن الحيوان رغب في السقوط من عل . ولكنها حركات إما فرضتها الظروف وإما حينما استطاع الحيوان البقاء بعد السقوط فإنه لن يحاول الكرة ثانية .

ولعل هناك أسباب أخرى ، ولكن كلها لا ترتقي إلى رغبة للحديث عنها ، فبالإضافة إلى أنها حركات ميكانيكية ، هناك ما يمنعها مثل الطير في طريقه للطعام من محصول فيبتعد من جراء الحارس الذي يبعده عن المكان . فإذا وجدت العوائق وكانت دائرة الحركة قليلة الحركات ، فإن التغيير يصعب ملاحظته ، وتكون النتيجة لهذه الاعتبارات أن تكون مختلفة بين الحيوان الحي والمادة التي لا روح فيها . وحينما نحمل أنفسنا بعوامل وملاحظات ليست علمية وخارجية للسلوك المتناسك ، وهي شؤون تهتم بالدرجات الحركية فهي ليست مؤكدة علميا ، ولهذا السبب كان من السهل على البعض أن يتغنوا متخيلين أن الجمادات كالحجارة مثلا لديها نوع مبهم من الأرواح . والدليل أن الحيوانات لها أرواح ليس قويا ، حيث سينسحب ذلك على كل الجمادات والنبات ، وبالرغم من الحالات المبهمة والمشكوك في أمرها ، فإن وجود دائرة الحركات عند الحيوانات من خلال سلوكياتها ما هي إلا مميزات تميز الحي عن الميت ، أو الروح عن الجسد بدونها ، وأعتقد أن هذه الحركات هي التي تقودنا إلى وصف الرغبة للحيوانات ، حيث إنها تجعل تصرفاتها تشبه إلى حد بعيد ما يمكن تسميته أننا نعمل أشياء بناء على رغباتنا .

علم نفس

التحليل العقلي لمفهومي الرغبات والإعتقاد
وارتباطهما بالوعي والإدراك

في هذا المقال سنتعرض لموضوع هام هو التحليل العقلي لمفاهيم الوعي والإدراك مقابل الرغبات والإلإعتقاد ، فالفرق في المعنى بين مفهومي "الاعتقاد" و"الرغبة" أو "الاشتهاء" ، يلزم الباحثين على تعريف كلمة "عقلي" التي يوصف بها الوعي أو الإدراك لتخدم تعريف المفهومين .

سأحاول جهدي أن أفسر كلمة "عقلي" أولاً . فالعقل هو الأداة التي تقرأ وتحلل وتقدم الأفكار ، سلبية كانت تلك الأفكار أو إيجابية ، أو بينهما . فالنظرية السائدة حول مفهوم كلمة "عقلي" وكنت أحياناً من مؤيديها ، أن كل شيء عقلي له ميزات تخص ما يسمى بالوعي، سواء لشيء مرئي محسوس أو متخيل كمياً أو نوعياً . ولكني ما عدت أتبع تلك النظرية لأسباب عدة . وقد سبقني إليها مفكرون كثر ، ويمكن تلخيصها في جزأين:

الجزء الأول : السبب المباشر الذي ينتج عن التحليل والصعوبات في تعريف الوعي.
الجزء الثاني: السبب غير المباشر الذي يؤخذ من ملاحظة الحيوانات فيما يعرف بعلم النفس المقارن وما نلاحظه من جنون ذلك الوعي بشكل هستيري، وهو ما يتصل بعلم النفس التحليلي.

وبناء على هذين الجزأين في التحليل ، فإن الفلسفة الشعبية تفرق بين العقل والمادة . والمختصون أحياناً في قضايا العقل الإنساني يعترفون أنهم لا يعرفون ما يشكل العقل . أو كيف تتشكل المادة . ولكنهم يقفون مقتنعين أن هناك اتصال بين العقل والمادة ، فالإنثين معا ينتسبان إلى ما هو موجود بالفعل، في هذا العالم. فالعقل يتميز بمهارات وإمكانيات وكذلك المادة تتميز نوعاً وكما ، والفلاسفة عادة توصلوا إلى أن العقل خاصية يملكها الإنسان ، ولا يملكها الحيوان ، ولكن المادة تعتمد في وجودها على الرائي ومستوى حسه النظري واللمسي، لذا فإن العقل قد يكون متخيلاً أو غامضاً ، كنوع خاص من المادة، ولكن المادة كما نراها لن تكون عقلاً . لذا يمكن تصور العقل كما يراه بعض الفلاسفة من خلال التصرفات البشرية اليومية ، أما البعض الآخر فيرى العقل كمادة في الواقع للأحلام الشريرة ، ويمكن وصفها بالمثالية ، التي يختلف حول تعريفها الفلاسفة خاصة في تطبيقها في الواقع ، فالمثالية ما هي إلا تخيل ولا يمكن التوصل إليها أو التشبث بها كما نفعلاً عادة مع المادة خلال التصرفات الحياة اليومية للناس . ومن خلال ما سبق يمكن وصف الفلاسفة الذين يرون أن المادة هي الواقع المرئي وأن العقل مادة تنمو متأثرة بعوامل داخلية وخارجية عن الإنسان بأنهم "ماديون". وهم فئة قليلة من الفلاسفة ، ولكن بشكل عام وفي بعض الفترات التاريخية بين العلماء المتخصصين ، فالمثالية والمادية والأخلاق تنسجم مع بعضها البعض

لتشكل ردود فعل مرئية وملاحظة من قبل الرائي أو السامع أو اللامس . فهم يعرفون ما تعنيه مفاهيم " العقل " و "المادة" ويستطيعون المناقشة حولهما . ولكنهم كما أرى سواء الفلاسفة أو العلماء أنهم يبدون متشابهيين في خطأ المجادلة بينهم . ومن خلال خبراتنا المتواضعة ، وما تتشكل منه عقليتنا ، ففي اعتقادي لا العقل ولا المادة ، هما موضع البحث والمناقشة ولكن هناك شيء يسبقهما معا ، شيء بدائي ، فالمادة والعقل ينسجمان معا في تشكيلهما ، وأن وجودهما له علاقة بالإحساس الرابط بينهما أساسا ، وهما ينبعان من مصدر واحد ، فالمادة تدل على الوجودية الحسية ، ولكن العقل أكثر تعقيدا وأكثر صعوبة في التعريف ، وهذه النظرة هي التي تولد نظريات جديدة حولهما ، ويمكن تلخيص هذه النظريات أو الأنظمة الفكرية حولهما حسب أبحاثي وفحصي الدقيق لها ، وإن كان هناك شيء يمكن قوله هنا فهو حسب التقديرات السائدة لأن نميز العقل بالوعي، فنحن نقول أننا نعي ما نرى وما نسمع ، ونعي ما نتذكر ، ونفكر ونحس به ، فمثلا الكراسي والطاولات ليست أمثلة على الوعي . ونعتقد أننا باستخدام الكرسي للجلوس فنحن نعي عملية الجلوس على الكرسي، وليس وعيا بأن الكرسي يحتضننا . ولعلنا نصل إلى قناعة لا شك فيها وهي أننا مصيبون في اعتقادنا أن هناك فرقا واضحا بيننا كبشر وبين الكرسي في هذا المجال . وقد يؤخذ كلاهما كحقيقة في بحثنا . ولكن حالما نصل إلى تحديد الفرق بثبات دقيق بينهما فإننا نصطدم بصعوبات جمة . فالوعي حتمي وسهل ويمكن قبوله ، لأن طبيعته كليهما معقدة ، والمثاليات في تصرفات البشر تتكيف بالمادة ووجود الأشياء من حولنا ، فوجود الأشياء قد يدعى مثاليا ولها علاقة مع محيطها ، ولكنها تختلف عن تلك المكونات حولها ، فهي ما تعبر به عن نفسها متأثرة بالمادة من حولها . وإن كانت الأمور تبدو معقدة فنحن لا نستطيع أن نقول أننا نعرف المعنى بالقول أننا "واعين" أو أننا نملك "وعيا" مثاليا .

وقبل اعتبار النظريات الحديثة حول الوعي والعقل والمادة ، دعنا ننظر إلى الوعي من وجهة نظر نفسية متفق عليها بين علماء النفس ، وهي ما يوصف بالفعل ورد الفعل في تصرفات الأشخاص الطبيعية أو المتأثرة بعوامل خارجية ، وحتى نفهم ذلك لا بد من شرح بعض المناهج في معرفة الوعي. وأولها أن هناك منهج النظر أو الشعور كما نفهمه ونراه أو نفعله ، فنشكل رأيا حول ما نرى أو ما نسمع . فنحن نرى الطاولة أو الكرسي مثلا ونرى الحيوانات من خيول وقطط وكلاب وفئران ، كما نرى أصدقاءنا ومعرفتنا لقطع الطريق سالمين من الأذى ، وباختصار أي شيء نراه بأحاسيسنا . بحيث نسميه إدراكا أو تصورا ، فالإدراك وهو حسب علماء النفس شيء آخر ينفلنا ما وراء الإحساس المادي بما تمثله الأشياء ، فإذا سمعنا صوت الموسيقى مثلا فنحن لا نسمع صوتا فقط ، وإنما نتصور شخصا يصدر تلك الموسيقى باستعمال آله معينة ، كما نتأثر بتلك الموسيقى ونفرق بين أنواعها الحزينة أو السعيدة أو الخيالية ، وحين نرى الطاولة فنحن لا نرى فقط لونها وسطحها ، ولكن أيضا نستطيع الإحساس بأنها صلبة من مادة خشبية أو بلاستيكية أو معدنية ، إن إضافة عناصر ذلك الإحساس يتعدى ما تشعر به الحواس الخمس ، فتكون الإدراك ، وهو ما نعيه في عقولنا ويعبر عن مادة الطاولة والموسيقى والكرسي. لذا فالإدراك يوصلنا إلى الوعي بمعرفة الأشياء خلال إدراكها وليس فقط الإحساس بها . فنحن كبشر ندرك ما نحس به ونعيه عقليا . فالحيوان كالبقرة مثلا في الهند أو الجمل في بلدت كثيرة في الشرق الأوسط لا يدرك خطورة قطع الطريق ، بينما الطفل ذو الأربع سنوات يدرك خطورة ذلك . وهذا ما يقودنا إلى مفهوم جديد وهو الذاكرة المرتبطة بالإدراك . لأن الإدراك وعي ولكن الذاكرة تختلف عن الوعي ،

بأنها ربط الحوادث ببعضها البعض خلال الخبرات أو عمليات ربط المعلومات عن طريق التعلم . والصعوبة هي كيفية إدراك أشياء غير موجودة أمضى عليها زمن قصير أو طويل ، وهي مشاكل حول عدم وجود الوعي عند التذكر ، وهو أمر مشكوك فيه . فالإدراك يرتبط بالعقل والعقل يعي ويراجع ما سبق من ذكريات ، وما يميز الذاكرة هي أنها يمكن أن تفقد الوعي ، بسرحتها في التخيل ، كالحالم اليقظ في النهار، فإن كان يسوق سيارته فإنه قد لا يرى ولا يعي المخاطر على الطريق ، لأن ذاكرته تأخذ بعيدا عن الواقع فيفقد وعيه بما يرى ويسمع حتى يصاب برعشة تنقله من أحلامه وذكرياته ، زحن أحيانا نرى ذلك في حياتنا اليومية ، وكثيرا ما نسمع من نتكلم معهم بأنهم لم يدركوا ما نتكلم به ، فيقولون: أعد ما قلت ، فلم أسمعك ، لأن السامع كان يتذكر شيئا ما أخذ وعيه بعيدا عن الواقع فلم يسمع ما يقال. وكلأن له علاقة بأفة النسيان التي يصاب بها الناس في فترات معينة من حياتهم كلما تقدم العمر .

وتعتبر الذكرة خطوة هامة في ما نسميه "الأفكار" ، ليس بالمعنى الأفلاطوني المثالي ، ولكن بمعنى ما قصده جون لوك الفيلسوف البريطاني ، وببركلي وديفيد هيوم ، الذين كانوا على غير اتفاق مع "الأحاسيس والتعبيرات الحسية" فأنت تستطيع أن تدرك وتعي أن لك صديقا سواء رأيته بالفعل أم فكرت به وأنت لا تراه ، ومن خلال التفكير تستطيع أن تعي الأشياء التي لا يمكن رؤيتها كعنصر بشري أو شيء مادي . فالأفكار هي المدخل الضيق للإحساس عبر الوعي والإدراك ، الذين يشكلان الأفكار كعناصر تعارض التعبير أو الأحاسيس في الذاكرة .

أما الاعتقاد فشيء آخر لأن الناس تؤمن بشيء أو فكرة أو عقيدة قد تكون صحيحة كحقيقة ، أو مشكوك في أمرها كفرضية تحتاج إلى فحص وتدقيق ومناهج علمية لاستقصاء صحتها أو الشك فيها ، فالحق والباطل مثلا مفهومان قريبا في العقائد ولكن تعريفهما يختلف بين الناس ، فما يراه شخص بأنه حق له فيعتقد أنه حق طبيعي ، يعنبره شخص آخر باعتقاد قوي بأنه تسلط على حقوق الغير فهو باطل. ويمكن القول أن الإنسان عادة لا يرغب في الظهور مغفلا أو مجنونا أما الناس أو يوصف بالجنون ، وهو وعي وإدراك نفسي لا علاقة له بالذاكرة ، ولكنه اعتقاد قد يكون صحيحا أو غير صحيح .

وهذا ما يفرق بين الوعي والإدراك والإحساس ، مما يعطينا المعرفة بمعناها المحدد ، أو معرفة التفريق لتحديد الخطأ من الصواب. ولعل هذا ما يوصف بأنه أكثر تعقيدا مما سبق ذكره حول أنواع الوعي ، أو ما يمكن تسميته أيضا بالضمير الإنساني . ويتضمن الإدراك والوعي والأحاسيس . وإلى جانب كون المرء واعيا ، هناك أشياء توصف بالأمر العقلية ، كالرغبات والألم والسرور والخوف والسعادة والحزن . وهذه المفاهيم تثير مشاكل بحد ذاتها عند البشر على اختلاف تكوينهم ونشأتهم ومعارفهم ، وقوة شخصياتهم ، ولعل أكثر المشاكل هو مدى الوعي بهذه الأمور العقلية ومحاولات التخلص منها بذكاء ذهني يتكون من عناصر العقل وخلاياه.

علم نفس

الذكاء والعرق

د. حسن عبد القادر يحيى
RACE AND INTELLIGENCE
HASAN YAHYA, PH.D

في الستينات من هذا القرن العشرين كان هناك جدل في الولايات المتحدة حول علاقة الإبداع والذكاء بالجنس أو العرق وقد اعتمد الجدل على الفرضية التي مفادها: أن هناك مجموعات عرقية (كالبيض مثلا) أكثر ذكاء وإبداعا من مجموعات أخرى (كالسود مثلا) ، أو فرضية أن أبناء الأغنياء أكثر ذكاء من أبناء الفقراء ، وهكذا ، وهذه الفرضيات لا تتعارض مع أسس الأيديولوجية العرقية التي تفضل عرقا على آخر أو طبقة على أخرى فقط وإنما هي فرضيات مرفوضة أخلاقيا من الناحية الإسلامية والناحية العقلانية معا . فإذا رجعنا إلى التاريخ وجدنا أن الإغريق القدماء اعتبروا أن العبودية شيء طبيعي ، ولذلك هناك أناس يحكمون وهناك أناس تحت الحكم . وهذه الفرضية لا تعتمد على العقل بقدر ما تعتمد على أيديولوجية التفرقة العنصرية . وما هي إلا تبرير لاستعباد البشر الذين يخلقون على الفطرة أحرارا ، والقول المعروف إسلاميا خير شاهد : الناس سواسية كأسنان المشط ، ومتى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا . ومن هذه الفرضية أيضا ، ينبع اهتمام العلماء بالجماعات البدائية فيصنفونهم بعدم التفكير المنطقي أو أنهم ليسوا أذكيا ، وقد هوجمت هذه الفكرة من قبل مجموعة من علماء دراسة الإنسان وعلماء الاجتماع ومنهم كاتب هذا المقال ، فما بال الحضارة الفرعونية في أفريقيا وحضارة المايا في أمريكا اللاتينية وحضارة الصين في أقصى الشرق ، وحضارة سومر وأكد وحضارة البابليين في الشرق الأوسط ، فهل قامت هذه الحضارات وغيرها الكثير دون تفكير منطقي؟ ودفاعا عن الشعوب البدائية قام العالم المفكر فرانز باوس في دراسة له عام ، 1965 أثبت فيها أن الشعوب البدائية تتبع خطوط المنطق في تفسير حياتها اليومية (أي تتبع نمودجا في التفكير والعمل لا يقل تعقيدا النماذج المتبعة في المجتمعات المتحضرة) ، ونعطي مثلا هنا على الجماعات البدائية في عملية الصيد فنجد أن الصياد يبحث الوسيلة التي سيستخدمها لاصطياد الحيوانات أو الأسماك ، فيقوم بتحضير مكوناتها وصنعها وفحصها للتأكد من فعاليتها والعمل على تحسينها إذا فشلت في كفاءتها وتقييمها ، وتلك عملية منطقية في حل مشكلة إيجاد الطعام عند الإنسان البدائي. ألا تأخذ عملية صنع سيارة نفس الخطوات ونفس المنطق من تطوير وسائل المواصلات وتحضير المواد الخام وتجربتها بعد صنعها للتأكد من فعاليتها وكفاءتها وتقييمها؟ نعود إلى ما بدأنا به مقالنا عن الجدل في الولايات المتحدة حول الإبداع والذكاء وعلاقتها مع الجنس أو العرق ، فنجد أن الجدل يعتمد أساسا على قياسات واختبارات قام بها علماء أمريكيان مثل بينيت Binet وسميون Simon في عام ، 1905 وكان من نتائج أبحاثهم أن

مجموعات أمريكية مثل المكسيكيين والسود والهنود الحمر والإيطاليين والبرتغاليين سجلت درجات أدنى من المستوى المطلوب للإبداع الذي سجله البيض (من منتصف وشمال أوروبا). وبناء على تلك النتائج قامت دراسات عديدة وانتقادات كثيرة ضد هذه النتائج يمكن تلخيصها في النقاط التالية: فمن حيث المستوى الاجتماعي والاقتصادي الذي استعمل في الدراسة فإنه إذا تم حذف المتغير (وهو المسمى بالضابط إحصائياً) من المعادلة نجد أن الفرق العرقي ليس له أهمية، لأن المتغيرات التي تتألف منها المعادلة مثل عدد سني الدراسة تؤثر في النتائج. وهذا ما أثبتته سيمبسون Simpson ووينجر Yenger عام 1972 وأما النقطة الثانية وهي السبب الآخر في تفسير النتائج السابقة هو خطأ تشكيل العينة، ففي عملية البحث يحتاج الباحث إلى عينة تختار إحصائياً بحيث يكون لكل مشارك فيها من السكان نفس الحظ لانضمامه لها أو عدم انضمامه لها. ففي عملية البحث يحتاج الباحث إلى عينة لفحصها حتى تعم نتائج البحث على السكان الذين أختيرت من بينهم العينة والتي تمثل دورها المجموعة السكانية جغرافياً مع العناية بتوقع فارق صغير من هامش الخطأ المعياري. وعند ضبط هذا المتغير وجد أن السود في شمال الولايات المتحدة سجلوا نتائج أفضل من البيض في جنوبها. أما النقطة الثالثة التي تعترض نتائج البحث حول علاقة الإبداع والذكاء بالجنس أو العرق فهي أنها أكثر أهمية من العاملين السابقين وهي نقطة العامل الثقافي حيث يؤثر في نتائج الفحوص الخاصة بالإبداع، فمعظم الاختبارات في الولايات المتحدة تعتمد أساساً على اللغة الإنجليزية كنموذج مستعمل من قبل الطبقة الوسطى. ونظراً لعدم فهم اللغة أو صعوبة تفسيرها حسب العامل الثقافي فإن البعض يخطئ في الإجابة بينما يجب آخرون على الأسئلة بسهولة نادرة ويحققون نتائج أفضل. فالإجابة صحيحة من وجهة نظر الطرفين، ولكن واضح السؤال يريد إثبات فرضية ينادي بها. لذا فإن ملاءمة الأسئلة في اختبارات الإبداع والذكاء للمجموعة تشكل عاملاً أساسياً في تقليل الفروق العرقية. واعتراضاً على تلك النتائج قامت مجموعة من علماء النفس أمثال جنسن Jensen عام 1973 وماكجورك McGurk عام 1956 بتقديم تقارير عن أبحاثهم خلاصتها تأكيد أن فروق الإبداع والذكاء تعود إلى العرق بيولوجياً ولا تعود إلى الثقافة أو البيئة أو نوعية الاختبار. واعتراضاً على هذا القول قام أدريان دوف Dove عام 1968 وأثبت أن أن الفروق في نتائج الاختبارات لا تعود إلى أسباب بيولوجية وإنما تعود إلى عدم معرفة كل مجموعة لثقافة المجموعات الأخرى. لذا فإن لوضع الأسئلة أهمية بالغة في تحديد نوعية الإجابة ومعرفة النتائج مسبقاً، وهذه الاختبارات أعدت لإثبات إن السود أقل ذكاءً وإبداعاً من البيض. أو العكس أن البيض أكثر ذكاءً من السود. كما أن هناك جهد آخر قام به عالم نفس هو روبرت وليام William عام 1974 فقد أعد اختباراً للسود يحتوي معلومات يعرفها السود ولا يعرفها البيض، فوجد أن السود قد سجلوا أعلى درجة في الإبداع والذكاء من البيض. كما أثبت وليام أن نوعية الاختبارات لتناسب المجموعة التي تحت الاختبار لها أثر كبير على نتائج الاختبار منافية لما يقوله آخرون من أن العوامل البيولوجية والوراثية هي السبب في الفروق الإبداعية. كما أضاف عنصر آخر وهو أن اللغة التي تقدم بها الاختبارات لها أثر على النتائج، وقد قام وليام هذا بإثبات ذلك بتغيير الكلمات في الاختبار لتناسب الثقافة والتقاليد واللغة المستعملة بين السود، فوجد تغييراً في النتائج مما يدل قطعاً أن الاختبارات التي أثبتت أن البيض أكثر ذكاءً من السود وغيرهم كانت منحازة وما هي إلا اصطناع من البيض يؤيد الحس العنصري للفرقة بين الأعراق والأجناس. وخلاصة القول أن الفروق الإبداعية قد

تحصل في المجموعة الواحدة سواء أكانت من السود أم من البيض . كما تحصل بين المجموعات كوحدة منفصلة ، ولم تستطع النظريات الحديثة التوصل إلى نتيجة فاصلة في هذا الموضوع . فالبعض يدعي أن نوعية الاختبارات تناسب مجموعة دون أخرى فتظهر نتائج مثيرة للعنصرية . والبعض الآخر يرى أن الخلفية الثقافية والمستوى الاجتماعي يؤثران سلباً أو إيجاباً على النتائج . ويذهب فريق ثالث إلى أن هناك عناصر خاصة بيولوجية وراثية تقلل من الملكات الإبداعية ومستلزمات الذكاء. وليس هناك من حد قطعي لوجهات النظر هذه ، والمطلوب هو زيادة البحوث بشكل شمولي عام للإحاطة بهذه الظاهرة وعدم ربطها بمجموعة دون أخرى ، والكاتب يميل إلى أن عملية الإبداع فطرة متوارثة وثقافة مكتسبة ولا مقياس لأحدهما فعال دون قياس الآخر ، والجمع بينهما ربما يكون الأصوب في قياس القدرات الإبداعية ومستويات الذكاء. والسؤال هو: كيف يستفيد المربون والمربيات والمدرسون والمدرسات والمديرون (ظهورهم للنتائج) والمديرات من هذه البحوث وكيف يطبقونها في عمليات التدريس الإبداعي في مؤسساتهم ومدارسهم ؟ فهناك كثير من منتسبي معاهدهم ، من طالباتهم وطلابهم مبدعات ومبدعون وإن لم يظهر عليهم الإبداع.

علم نفس

تطبيق الإبداع في التربية

د. حسن عبد القادر يحيى

CRITICAL THINKING AS A LEARNING METHOD
HASAN YAHYA, PH.D

خلصنا في المقال السابق حول الإبداع إلى القول بأن الفروق الإبداعية قد تحصل في المجموعة الواحدة سواء أكانت من السود أم من البيض . كما تحصل بين المجموعات كوحدة منفصلة ، وأن النظريات الحديثة لم تستطع التوصل إلى نتيجة فاصلة في هذا الموضوع . فالبعض يدعي أن نوعية الاختبارات تناسب مجموعة دون أخرى فتظهر نتائج مثيرة للعنصرية . والبعض الآخر يرى أن الخلفية الثقافية والمستوى الاجتماعي يؤثران سلبا أو إيجابا على النتائج . ويذهب فريق ثالث إلى أن هناك عناصر خاصة بيولوجية ورائية تقلل من الملكات الإبداعية ومستلزمات الذكاء. وليس هناك من حد قطعي لوجهات النظر هذه ، والمطلوب هو زيادة البحوث بشكل شمولي عام للإحاطة بهذه الظاهرة وعدم ربطها بمجموعة دون أخرى ، والكاتب يميل إلى أن عملية الإبداع فطرة متوارثة وثقافة مكتسبة ولا مقياس لأحدهما فعال دون قياس الآخر ، والجمع بينهما ربما يكون الأكثر صوابا في قياس القدرات الإبداعية ومستويات الذكاء. في هذا المقال نجيب على السؤال الذي طرحناه وهو: كيف يستفيد المربون والمربيات والمدرسون والمدرسات والمديرون (ظهورهم للنتائج) والمديرات من هذه البحوث وكيف يطبقونها في عمليات التدريس الإبداعي في مؤسساتهم ومدارسهم ؟ علما بأن هناك عددا كبيرا من منتسبي معاهدهم ، من طالباتهم وطلابهم مبدعات ومبدعون وإن لم يظهر عليهم الإبداع.

كما نعلم فإن البشر غير متساوين في ملكاتهم وقدراتهم العقلية والعاطفية ، ففوق كل ذي علم عليم ، ولا يستوى العالم والجاهل ، والطالبات والطلاب بشر ، لذا فهم مستويات مختلفة أي هم غير متساوين . ففيهم الأغنياء عقلا وثروة وفيهم الفقراء عقلا وثروة ، وفيهم القادرون المتمرسون خبرة على الإجابة والإبداع ، وفيهم الغير قادرين على ممارسة الإبداع لظروف خاصة بهم دون غيرهم ، وبعضهم لا يحب المادة التي يدرسونها ، لأي سبب من الأسباب ، كشخصية المدرس مثلا أو شخصية المدرسة ، أو نوعية طرائق التدريس والتعلم ، أو من تأثير الأسرة ، وآخرون يحبون المادة الدراسية فيقبلون عليها دراسة وتحصيلا بنهم غريب . إن مهمة المدرسين والمدرسات في فصولهم مهمة جليلة ومقدسة ، وهم كالدينامو المحرك للطاقت في فصولهم ، ونظرا لأنهم يحبون التسلسل المنطقي فإني أقترح عليهم النقاط التالية:

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

1. أن يقوموا بدراسة عادات طلابهم وطالباتهم الدراسية ،لذا فعليهم أن لا يعاملوا الطالبات والطلاب بنفس المعاملة لاختلاف المستويات بينهم.
 2. أن يقوموا بالإصغاء أكثر من الكلام ،لذا فعليهم استخدام تقسيم الفصل إلى مجموعات تتناسب والمستويات التحصيلية.
 3. أن يكونوا عادلين في المعاملة ويشرحوا للطالبات والطلاب ما يرونه من أهداف الدرس ، لذا عليهم اختراع طرق تصورية إبداعية لاستخدام مخيلة الدارسات والدارسين في تصور قضايا مجتمعية ومشاكل تهمهم .
 4. تنقسم الحصة إلى قسمين ،الأول للبحث والتقصي حول موضوع الدرس ،وما تبقى من الحصة للمناقشة والنقد الإبداعي من كل مجموعة .
 5. مبدأ العدالة في العقاب والثواب وذلك لبناء الثقة المتبادلة بين الطالبات والطلاب من جهة وبين المدرسات والمدرسين من جهة أخرى . وستجد المدرسة كما سيدد المدرس أن بعض الطالبات أو بعض الطلاب قد سجلوا سبقا في أحد المجالات دون غيرها لذا فعليهم أن يقوموا بتنمية ذلك المجال ومدح عقلية تلك الفتاة المبدعة ،وتشجيعها على الإبداع في ذلك المجال . أو تقدير مقدرة الطالبة على الاستيعاب بزرع الثقة في النفوس ،والاطمئنان في القلوب ، لتعطي عملية التعلم أفضل نتائجها .
 6. اختراع جدول يومي للمبدعات في حصة ،وتسليم أمر القائمة للطالبات حيث يخترن صاحبة الفكرة الإبداعية ،وكذلك مع الطلاب .
 7. أن تكون هناك اجتماعات دورية بين المدرسين وتبادل زيارات لتبادل الأفكار والخبرات واختيار الأكثر فائدة من هذه الأفكار والتخلص أو التقليل من الأفكار السلبية حول النشاطات الإبداعية . كما يكون التبادل بضم أجزاء من الصفوف أو كلها في نشاطات إبداعية ومسابقات تعاونية حول تصورات مستقبلية وقضايا وهمية لتنمية الإبداع ،مثل العلوم الاجتماعية : ماذا سيكون تأثير السيارات على المجتمع لو لم يكن للسيارات مكايح للفرامل . أو ماذا لو انقطعت الكهرباء عن المطار فجأة ودامت ست ساعات ؟ ماذا لو كنت في جزيرة غير مأهولة فكيف تتصرف ؟ وهكذا . ماذا لو كان لنا قدم واحدة وعين واحدة وأذن واحدة ؟ فكيف نتصرف ؟ وما أثر ذلك على الحضارات الرومانية واليونانية والعربية والغربية؟
 8. أن يطلعوا على نظريات الإبداع الفردي والجماعي ،وكيفية تطويرها وتطويرها لخدمة الطلاب والطالبات ،وتعطي مرونة النظريات قوة للمدرسات والمدرسين في زيادة المرونة في وضع الأسئلة لتتناسب المستويات المختلفة في الفصل ،لا أن تكون خاصة بمجموعة معينة دون الأخرى ،ولا تكون سهلة إلى حد لا نفرق بين المبدع والذي هو في طريقه إلى الإبداع ،فمثل هذه المرونة شرط في فهم العوامل النفسية عند الطالبات والطلاب وأثر هذه العوامل على السلوك النفسي والتحصيلي .
- ولعل خير من يقوم بعملية تشجيع المدرسين والمدرسات على الإبداع وتجميع المدرسين للنقاش هي الإدارة الحكيمة في المدارس أو من يعاونهم من المدرسين المبدعين والمدرسات المبدعات ،أو مستويات إدارية أعلى مستوى كإدارات المناطق أو الوزارة التي يمكن لها أن تعمم تجربة ناجحة في مدرسة ما على مدارس ومناطق أخرى .

علم نفس

الإبداع والتفكير النقدي

د. حسن عبد القادر يحيى

CREATIVITY AND CRITICAL THINKING
HASAN YAHYA, PH.D

لم يعد النظر إلى الإبداع بأنه وراثي كما كان سائدا في الثلث الأول من هذا القرن، بل أصبح مهارة يمكن تعلمها واكتساب قدراتها عن طريق تنمية علاقات التداخل مع الناس الآخرين . وبمعنى آخر فإنه يمكن تكوين العبقري إذا أحسن تعليمه وتدريبه لا بصفاته الخلقية الوراثية وإنما بتمييزه من بين أقرانه لخبرته ومقدرته ومهارته . وقد أكد البحث العلمي على أن الاستعدادات المبدعة يمكن اكتسابها وتكوينها وتنميتها وتطويرها عن طريق مختصين في مجالها. وهنا تكمن أهمية التربية والتعليم في صقل الشخصية الإنسانية المبدعة ، التي من خلالها يتم تطوير الإبداع وتهيئة المبدعين ليأخذوا مكانهم في قيادة مؤسسات المجتمع السياسية ومنظّماته الاجتماعية وشركاته الاقتصادية . ويكاد يتفق العديد من علماء الاجتماع وعلماء النفس حول العوامل النفسية والاجتماعية الإيجابية التي تدفع الأفراد والجماعات إلى الإبداع والتفكير الإبداعي والعمل بجدية وفعالية ومن هذه العوامل الإيجابية: القيادة الحكيمة ، والصدق في العمل ، ومهارة التعامل في العلاقات الإنسانية ، التقييم الموضوعي للعمل ، والنزاهة ، والاستقامة في العلاقات في إطار الجماعة الصغيرة أو الكبيرة. أما العوامل السلبية التي تؤثر في عدم إبداع الناس وتساهم في عدم إنتاجهم فمنها: عدم تقبل التغيير من خلال مقاومة كل جديد ، ومواقف عدم الثقة من الأشخاص المبدعين كمبدأ تنافسي يعتمد المحاباة والمجاملة والمحسوبية ، وعدم احترام شروط الإبداع ، وتفكك العلاقات الاجتماعية وعدم تماسك أو تسامح أفراد المجموعات ، والحقد المتبادل بين المجموعات. وللإبداع شروط وخطوات لا بد من توافرها حتى يبدي الفرد منفردا أو من خلال عضويته ضمن جماعة متخصصة في شيء ما . وقد ورد في كتاب الإبداع العام والخاص لألكسندرو روشكا السؤال التالي حول العصف الذهني الذي يؤدي إلى الإبداع ، وهو "ماذا يمكن أن يحصل لو فقد كل الناس على الكرة الأرضية قدرتهم على الرؤية ؟

تعتبر هذه الفرضيات من ضمن الأسئلة التي تستخدم عادة لما يطلق عليه "العصف الذهني" في العملية التربوية . خاصة إذا طرح السؤال على مجموعة من الطالبات بدلا من طرحه على طالبة بمفردها. وقد أثبتت البحوث العلمية أن المشاركة في مناقشة مثل هذه الأسئلة من قبل المجموعات تشتت من خلال الاستماع لأراء الآخرين . حيث يشجع الفرد عضوا آخر في

الفريق أو المجموعة المشاركة في النقاش من أجل التوصل إلى إبداعات الفكر في حل المشاكل المتصورة . ففي مثل هذا النوع من النقاش يمكن توليد الأفكار العديدة والمختلفة . ولكن ترتيب الأفكار يحتاج إلى إدارة فعالة للمجموعة . وقد تعودت خلال تدريسي للثقافة الإسلامية بطرح عدد من القضايا التي تحرك الإبداع الفكري والنقد الإبداعي في دراسة تاريخ الثقافة الإسلامية ، مثل : ماذا لو انتصر المشركون في غزوة بدر ؟ فكيف سيكون مسار التاريخ الإسلامي ؟ أو ماذا لو لم يتم فتح مكة سلميا فماذا ستكون النتيجة ؟ أو ماذا لو لم يهاجر الرسول عليه السلام إلى المدينة ، فكيف سيكون مستقبل الإسلام ؟ أو ماذا لو قام خالد بن الوليد بالعصيان على سياسة عمر بن الخطاب لعزله من مركزه كقائد للجيش الإسلامية ؟ أو ماذا لو انتصر الروم في معركة اليرموك ؟ أو ماذا لو كانت نتيجة معركة عين جالوت أو القادسية على غير ما يشتهي المسلمون فما ستكون النتيجة ؟

وقد وجدت أن الطلبة حتى يتصوروا عكس ما حصل فإنهم حريصون على إعادة بناء ما حصل فعلا ليفهموه جيدا قبل أن يتصوروا عكس ما حصل . وبهذه الطريقة كانت النقاشات بين أفراد المجموعات وتقسيم الأعمال بين المشاركين تأخذ منهم وقتا للتنظيم وتحديد الصلاحيات ، فمنهم من يقوم بملاحظة التداخلات والاتصالات بين أفراد المجموعة الواحدة أو الاتصالات بين المجموعات ، ومنهم من يحدد الوقت لإنهاء المناقشة ، ومنهم من يجمع المعلومات اللازمة لإعادة بناء الأحداث ويقوم آخرون بتحليل المعلومات وتنظيمها حسب عنصرى الزمان والمكان وأدوار المشاركين في المجال السياسي والمجال الاقتصادي والمجال الاجتماعي . وقبل أن نصل إلى المناقشة العامة لما حصل تقوم مجموعة أخرى برسم خطوط لأحداث تاريخية أخرى ورسم تصورات لتلك الأحداث بعكس ما نعرفه عنها .

ولترسيخ عنوان هذا المقال الإبداع والتفكير النقدي ، فإن التفكير بصوت عال بحيث يسمع الآخرون كيف يفكر القائد مثلا يساعد المشاركين في المجموعات على فهم العملية العقلية في تدرج مراحل التفكير وتطور الأفكار الاستهلالية والاستنتاجية من خلال طرح أفكار جديدة واستنباط أفكار معاكسة أو رسم أفكار جديدة بناء على ما هو مطروح من حقائق الأحداث التاريخية والتراثية. فلو أعطينا الطلاب أو الطالبات مسألة مثلا وطلبنا منهم أن يجمعوا حروفها بحيث يكون لكل حرف قيمة رقمية ، ويكون المجموع كلمة ثلاثة مثل: اجمعي الباء والألف (ب أ) مع الألف والباء (أ ب) ليكون الجواب : باب (ب أ ب) ، وستجد الطالبات بعد عدة محاولات أن الجواب سيكون بالأمثا ، وأن الألف والباء لن يتعديا الرقم 99 ، لأن الأول يكون في خانة الأحاد بينما يكون الثاني في خانة العشرات ، والجواب سيكون سهلا ولكنه لن يقل عن 100 ، باستعمال عدة محاولات أو تجربة عدة احتمالات ، حيث سيكون الجواب (ب أ ب) ولكن التفكير في المسألة بصوت عال يفيد الطالبات السامعات فيتعلمن التحليل للاحتتماليات للوصول إلى الحل الأمثل . ومنه أيضا جمع كلمتي دونالد DONALD وجيرالد GERALD بالإنجليزية ليكون الجواب روبرت ROBERT ، مع معرفة أن الحرف دال يساوي 5 أي (D = 5).

وتحضيرا للأجيال الجامعية التي ستتولى قيادة المؤسسات والشركات والمنظمات الوطنية والعالمية مع بداية الألفية الثالثة فإن عددا من الأسئلة التي تساعد على التفكير الإبداعي أيضا السؤال التالي: ماذا لو انقطعت الكهرباء عن المدينة لمدة أسبوع ، فماذا ستكون النتيجة ؟ وكيف يتصرف المسؤولون في هذه الحالة ، وكيف تجابه الدولة تلك المشكلة ؟ وما الوسائل والاتصالات التي يحتاجها فريق عمل كلف بالتقليل من أثر تلك المشكلة ؟ أو ماذا لو لم

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

تخترع الكهرباء ، أو ماذا لو قام زلزال في جزيرة ما أو دولة ما فما هي وسائل التعاون المقترحة بين دول العالم ؟ وكيف يحصل التنسيق بين المؤسسات في المجالات الإعلامية والتطوعية لتقديم الخدمات المطلوبة؟ ومع أن الكهرباء لن تنقطع عن المدينة لمدة أسبوع ، والكهرباء اخترعت ، والزلزال لم يحصل ، وفتح مكة لن يتغير تاريخيا ولا معركة اليرموك أو عين جالوت عن نتائجها التاريخية المعروفة ، فإن هذه النشاطات تنمي التفكير الإبداعي بين طلبة وطالبات الجامعة وتساهم في تدريبهم على أدوار سيقومون بها أو بمثلها في قيادة المجموعات وتنمية المهارات في مجالات التخطيط والبحث العلمي واتخاذ القرارات الحرجة تدعمها المصادر التاريخية والمعلومات البيئية والسياسية والاجتماعية .

علم نفس

السعادة

د. حسن عبد القادر يحيى
جامعة ميشيغان – الولايات المتحدة
HAPPINESS
HASAN YAHYA, PH.D

السعادة هي شعور يفرح النفس والروح معا ويريحهما ، فمثلا نلاحظ الشعور الذي يحسه الإنسان بعد تحقيق شيء له أهمية خاصة عاطفية في حياته كالنجاح بعد الدراسة المرهقة أو الشفاء من مرض عضال ميؤوس من التخلص منه ، أو عودة حبيب أو أخ أو ابن بعد طول غياب. أو بعد تحقيق ربح لجائزة تفوق التوقع الإنساني ، مثل ربح جائزة المليون دولار أو كيلو من الذهب (كما الحال في مهرجان التسوق الذي جرى في دبي) أو ربح سيارة من الجرائد التي تعلن عن مثل تلك المسابقات . كل هذه الأمور تدعو إلى السعادة في العصر الحاضر ، فهل كانت هذه الأسباب من مقومات السعادة في العصور القديمة؟ ربما ، وقد قرأنا أن تلك المقومات لا تزيد عن ثلاثة في العهد اليوناني أو الهليني القديم وهي: امتلاك بيت والحصول على زوجة ، وامتلاك ثور . وهذه مقومات السعادة عند الكثيرين في العصور القديمة ، لأن البيت يعطي الأمان والطمأنينة ويحمي من عوامل الطبيعة ونكباتها في البرد والشرد ، وكذلك الزوجة فهي من مكملات السعادة لأنها تعطي الراحة النفسية والجسدية وتقوم بخدمة مهمات البيت كما يجب ، وأما الثور فهو العنصر الثالث للسعادة في العصور القديمة وهو يساعد في نقل الأثقال والقيام بالحرث والأعمال الزراعية بالإضافة إلى فائدته كطعام ولباس وحاجات ضرورية كالقرون والحوافر . والبيت سابق على الدولة عند أرسطو وهو الأساس لجلب السلامة والأمن والطمأنينة . أما الأسرة فهي أساس مكونات الدولة، والحياة الأسرية هي التي تجعل المجتمع يستمر والبيت هو الذي يقدم الحاجات الضرورية لسكانه. ووظيفة الدولة ليس لحماية الملكية (البيت والأرض) فقط ، وإنما لحفظ الأمن والمساعدة على جعل الحياة للناس أفضل وأكثر سعادة. وليست السعادة في الحرية ولا في الأوقات السعيدة وهي ليست هدية من الجنة. ولكنها رهن بتحقيق الإنسان لها على الأرض. والسعادة في رأي أرسطو هي: السلوك الإنساني حسب الفضيلة. (فسعادة الإنسان تكمن في فعل الخير - وهذه الفكرة قريبة الشبه بالإسلام) فالفضيلة إذن عند أرسطو هي أساس السعادة. وهي فوق القوة والقدرة على عمل شيء وتتضمن التقدير الاجتماعي والاحترام. والسعادة وصف لقيمة مالكها. وتعني القوة التي هي خاصة بالفرد وتجعل منه إنسانا كاملا. ومما يميز الإنسان عن الحيوان في نظر أرسطو ، قدرته العقلية وهو يعتبرها أعلى ما يحوزه المرء من فضائل. وأما وسيلة الإنسان لتنشيط تلك الفضيلة فهي استعمال

العقل ، وف رأيه أن البشر ليسوا قادرين على الكمال والشعور بالسعادة المطلقة. ولا يستطيع المرء الحصول على السعادة الحقيقية (المطلقة) لأنها صعبة التحقيق وأبعد من متناوله في الحياة الدنيا . ويرى أرسطو في الرجل الطيب أنه قيثاره تصدح بالموسيقى التي تشغل الروح بالفضيلة. فإذا كانت هناك أكثر من فضيلة فإن نشاط الروح يكون من أفضل الفضائل. والسعادة ليست حالة أخلاقية لأن النائم لا يشعر بالسعادة وهو نائم. وليست هي حالة الثراء المادي ، والقول أن البضائع والمستهلكات تجلب السعادة كالقول أن القيثاره تعزف الموسيقى. وليست السعادة الحصول على القوة أو الحصول على الشرف. والبحث عنهما يكون لاستعمالهما من أجل التوصل إلى السعادة، وليست السعادة شهوة جسدية أو مجانية الألم وإلا كان الحيوان أكثر سعادة من باقي المخلوقات عند صيده فريسته. وحسب اعتقاد أرسطو فإن السعادة ليست صفة للحياة لأن النبات يشارك الإنسان فيها ولكن النبات ليست عنده قابلية للسعادة . وليس من المبالغ فيه القول أن السعادة تعتبر أعلى ما في الإنسان من طيبة وخير كمقياس لتحقيق الذات. وليست السعادة شيئاً بجانب الأشياء الأخرى وإنما هي الشيء المرغوب أكثر من غيره من الأشياء. ورغم أن هذا أمراً معروفاً بين الناس إلا أنهم يختلفون في معناها ووسائل تحقيقها.

طبيعة السعادة: لا بد من تحليل وظيفة الإنسان للحكم على سعاده ، فما وظيفته؟ إن وظيفة الإنسان في رأي أرسطو ليست الحياة الإنسانية فقط أو القدرة على البقاء ، لأن المخلوقات الأخرى تشاركه فيها كالنبات والحيوان. كما أن السعادة ليست مظهراً لزيادة الحاجات وامتلاك الصحة. وأما الشيء الثاني فوظيفة الإنسان ليست الاحساس والمشاعر بالحياة ، لأن الحيوانات من الخيول والماشية والجمال والغزلان تشاركه في ذلك. فلم يبق من وظيفة للإنسان إلا الحياة العملية المنطقية التي لا توجد إلا بوجود الإنسان. ولكن الجزء المنطقي له جانبان: أولهما انقياده للعقل. والثاني هو امتلاك العقل والذكاء. ومن الصعوبة بمكان أن يكون الناس منقادين بعقولهم التي تدعوهم لعمل الخير وفي نفس الوقت يجدون صعوبة في التحكم بتلك العقول التي تنحرف بهم أحياناً إلى عمل الشر. والحل عند أرسطو أن الحياة العملية يمكن تفسيرها بطريقتين: حالة أخلاقية ندعو وحالة نشاطية تأتمر بالعقل الخير ، والنشاط الروحي في الحياة أكثر واقعية من التصور. وسعادة الإنسان تكمن في وظيفته اذن وهي النشاط الروحي الذي ياتمر الإنسان بفعله عن طريق العقل وليس مستقلاً عنه.

هل تعتبر السعادة سبباً أم نتيجة لسبب آخر؟ إن كانت سبباً فهي فردية وقد تكون جماعية ، فالسعادة قد يسببها الفرد بشخصيته ، ويترجمها بسلوكة ، ويطبعها بتصرفاته ، وقد يسببها الآخرون ممن حولنا خاصة ممن نحبهم ويبادلونا الحب والاحترام والتقدير. وإن كانت نتيجة فهي جماعية وقد تكون فردية أيضاً . فالسعادة تظهر على الآخرين كما تظهر على الأفراد من حولنا .

أما عن العوامل التي تخلق السعادة أو التعاسة فهناك عوامل داخلية تسبب السعادة أو التعاسة، وهناك أيضاً عوامل خارجية تعتبر سبباً أو أسباباً للسعادة أو التعاسة ، فالسعادة تكمن في وصف النفس كما هي لا كما يجب أن يراها الناس ، إذ أن القناعة كنز لا يفنى كما يقال . ومعرفة حدود القدرة الإنسانية تبعث على السعادة بلا شك .

وهناك حواجز تمنع حصول السعادة : مثل الأقنعة والتظاهر بما ليس حقيقياً في حياة البشر، ومنها حواجز الأسرار ، وقلة العقل ، والشعور بالجوع والعطش ، وحواجز ضعف الشخصية . والشعور بالندم والأسف ، والنظر إلى ما في أيدي الناس مما يسمى بالحدس ،

ومقارنة النفس بالآخرين ، بالإضافة إلى الحواجز المانعة للسعادة السابقة، هناك حواجز الفشل أو الصعوبة في تحقيق الأهداف المرسومة لقلة أو ضعف الوسائل ، والنظر إلى النصف الفارغ من الكأس لا النصف المملء منه ، وبناء على ما سبق ذكره فإن هناك من هو سعيد بعقله ، ومن هو سعيد ببطنه ، ومن هو سعيد بمظهره ، وكذلك من هو سعيد بنفسه ، أو بغيره .

والبساطة أحيانا تجلب السعادة: ألا نذكر قصة زوربا اليوناني ، ذلك الرجل البسيط ، الذي يرقص كلما تأزمت الحياة في وجهه وتعقدت ، وفي الصراحة راحة أحيانا ، خاصة مع النفس ومع الآخرين ، وفي القرار بأن نكون سعداء (متفائلين) تكمن السعادة ، وليس في التعاسة (أو التشاؤم) . وتعتبر السعادة حقاً مشروعاً لكل إنسان ولكنها تختلف باختلاف الدور الذي نلعبه كأم ، أو كآب ، أو كمعلم ، أو كطالبة ، أو كتاجر ، أو كسفير . وتختلف معايير السعادة باختلاف العمر : فالصغير يختلف في سعادته عن سعادة مقتبل العمر . كما تختلف معايير السعادة باعتبار الاختلاف في المستوى التعليمي : فالسعادة عند الجاهل الذي لا يقرأ ولا يكتب تختلف عن السعادة عند قليل التعليم أو متوسط التعليم أو عند خريج الجامعة .

وقد تكون الوظيفة عاملاً من عوامل السعادة : وقد تكون الوظيفة مناسبة فتجلب السعادة ، وقد لا تكون مناسبة فتجلب التعاسة ، والقناعة عنصر فعال في السعادة لأن القناعة كنز لا يفنى فهي تمنع الحسد والنظر إلى ما في أيدي الناس ، وقد تؤثر عوامل أخرى مثل الميول والرغبات في السعادة وفيما إذا كانت هذه الميول بريئة أو غير بريئة أو هي خير أو شر . وفيما يلي إجمال لبعض النصائح للحصول على السعادة والتمتع بها : أن تكون السعادة أولاً الهدف للحياة وليس الوسيلة لشيء آخر ، والحلم بالسعادة يجلب السعادة ، والشعور بالسعادة يجلب السعادة ، والصدق في التعامل مع الناس ، والانفتاح والتمتع بعدم تكديس الأسرار يجلب السعادة ، والإصغاء للغير والمشاركة في نشاطاتهم يجلب السعادة ، والتعني والاتصاف بالقناعة يجلب السعادة ، وأخيراً فإن الثقة بالنفس مهما صغرت أو حققت تجلب السعادة ، وحب الناس للناس للآخرين يجلب السعادة ، ويمنع الكراهية . فالنفس كتاب مفتوح تفتح قلوب الناس ، والتعبير عن النفس بصدق ودون أقنعة يؤدي إلى السعادة ، والسعادة سلام مع النفس ، ومشاركة للآخرين ، وتؤدي إلى تعاون ومحبة واحترام بين الناس .

علم نفس

السعادة بمقياسين

كتب حسن يحيى – ولاية ميشيغان

السعادة كلمة جميلة ولكنها كلمة نسبية ، فتراتنا قصيرة ولكنها متكررة ، وهي محدودة غير دائمة ، ويمر الفرد بالسعادة في حياته مرات ومرات ، وقد ترحل عن الأفراد بلا عودة . السعادة تتنافى مع العقل ، فالغبي هو السعيد دوما ، فكل غبي سعيد ، أما أصحاب العقول النيرة فيبينهم وبين السعادة حواجز تعلق أو تقصر حسب عقولهم ، والغباء ينتقي مع السعادة الحقيقية التي يشعر بها العقلاء ، والناس يفضلون أن يتهنؤوا بالعقل ولا يحبون أن يتهنؤوا بالغباء ، فاسعادة شعور نفسي يظهر من خلال الشفاء الباسمة من بني البشر هل سمعت يوما شخصا يضحك بملء فيه أي بقوة وبصوت عال مؤجرا؟ نحن نعلم أن الحديث بين الأقران والأصدقاء تتخلله ضحكات وقفشات تتناوب في الظهور خاصة عند الشباب فهم يضحكون بمتعة فائقة وكان الحياة خلّت من المنغصات السياسية والاجتماعية ، والشباب حين يلتقي أمثالهم يشعرون بسعادة اللقاء ، فمهما كان موضوع الحديث تافها إلا أنه يجلب الضحكات والبسمات .

عكس السعادة هو التعاسة ، وهي الخلو من الآلام لفترة محدودة أو فترات متكررة دائمة ، أو محدودة ، هي محصلة الحياة الانفعالية بين الناس ، فإذا زادت الآلام وقلت اللذات قلت معها السعادة ، وكذا الحال كلما زادت الأفراح على الأتراح كلما زادت السعادة ودامت مع دوام الأفراح ، وهناك آلام مادية جسدية وأخرى معنوية ، وقد ينجو الفرد من الآلام الجسدية مع الزمن ، وقلما ينجو الفرد من الآلام النفسية أو المعنوية ، أعرف أشخاصا لا يعرفون السعادة بعد أن فقدوا حبيباً أو صديقاً . وأعرف أشخاصا حاولوا التخلص من الشعور بالأسى والآلام التي تتراكم بفقد غال عليهم فكانت سعادتهم نسبية وقتية ومحدودة . ورجائي لكل إنسان رجل أم امرأة أن تتغلب اللذات في حياتهم كالنجاح وتحقيق الأهداف والحب على الآلام كفقد الحبيب أو الفشل في الحب والحياة حتى يعيشوا بسعادة دائمة ، ولكن الحال الواحد لا يدوم ، والتغير صفة من صفات الإنسان في العقل والجسد والتعامل مع الناس والخبرات ودرجات السعادة . فكيف تكون السعادة في الغرب مقارنة بالسعادة في الشرق؟

يبحث الغربيون عن السعادة من خلال الحركة والتفاعل وتقليل الآلام وزيادة اللذات ، فهم لا يكتفون بقليل اللذات وإنما يسعون إلى منتهائها ، ويبدلون الجهود للحصول عليها ، ويحاولون تقليل الآلام مدة ونوعية ، ففي كثرة المشقة والتعب من أجل اللذة عندهم سعادة زائدة ، وكلما زادت المشقة زادت السعادة مثل صعود الجبال ، والتزلج والمسابقات العنيفة ، وكلها تحتاج

حركة وتموجا ، أما الشرقيون فيميلون إلى الدعة والاستقرار وتقليل الألام بتقليل الحركة والتفاعل ، فهم إذا خرجوا للتنزه مثلا فإنهم يبحثون عن منطقة جميلة هادئة تطلها الأشجار ويأخذون معهم القهوة والأرجيلة والأبسطة للجلوس أو التمدد عليها ، وتلك هي اللذة عندهم . فإذا رأوا طفلا يسرع أو يحاول تسلق شجرة ليتفاعل مع بيئته تراهم ينهرونه خوفا عليه من الوقوع أو إيذاء نفسه ، فالنزهة عند الشرقيين جلوس وأكل وشرب واستلقاء وسكون واستمتاع ، أما عند الغربيين فالنزهة جد ونشاط وحركة ولعب وركض وقفز وقص وإنشاد ورقص . وشتان ما بينهما في اقتناص اللذات والحصول على السعادة . وعند الشرقيين يعتبر الخروج عن العادات والتقاليد نوع من سوء الأدب وقلة الحياء والغباء والوقاحة بالخروج عن طاعة الآباء ، لذا فهم يستعملون وسائل الترهيب لضبط السلوك عند أطفالهم ، أما عند الغربيين فالخروج عن التراث والتقاليد يعتبر ابتكارا وإبداعا وذكاء وهم يشجعون أطفالهم عليه ويمدحونهم ويحثوهم على التجديد الدائم .

مقالات في الحضار الإنسانية

مقدمة في حضارات الأمم

د. حسن عبد القادر يحيى
أستاذ بجامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

INTRODUCTION TO WORLD CIVILIZATION
HASAN YAHYA, PH.D

نظرا لأن لكل حضارة من الحضارات عبر التاريخ أعمدة فكرية بقيت ساطعة عبر الزمان والمكان، فإن أعمدة الحضارة الهلينية سقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس. وأعمدة حضارات الهند بوذا ومانو، وأعمدة حضارة الصين زارادشت وكونفوشيوس. وأعمدة الحضارة الأوروبية روسو وبيكون ومونتسكيو وديسكارت وباريتو وفيكو وغاليليو وكومت وماركس. أما أعمدة الحضارة الإسلامية فهم فلاسفتها وعلماؤها في الفقه والتفسير والحديث والعلوم الطبيعية والاجتماعية والفلسفة والطب والفضاء والمنطق. وقد بدأت حضارة الدولة الإسلامية في القرن السابع الميلادي. وما أن انتهى القرن الثامن الميلادي حتى استقرت مؤسسات الدولة في دمشق ثم في بغداد. وبدأ التعريب في هذا القرن كما قامت الدولة العباسية بتشجيع العلم والعلماء الذين ترجموا وألفوا في شتى الميادين العلمية والأدبية. وقد اهتم خلفاؤها باحتضان أهل الدين وأهل الفلسفة الاغريقية، وفي القرن التاسع الميلادي قام النصراني السريان بعملية ترجمة الفلسفة الفلاطونية والفكر اليوناني. كما تمت تراجم من الفارسية والهندية في الرياضيات والفلك وعلم التنجيم. ونقسم الفلاسفة العرب المسلمين حسب ظهورهم مكانيا في الشرق الإسلامي والغرب الإسلامي (فيما يعرف ببلاد الأندلس وشمال أفريقية). فقد أفرزت الحضارة الإسلامية عددا من الأئمة والفلاسفة والعلماء في شتى العلوم كالأئمة الأربعة وابن تيمية والغزالي وابن رشد وابن خلدون، والخوارزمي، والكندي والرازي، والفارابي، وابن سينا وغيرهم. وفيما يلي وصف قصير لبعض المفكرين ممن توصل اليهم علمنا ونبدأ بالحضارة الهلينية التي تعتبر بحق أساسا لحضارتي الشرق والغرب معا فطوعها الشرق الإسلامي للعقيدة واتخذها الغرب كعماد لحضارته.

الحضارة الهلينية: (776 ق.م-338 ق.م) بدأت الفترة الهلينية عام 776 ق.م. وفيها وجدت الألعاب الأولمبية التي وحدت بين الهيلينيين كشعب واحد متحد. وانتهت الفترة الهلينية في عام 338 ق.م. حيث انتهت على يد فيليب المقدوني. وفقدت اليونان استقلالها الحقيقي وأدخلت ضمن امبراطورية الاسكندر المقدوني. وقد أنجبت هذه الفترة كلا من سقراط وتلميذه أفلاطون وتلميذه أرسطوطاليس وفيما يلي نبذة عن كل منهم.

قدم سقراط (399-469 ق.م) الى المحاكمة أمام 500 من المحلفين واتهم بالزندقة لأنه قال أن هناك اله واحد. وليس كما هو واقع عدة الهة. واتهم بأنه دنس عقول الشباب وأخلاقهم لأنه طلب منهم التفكير في الفضائل. وقد كان قادرا على حقن دمه الا أنه رفض. وحكمت عليه المحكمة بالموت. وأرسل الى السجن فعرض عليه أتباعه تهريبه الا أنه رفض أيضا. فسقراط وعمره سبعون عاما لا يجب أن يتخلى عن مبادئه التي عاش من أجلها. وقد قال قولته المشهورة: هؤلاء الذين دفنوا سقراط لم يدفنوا سوى جسده.

أفلاطون (427-347 ق.م) لا شيء باق تحت الشمس ، كل شيء له بداية يجب أن يكون له نهاية. ان الجهل الأكثر اذاء للدولة والأفراد ليس الجهل في حقل التكنولوجيا أو في حقول التخصص ولكن الجهل هو الجهل الروحي. وما التعليم الا تدريب للروح والقيم والأخلاق. والمعرفة ليس من أجلها وإنما من أجل استعمالها في الحياة اليومية. وليست المعرفة معلومات بل حكمة فالمعرفة هي الفضيلة والجهل عكسها. وليس هناك من فاصل بين المعرفة والعمل. والعقل أعلى منزلة من الشهوة. والناس ليسوا متساوين فهم كالمعادن منهم الذهب ولهم القوة والشرف ومنهم الفضة للمساعدة ومنهم الصناعات وأصحاب الحرف. وقف ضد التقسيمات الاجتماعية حسب العوامل الوراثية بالولادة. فقد يكون الأب من فريق الذهب ويكون له ابنا من فريق الفضة. وقد يكون العكس فيكون الولد من فريق الذهب ويكون الأب من فريق الفضة. ومن كتبه "الجمهورية" و"القوانين". وقد ناقش طبيعة الحياة الفاضلة في المجتمع.

أرسطو طاليس (384-322 ق.م) كان تلميذا لأفلاطون، تزوج بثياس ، وكان معلما لاسكندر المقدوني حين كان عمره 13 سنة. وقبل مماته عن عمر بلغ 62 عاما، أطلق لعبيده الحرية وأوصى بدفن زوجته بجانبه. كان أرسطو عالما سياسيا وشاعرا. وقد قيل عنه أنه أفضل رجل متعلم مشى على وجه الأرض. وقد أطلق عليه لقب المعلم الأول. وحسب رأيه فان الانسان هو مركز الاهتمام والمقياس كبرياؤه وقيمته. والانسان الفاني ليس قادرا على الكمال. والعالم خلو من الأخلاق الفاضلة. ومن كتابيه ، الأخلاق والسياسة نتعرف على أفكاره الاجتماعية.

مناهج علم أرسطو: منهج الاستنتاج عنده يتكون من الخبرة ومن استطاع ذلك فهو من العلماء. والسلوغسم Syllogism لا يكتشف الحقيقة وإنما يوضح ويوسع مدارك ويحدد الأفكار المقبولة كحقيقة. والسلوغسم هي: عملية عقلية حيث ان هناك حقائق معينة تفرض شيئا مختلفا عن هذه الحقائق وتنتج ما فيها من فضائل. والأمثلة: سقراط رجل خالد (قاعدة أساسية)، سقراط رجل (قاعدة ثانوية-فرعية)، اذن سقراط خالد (النتيجة) وهنا تقوم عملية السيلوغسم على حذف المفهوم العام وهو الرجل. والسلوغسم يقدم فحص الثبات على المبدأ وليس الحقيقة. وبما أن النهاية أو النتيجة ستكون صحيحة فانها صحيحة كنتيجة لفرضياتها المقبولة . وبما أنه لم يشرح كيف أن السلوغسم ما يمكن قبوله كحقيقة الا أنه يرينا الطريقة للوصول الى النتائج المعينة التي نضع لها فرضيات معينة. ولكن اذا كان الفكر وحده لا يوصلنا الى الحقيقة فكيف نصل اليها؟ حسب أرسطو يمكننا التوصل الى الحقيقة عن طريقين: الاحساس والفكر. فالفكر يحتاج خبرة والاحساس يحتاج الغور (insight) في أسباب الظواهر ولا يمكن فهم الأسباب عن طريق الحواس فقط ولكن عن طريق العقل. وعادة تبدأ المعرفة بالخبرة وتكون كاملة بواسطة منهج الاستنتاج. وهي خاصية للانسان وحده فهو القادر عليها. ولم يعرف أرسطو أن غور الأشياء للتأكد منها يسمى في العصر الحديث فرضية تحتاج لفحص حتى يتم قبولها. وقد وثق في العقل وبالغ في تقديره لقوة العقل

الانساني لفهم العمليات مباشرة وحالا ومع يقين. أما السيلوغسم فيفترض جمهورا يقبل فرضياته.

مبدأ السببية عند أرسطو: العلم الحديث يبحث عن سبب واحد أو عن علاقات سببية بين الأشياء. أما أرسطو فقد سأل أكثر من ذلك. وأعطى مثلا لجسر سقط فجأة فما هي أسباب سقوطه؟ العلم يعطيك تفسيراً معيناً وهو أن سبب تداعي الجسر هو تلف في جزء من بنائه. ولكن كيف نفسر فقدان أرواح بعض الناس الذين كانوا ضحية لسقوط الجسر؟ لعلنا نريد معرفة الظروف التي أدت بشخص معين ليتواجد في لحظة سقوط الجسر ليموت. لذا فإن البحث والتساؤل هنا ينتقل بنا من مستوى تحليل سببي إلى مستوى تحليلي أعلى. فإذا بلغ شخص ذلك المستوى فإنه يصل إلى جو غريب لا يستطيع العالم أن يلج فيه. فهو من الأمور الغامضة التي لا يستطيع الإنسان العالم تفسيرها. وبناء على ما شرحه أرسطو عن أسباب سقوط الجسر يقول أن هناك أربعة أسباب أو أسس موجودة أصلاً في أي موجود حقيقي أو تصوري: (1) المادة: مثل وعاء الفخار وهو من مادة الفخار، (2) الشكل الذي يتخذه الشيء، (3) الفاعلية (بواسطة صانع قام بعمل الوعاء) وأخيراً، (4) النتيجة أو الهدف (الذي من أجله تم صنع الوعاء الفخاري. والعلوم الحديثة تهتم بالمادة والفاعلية أكثر من سببي الشكل والهدف اللذين يركز عليهما أرسطو كأسباب أكثر أهمية من المادة والفاعلية. ففي سقوط الجسر كان أرسطو يرغب في النظر إلى التصميم والهدف من وراء التصميم. وعند التطبيق فهو يعيد نفسه إلى أسهل أشكال التحليل السببي ولكنه يعتبر التساؤل عن النهايات والأهداف كأهم جزء في التحليل العلمي. فقبول التصميم والهدف في مجال العلم لا يمهد فقط الطريق إلى الإيمان بقوة خارقة غامضة وهي أساس العقيدة. وإنما من أجل التوصل إلى المعرفة الإيجابية لوجود الخالق. وهذا ما جعل الكنيسة في القرون الوسطى إلى اعتبار أرسطو قديساً.

مقالات في الحضار الإنسانية

الحضارات والدول-1

STATES AND CIVILIZATIONS/1
HASAN YAHYA, PH.D

كتبت العبارة التالية: "لو دامت لغيرك ما اتصلت إليك" على بوابة أحد القصور. والعبارة حكمة تاريخية تصف أحوال الحكم وتشير إلى مبدأ مهم في قيام وسقوط الدول وهو مبدأ عدم دوامها. فلو دامت السلطة لأحد في الماضي لما اتصلت إلى حكام اليوم. ومثلها عبارة " دوام الحال محال ". إن التاريخ الذي نعرفه من خلال السجلات والكتب والمراجع إنما هو تاريخ المنتصر المتمتع بالحياة من أصحاب القوة والسطوة والمال . ورغم ذلك فإن التاريخ يعتبر خير معلم للناس العامة منهم والمتخصصين. وقبل الولوج في موضوع هذا الكتاب وهو عوامل قيام وسقوط الدول نسأل ونجيب على السؤال التالي:

هل الحصول على المعرفة في مجال التاريخ مقيد بشروط اجتماعية أو سياسية؟ والجواب عن السؤال يكون إيجابياً أو سلبياً. فإذا كانت الإجابة بالإيجاب فإنه لا موضوعية في العلوم الاجتماعية الخاصة بتاريخ الشعوب ، وأن كل معرفة تم الحصول عليها ضمن الشروط المحددة إنما هي نسبية لمن يسمعها أو يقولها وهذا ما يطلق عليه بالمعرفة المثالية الأيديولوجية التي تمجد ما لا يستحق التمجيد أحياناً أو تتهم زوراً من لا يستحق الاتهام أحياناً أخرى . وإذا كانت الإجابة بالنفي فإن إمكانية وجود العلم المنطقي الموضوعي يمكن أن تحصل وهذا ما يطلق عليه المعرفة الموضوعية العلمية ، وهي التي نسعى إليها ونحاول تطبيقها في هذه المقالة. وبناء على هذا المنهج العلمي فإن هناك أسئلة لا بد من الإجابة عنها ومنها: هل يعد تعاقب الحضارات والدول أمر طبيعي أم أمر تحتّمه الصراعات بين الناس حول الملكية الروحية أو المادية؟ وما هي السلطة التي تسجل التاريخ؟ وما هو السهل وما هو الصعب وما هو المستحيل في بناء المعلومات والمعرفة في العلوم الاجتماعية؟ وكيف نفهم نوايا الأفراد أو الحكومات من ظواهر تصرفاتهم ومشاركتهم في البناء الحضاري العام لمجتمعاتهم؟ أو كيف نربط بين النيات (الأيديولوجيات) والنشاطات الإنسانية؟ وكيف نحكم على حضارة أو دولة ما بأنها بدأت أو زالت أو أنها مازالت مستمرة؟ من خلال ما تطرحه هذه الأسئلة ومع الأخذ في الاعتبار اختلاف عاملي الزمان والمكان عند الإجابة عليها يتبين القارئ والباحث معاً مدى صعوبة دراسة العلوم الاجتماعية والسياسية في مجال قيام وسقوط الدول. وستحاول هذه الدراسة الإجابة على هذه الأسئلة بصورة مختصرة تساعد القارئ العادي والمبتدئ أو حتى المتخصص في فهم دراسة التاريخ الاجتماعي ومقارنة حضارات الشرق بحضارات الغرب من حيث أيديولوجياتها وتراثها ومساهماتها في الحضارة الإنسانية بشكل عام. فالعالم الحديث حسب رأينا هو استمرار للعالم القديم . وليس لحدثة العالم الذي نعيش فيه اليوم أي أهمية إذا انقطع اتصاله بما مضى من الحقب التاريخية المتعاقبة .

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: كيف ولماذا تتغير المجتمعات؟ لقد أخذ هذان السؤالان من علماء الاجتماع الوقت والجهد الزائدين للإجابة عليهما. فمئذ أوغست كومت وماركس وفيكو وكوندرست في نظرتهم الشاملة لتطور المجتمعات البشرية لم ينظر إلى تغير النظم الاجتماعية ولا السياسية بمنظار شامل وعام إلا عددا قليلا من الدارسين. ونظرا لفرضيات كل مجموعة منهم كانت هناك اختلافات في اجابات من تبعهم من دارسي الشعوب ونظم معيشتهم . فمئذ ما يقارب الخمسة قرون ذكر ابن خلدون أن أعمار الدول كأعمار الأشخاص تنمو من ضعف إلى قوة ومن قوة إلى ضعف حتى تزول. وقد عمم نظريته تلك على أعمار الدول وحددها بثلاثة أجيال كل جيل منها مدته أربعون سنة. وعليه فإن أعمار الدول لا تتعدى في رأيه المائة والعشرين عاما. أما الشواذ من الأمم التي تدوم أكثر من ذلك فإن استمرارها يعتمد على قوة الحاكم ومدى بسطه لسلطته وتوسعه في إصلاحاته التي يعيش في كنفها الحكام من بعده زمنا يقل أو يقصر تبعا لهذه الإصلاحات. وتتطور المجتمعات عند ابن خلدون من مرحلة البداءة إلى مرحلة الحضارة أو العيش في المدن حيث يكثر عدد السكان وتتفرع احتياجاتهم التي يعتمدون في توفيرها على الآخرين. وبناء على ذلك فإن تقسيم العمل وتعدد الحرف والصناعات وزيادة الخدمات ما هي إلا نتائج لتجمع السكان في المدن. ومن المفكرين المعاصرين مثلا جيرهارد لينسكي الذي يعتقد أن التغير الاجتماعي إنما هو مسألة تختص بالتقدم التكنولوجي والمخترعات الحديثة حيث يتغير المجتمع بمدى تقدم هذه الوسائل العلمية والتكنولوجية وتغير المجتمع يحتاج تكنولوجيا جديدة وهكذا. بعكس ماركس الذي رأى أن المجتمع يتغير من جراء تضارب مصالح الطبقات العاملة مع الطبقات المالكة لوسائل الإنتاج والتوزيع وجعل الأساس في التغير عدم العدالة في توزيع الثروة بين العمال وأصحاب العمل. وكان فيبر يقف موقفا مضادا أيضا من ماركس، حيث أنه ينظر الى عامل المثالية في عملية التغير الاجتماعي. وقد أوضح أن الفكر في حالاته المتعددة إنما يجب أن يؤخذ كعامل تغيير أكثر من العامل المادي الذي يراه ماركس. ويعتقد فيبر أن تغير المجتمع يتبع قواعد وأصول بيروقراطية تختص بعلاقة العامل مع صاحب العمل حسب نظم وقواعد تملئها مصلحة الطرفين. أما تالكوت بارسونز الذي اهتم بمدى استقرار المجتمع فانه يرى أن التغير الاجتماعي هو نتيجة تداخل الاختلافات الموجودة في المجتمع ويتغير المجتمع بمدى تعقيد هذه الاختلافات حيث تحتاج الى ديناميكية خاصة لحلها أو السيطرة عليها. وعليه يمكن القول أن المجتمعات تتغير اما بعوامل داخلية أو عوامل خارجية. وما سبق ذكره اعلاه انما يصف العوامل الداخلية فقط. وتتوسع قليلا فيما يراه كل من أصحاب النظريات اعلاه. أما لينسكي فيعتقد أن التغير الاجتماعي انما يعتمد على تطور التكنولوجيا وان العلاقة بينهما مضطربة بمعنى أن كلا منهما يؤثر في الآخر. فالتكنولوجيا تغير المجتمع والتغير في المجتمع يزيد من تقدم التكنولوجيا الحديثة. كما يربط لينسكي بين تغير المجتمع وبين تغير وظائف العائلة. فيما اذا كانت تلك الوظائف لجمع الغذاء أو لصيده أو لصنعه. ولم تعد العائلة اليوم تعتمد على نفسها في صنع غذائها وملابسها ووسائل دفاعها. وقد فصل لينسكي المجتمعات إلى مجتمعات بدائية ، وتستعمل أدوات غير متقدمة في حياتها اليومية، ومجتمعات زراعية: تستعمل الحيوانات لخدمتها، ومجتمعات صناعية وهي التي ظهرت قبل 250 عاما في أوروبا واستغلت الطاقة لخدمتها وزيادة صناعاتها. وفي هذه المجتمعات زاد عدد المدن وهجر الناس الأرياف واستعملوا العلم ليزيد من الإنتاج الآلي بدلا من الأيدي العاملة. وأخيرا مجتمعات تكنولوجية متقدمة ، وفي هذه المجتمعات يزداد عدم المساواة بين

الطبقات وتصبح البيئة مهددة لسببين أخذنا من العلماء أبحاثاً مستمرة وقد أعادوها إلى التقدم في صنع الأسلحة الفتاكة وإلى زيادة عوامل إفساد البيئة الطبيعية بالدخان والغازات السامة. أما ماركس: فقد فهم المجتمع والتغير الاجتماعي من خلال مفهوم عدم المساواة والتفاوت الطبقي في المجتمع. وتظهر هذه الطبقات من خلال تداخلها مع وسائل الإنتاج وتملكها. ومن هنا ظهر تحليله لنظرية التصادم القائم على المادة دون النظر إلى السلوك والعقل الإنساني. وبعد أن درس ماركس المجتمعات الإنسانية عبر التاريخ وجد أن التغير في المجتمعات القديمة البدائية إنما يقوم على علاقة العبد بسيده. أما المجتمعات الزراعية فقوم على الإقطاعيين أصحاب الأرض والفلاحين العاملين فيها. وفي المجتمعات الصناعية يرى أن العلاقة إنما تحولت إلى علاقة البرجوازيين (أصحاب المال) والبروليتاريا (العمال والمستخدمين) ومن خلال البحث عن طرق جديدة لزيادة الإنتاج أصبح العامل كالألة فزادت انطواءه وانزواءه عن غيره من العمال. وقد اعتبر ماركس هذا الانزواء هو الحس الذي ربط العمال معا. وبدلاً من أن يكون هذا الحس زائفاً من خلال العمل اعتبره حساً طبقياً يجمع العمال حوله فيثورون لهدم الرأسمالية وبناء الاشتراكية والشيوعية.

أما هربرت سبنسر فقد اعتقد بالتطور الأحادي للمجتمعات من مجتمعات بسيطة إلى مجتمعات معقدة وهو يتبع في ذلك نظرية النشوء والارتقاء لداروين. أما أوغست كومت فقد قسم التطور البشري إلى أطوار ثلاث هي: والرجعية والتقليدية والعلمية.

أما تالكوت بارسونز فيعتبر المجتمع كنسق له أجزاء تتداخل فيما بينها، ومهما تضاربت هذه الأجزاء فإنها دائماً تصل إلى حالة تعادل لاستقرار المجتمع. وبناء على ما قدمه بارسونز من أمثلة نظرية فهو يعتقد أن للمجتمعات عدة وظائف تساهم في استمرارية المجتمع بهدوء ومن هذه الوظائف: التنبؤ البيئي، وتحقيق الأهداف، وانسجام الأجزاء واصلاح الأخطاء (أي حل الخلافات). وفي رأيه أن في المجتمعات الحديثة مؤسسات متعددة تقوم بوظيفة أو أكثر من هذه الوظائف. وتعمل المؤسسات جميعها على استمرارية المجتمع بدون قلاقل. كما يرى بارسونز أن مؤسسات المجتمع تعمل على عدة مستويات هي:

المستوى السلوكي (Behavioral) والمستوى الفردي (Individual)، والمستوى الاجتماعي (Social) والمستوى الثقافي (Cultural) ولكل من هذه المستويات قوته ومقدرته للمساهمة في بناء المجتمع كوحدة متجانسة متكاملة. وقد قسم بارسونز المجتمعات إلى: مجتمعات بدائية (Primitive)، ومجتمعات مرحلية (Transitional)، ومجتمعات حديثة (Modern). ففي المجتمع البدائي تكون العائلة هي المؤسسة الوحيدة التي تهتم بجمع الغذاء وصنعه وتوزيعه، أما في المجتمعات المتحضرة فتوجد مؤسسات كثيرة بالإضافة إلى الأسرة مثل: المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية والتعليمية.

وبالنسبة لماكس فيبر: فقد اعتبر أن المنهج المثالي من خلال الفكر الإنساني المنطقي هو العامل القوي في تغير المجتمع. ويرى أن المجتمعات السابقة قد اعتمدت على الاقطاع وعدم العدل. إلا أن المجتمع الصناعي الرأسمالي اعتمد العقل والمنطق في تغيير المجتمع عن طريق العمل وزيادة التصنيع. وقد برهن على نظريته هذه بأن التقدم الحاصل حالياً في الغرب إنما ينبع من الفكرة التي نادى بها كالفن ورسم مسار التصنيع الرأسمالي. والمنطق والعقل الراجح هما أساس البيروقراطية التي تنشئ المنظمات والمؤسسات على قواعد وقوانين مرعية يتبعها جميع الأفراد، فتضمن لهم الحرية والعدالة، وذلك من خلال القيادة الحكيمة المتخصصة. ومن خلال التدرج الوظيفي حسب الخبرة والتعلم. فإذا طبقت القوانين

على جميع الأفراد بنفس القياس المثالي فان المجتمع سيتغير بمنطق وعقل وليس بناء على مادية بحت.

أما سوروكين Pitirim Sorokin 1968-1889 وهو عالم اجتماع أمريكي من أصل روسي فيعتبر مثل بارسونز من أصحاب النظريات العامة في دراسة المجتمعات. وقد اشتهر بنظرية التطور الدائري للمجتمعات واعتقد بان المجتمعات قد انتقلت عبر التاريخ خلال دائرة مكونة من ثلاثة مراحل في فهم الواقع هي: المرحلة الحسية المادية ، والمرحلة الروحية الدينية، والمرحلة العقلانية والمنطقية . ولكل مرحلة ميزات خاصة بالشعوب وتغير سلوكياتها وبناء حضارتها.

مقالات في الحضار الإنسانية

حضرارات والدول - 2

د. حسن عبد القادر يحيى

أستاذ بجامعة ميشيغان - الولايات المتحدة

STATES AND CIVILIZATIONS/2

HASAN YAHYA, PH.D

أصل مفهوم التحضر من الحضرة (السكن في المدينة) وهو عكس البداوة أو الريف (السكن في الأرياف والبادية). وقد اتخذ المفهوم في السنوات الخمسين الماضية بعدا جديدا فأصبح يعني السكن في المدينة واستعمال الوسائل الآلية والتكنولوجية المصنوعة لتسهيل المعيشة كالمباني والمصاعد والسيارات والطائرات والأجهزة الالكترونية والتكنولوجية الحديثة. وقد اختلفت وجهات النظر بين علماء الاجتماع في تحديد ماهية التحضر أو التمدن أو التحديث MODERNIZATION وأسباب حصوله في مجتمعات دون غيرها. وقد اعتبر فريق منهم التصنيع واستخدام التكنولوجيا الحديثة عاملا مهما واداة فعالة في التقدم الحضاري وزيادة الانتاج القومي لاي مجتمع. ويدعم هذا الفريق رأيه باعطاء المثل التالي: إن العامل في مصنع له راتب يمكنه من شراء ما يحتاج اليه من ملابس ومشرب ومأكل بل ويضيف الى حياة عائلته وسائل ترفيه اخترعتها التكنولوجيا الحديثة مثل التلفاز والمذياع والمسجلات والسيارات وأجهزة الكمبيوتر وهي وسائل تنقل معلومات ومعارف عن حضرارات أمم قريبة أو بعيدة آلاف الاميال فتزيد من معلوماته وتقربه واسرته من العالم الذي يحيط به , وتساعده على انتشار التحضر والتمدن. ويضيف هذا الفريق أن حاجة الناس الى التصنيع تدعوهم لتحسين وضعهم ووضع أولادهم من خلال تحسين درجة تعليمهم وتوجيههم الى دراسة حقول جديدة خاصة تحتاجها مجالات التصنيع والصناعة .

ويرى فريق آخر أن الحضارة أو التمدن إنما تكمن في التنمية الريفية. حيث ان تحسين حياة الناس إنما يأتي من زيادة الطعام المستغل عن طريق استصلاح الأراضي الزراعية وتوثيق روابط الأسرة . ويدعم هذا الفريق رأيه بقوله أن التنمية الزراعية هي خطوة سابقة وهامة تنقل أي مجتمع الى حقل التصنيع الزراعي مما يستدعي خلق فرص جديدة وعديدة لوظائف يحتاجها المجتمع المتحضر .

أما الفريق الثالث فيذهب الى أن التمدن يحتاج إلى تنمية وطنية شاملة اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وتهتم هذه النظرية بتطوير النوعية البشرية بالتدريب والتعليم. ولا يحصل تمدن عند هذا الفريق إلا إذا اجتمعت هذه المجالات الثلاث, فمن رفع المستويات الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية للأفراد تترعرع الحضارة حيث يشارك الأفراد مشاركة فعالة في توجيه حياتهم الخاصة كأفراد وتوجيه مصادر الدولة أو البيئة كجماعات لتخدم الأعداد السكانية المتزايدة .

وقد يوجد فريق رابع فينخذ وجهة نظر مخالفة جزئيا حيث تربط بين وجهات النظر الأخرى أو بعضها كأن يخلط التصنيع كسبب للتحضّر مع الزراعة، أو يخلط السياسة بالاجتماع، وقد ينفرد عالم آخر بتحديد أكثر لمفهوم التمدن والتحضّر فينظر إليها من منظار وطني فيدعو إلى إعادة تشكيل محتوى الثقافة في الكتب المدرسية وطرق نقل المعرفة عبر أجهزة الإعلام السمعية والبصرية. أو يدعو إلى الاهتمام بالحاجات اليومية للشعوب وتوفيرها لأنها المفتاح للتحضّر والتمدن. وقد يدعو آخر إلى الاهتمام بالتخطيط على المدى الطويل مما يخدم أهدافا مرحلية لوطن أو جزء من الوطن.

وتلخيصا لما سبق حسب رأي العلماء فإن نظرياتهم حول أسباب التمدن أو التحضر أو التجديد أو التحديث وزيادة الإنتاج القومي تعود إلى التصنيع والتكنولوجيا اللذين يوجدان في المدينة أو إلى التنمية الزراعية التي توجد في الريف أو إلى مجموعة عوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية تغطي جوانب المجتمع كله.

ولعل لكل فريق مبرراته النابعة لأيدولوجيته الاجتماعية حيث ان تحسين التنمية الزراعية كسبب للتحضر إنما هو مبدأ النظرية الاشتراكية (حيث يمنع الأفراد من الحركة أو الهجرة من الريف إلى المدينة) أما جعل التصنيع سببا للتحضر فإنه مبدأ النظرية الرأسمالية لأن ساكن الريف لا يستعمل التكنولوجيا كساكن المدينة لذا فإن النظرية الرأسمالية تعطي الحرية للأفراد للتنقل من مكان الى اخر. أما النظرية الثالثة فتمزج النظريتين معا حيث ان التحضر هو نتاج عدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية. وسواء كانت هذه العوامل في الريف أو المدينة فإنها تساهم في التحضر والتمدن لأي مجتمع لأن تطوير القدرات الفردية والمؤسسات الاجتماعية حسب هذه النظرية تؤدي إلى التحضر والتمدن. ويتضافر الجهود الإنسانية في مجتمع ما في استغلال الموارد الطبيعية في المدينة أو الريف تنشأ الحضارة ويزيد التمدن في ذلك المجتمع .

وبنظرة فاحصة لتاريخ الحضارات القديمة والمدة الزمنية لتلك الحضارات نجد أن الحضارة المصرية قد دامت من سنة 4000 الى سنة 300 قبل الميلاد وهي من أطول الحضارات عمرا في التاريخ وكانت مدتها 3700 سنة تعاقبت عليها عدة أسر وحكم فيها مئات الحكام من الفراعنة. وحضارة البحر الأبيض المتوسط من 3000 الى 1500 قبل الميلاد ومدتها 1500 سنة. أما الحضارة الصينية فقد بدأت في سنة 2000 قبل الميلاد وما زالت شاهدة حتى اليوم ومن فلاسفتها المشهورين كونفوشيوس الذي عاش بين (551- 497 ق.م) وزارادشت الذي ولد في سنة (628 ق.م)، أما الحضارة الهندية فقد بدأت منذ سنة 2500 قبل الميلاد الى الوقت الحاضر. ومن فلاسفتهم بوذا (563-483 ق.م)، أما الحضارة الهلينية ومن أشهر قادتها الاسكندر المقدوني الذي احتل (بين 336 و323 ق.م) خلال 13 عاما كل ما تملكه مملكة الفرس. وكان معلمه أرسطو. وقامت حضارة النوبه بين 750 و661 ق.م وقد احتلت مصر. أما حضارة المايا في أمريكا الوسطى فقد حصلت بين القرن الخامس قبل الميلاد والقرن السادس عشر ميلادي. وفي عام 1492 تم اكتشاف العالم الجديد-أمريكا وفي 1494 حصل تغير كبير باكتشاف رأس الرجاء الصالح وهما حدثان غيرا مجرى التاريخ. فقد قلت أهمية البحر المتوسط كوسيلة للتجارة مع أوروبا وأصبحت الطريق الى الهند وجنوب شرق آسيا مفتوحة لأوروبيين. وانتقلت الحضارة من الشرق الى الغرب. وبعد أن كانت الأهمية لأصحاب الأرض انتقلت الى أصحاب المال والبنوك والتجارة، وذلك لانتقال وسائل الانتاج ومصادرة من الثروة الزراعية الى الثورة الصناعية، حيث كانت أوروبا في الألف سنة

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

الأولى تعتمد الزراعة فيما عرف بعصر الاقطاع ثم انتقلت الى عصر الصناعة والاعتماد على المال في زيادة المصانع واستغلال المصادر.

أما مدة بقاء الدول والأمم والحضارات فتتراوح أعمار الدول القديمة السالفة والحضارات الماضية بين 90 و 300 عاما. لذا زعودة إلى تاريخ الأمم فأننا نرى أن دولة الأشوريين 860-626 ق.م دامت 230 سنة، وأن الحضارة الهلينية 330-100 ق.م دامت 230 سنة، وحضارة الفرس 538-330 ق.م دامت 208 سنوات، والحضارة الاسلامية 624-861 م (236 سنة). وقد دامت دولة الخلفاء الراشدين 29 سنة ودولة أمية 90 سنة ودولة العباسيين 101 سنة. أما دولة الاسبان 1556-1800م دامت 224 سنة، ودولة العثمانيين من 1359 - 1566 ميلادية. ودامت 207 سنوات وهي الفترة من مراد الى سليمان القانوني. والامبراطورية البريطانية 1700-1930 دامت 230 سنة. آل بويه 945-1055م دامت كلها 110 سنوات. أما دول الأقبليات في الشرق والغرب الاسلامي كالسلاجقة 1055-1156م فدامت كلها 101 سنة. والدولة الأيوبية 1169-1220 دامت 81 سنة. ودولة المرابطين (442-530 هجرية 1050-1140م وقد دامت 90 سنة)، ودولة الموحدين (1125-1269م) دامت 85 سنة. ودولة الفاطميين بالقيروان ومصر (910-1171م) -261 سنة، والدولة الروسية الحديثة 1917-1992م دامت 75 سنة. أما الولايات المتحدة فتزيد عن القرنين من الزمان حتى الآن وان بدت بوادر العجز والسقوط تظهر عليها.

مقالات في الحضار الإنسانية

الحضارات والدول - 3

د. حسن عبد القادر يحيى

أستاذ بجامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

STATES AND CIVILIZATIONS/3

HASAN YAHYA, PH.D

يمكن تعريف الدولة سياسيا بأنها النظام السياسي لحيز مكاني تمثله حكومة وجيش وشعب. وتقاس الدول بمقومات وجودها الأساسية ومنها مقومات الكفاية لبقائها واستمرارها دون مساعدة مشروطة من الدول الأخرى ومنها استمرار هويتها وصلاح أمر المسؤولين فيها وثباتها على مبادئ العدل والحرية والمساواة والتواصل الروحي بين الحكام والمحكومين كما هي متعارف عليها في التراث الروحي لها ولتابعيها من الجماهير. وحسب هذا التعريف ينطبق الجزء الأول من التعريف على معظم الدول أما النصف الثاني من التعريف فان كثيرا من الدول (أو المسماة بالدول) في أسيا وأفريقيا بما فيها بعض الدول العربية فلا ينطبق عليها.

أما العوامل المساعدة على قيام أو سقوط الحضارات والدول فقد تم-بناء على بحث علمي طويل-تحديد خمسة عوامل تقوم عليها الدول أو تدول فتنهار وهي:

1. شرعية الدولة وهويتها: وهي العوامل التي كانت سببا في وجود الدولة ومنها حكومات قامت بالثورة على الحكم السابق (قهرا أو طوعا) أو حكومات جاءت بطريقة سلمية اختيارية (انتخبت بطريقة ديمقراطية). أو حديثة عهد بالحكم استولت عليه لوجود فراغ سياسي أو انتقلت من حياة بداءة الى حياة مدن وحضارة. وهناك دول قامت كحليفة للاستعمار لتقوم بوظيفة تخدم مصالحها ومصالحه. ولكل نوع من هذه الأنواع طرقها في حفظ النظام والتعامل في الاقتصاد الوطني بطرق إيجابية أو طرق سلبية. وقد بقيت بين الدول التي كانت مستعمرة للدول الصناعية والمستعمرين علاقات في مجالات التعليم والتكنولوجيا وتزويد الأسلحة الجيش. ويختلف مستوى العلاقات بين الدول وتتراوح بين الاستشارات السياسية الى الدعم المادي والهيمنة العسكرية. وهذا ما يطلق عليه البعض اسم الاستعمار الجديد.

2. العصبية السياسية والاقتصاد الوطني: فأما العصبية السياسية فهي التحام العصبية الحاكمة نظرا لشرف أو لحزب أو لتعددية أحزاب. ويدعم قوة العصبية الاقتصاد الوطني وهو ميزان الصادرات والواردات، وطرق معالجة المشاكل في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة من وجهة نظر رأسمالية أو اشتراكية أو مزيج منهما، والتصرف العادل أو الظالم في مجالات الانتاج والاستهلاك والتوزيع، بالإضافة إلى مدى القوة أو الضعف الذي تتصف به القوات الحارسة للحكم مقارنة بغيرها من الدول.

3. مصادر وادارة أموال الدولة: وهي عوامل تدور حول الصرف في مواضعه أو غير مواضعه (البدخ في مجالات خاصة دون العامة)، ونسبة عدد العاملين الى نسبة عدد العاطلين عن العمل، ومدى نجاح أو فشل مشاريع التنمية وظهور ضررها على الناس مما لا يمكن اخفاؤه كالتقص في ميزان المدفوعات والتوصل من تمويل المشاريع حسب الميزانية وكثرة الضرائب، أضف الى ذلك مدى عدالة الدولة في تعريف الممتلكات الخاصة والممتلكات العامة أو التحيز لأحدهما على حساب الآخر، وأخيرا نشاطات الدولة في عملية تنمية أو اهمال (أو تدمير) المصادر الطبيعية والبشرية.

4. مقدرة الجيش وطرق اعداده: يعتبر الجيش في أي مؤسسة سياسية القوة التي تحمي تلك المؤسسة وقد قل في التاريخ أن يكون الجيش محايدا. وقد كثر تحيزه باتجاه السلطة الحاكمة التي تدفع رواتبه وتوليه عنايتها من خلال التدريب المستمر للقادة والأفراد، وتزويد قطاعاته بالمعدات والآلات الحديثة.

5. التراث الروحي: تفقد بالتراث الروحي هو الحبل الأخلاقي الذي يربط الشعب والحكومة معا في ما يعرف بالتراث (وهو ما تعارف عليه الناس من العادات والتقاليد واللغة والقيم الروحية التي تتمثل في العقيدة) وكيف يحدد التراث مفاهيم العدالة والمساواة والحرية والشرف وغيرها من القيم الروحية.

فاذا تواجدت هذه العوامل الخمسة متوازنة في دولة ما نمت وازدهرت واذا ساءت واضطربت هذه العوامل في أي دولة سقطت وانهارت وزال وجودها فاندثرت .
سمات ومعالم انهيار هيبة الدولة:

يعتبر بناء هيبة الدولة من أهم عوامل الثبات والاستمرارية. وهيبة الدولة تعني الثقة والتقدير لمؤسساتها الشرعية والقانونية والتنفيذية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. كما تعني احترام الدستور والقانون والعزة الوطنية للأفراد كبنات حضارة. فاذا فقدت الدولة هيبتها وبدأ بالتطاول عليها بعض أفرادها أو مؤسساتها فان ذلك بداية القلاقل لمواطنيها. وعادة ما يمر انهيار هيبة الدولة في مراحل تتفاوت في الضعف والقوة في مؤسسات الجذب والدفع، وهذه المراحل هي:

1. المراحل الأولى لفقدان هيبة الدولة:

اذا اتسعت رقعة الدولة أو وصلت إلى الجيل الثالث أو الرابع من مراحل قيامها ، ظهرت حقائق أو إشاعات حول الرشوة والمحسوبية، وتبذير الأموال، وحقائق أو إشاعات حول فضائح المسؤولين الأخلاقية، وحقائق أو اشاعات زيادة الظلم والغش التجاري والسكوت عليه مع الغش والخداع السياسي، وحقائق أو إشاعات حول زيادة التذمر الشعبي، وحقائق أو إشاعات حول زيادة التفاوت في امتلاك الثروة. وحقائق أو إشاعات حول التوصل من خدمة الشعب القريب والميل نحو المستعمر الثقافي المادي أو الروحي البعيد والقريب. إذا تراكمت هذه الإشاعات فان هيبة الدولة تسقط عند تابعيها ورعاياها. ومن مظاهر فقدان هيبة الدولة مثلا: إحراق علم الدولة وإحراق صور شخصيات الدولة والقيام بالمظاهرات والتجمعات العفوية أولا ثم المنظمة ثانيا. وتبدأ المناطق في الأطراف بالدعوة إلى الانفصال والاستقلال عن المركز ولا يسع المركز الا بالتسليم بالأمر الواقع لعدم استطاعته على إعادة الأطراف إلى المركز.

2. المرحلة الثانية لفقدان هيبة الدولة:

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

حقائق أو إشاعات إخماد الحريات عن طريق المخابرات وزيادة أفعال القمع العسكري للفتن. وهذه المرحلة يبدأ التحدي للدولة فينقسم الشعب بين مصدق ومكذب وبين مؤيد ومعارض.

3. المرحلة الثالثة لفقدان هيبة الدولة: استمرار القلاقل والاعتداءات وتأخذ الأساليب التالية وتندرج في قوتها أو ضعفها حسب إمكانيات ومصادر دعم الفئات المعارضة في الداخل أو الخارج. مثل:

أ. الحض على مقاومة الظلم بالكتابة والنشر عن طريق الفئات المعارضة للحكم أو عن طريق وسائل الاتصال السمعية والمرئية في الداخل والخارج .

ب. البدء في عمليات اغتيال ممثلي الدولة في الداخل (الوزراء والعمال المدنيين من عناصر السلطة) أو في الخارج (ممتلكات ومباني السفارات والسفراء والعاملون في السلك الدبلوماسي).

ج. الجراءة على تفجير مؤسسات الدولة كالوزارات والبنوك ومؤسسات السلطة .

د. نسف شرايين الاتصال بين أجزاء الدولة كالجسور والسكك الحديدية وطرق المواصلات ومرابط المياه والمصادر الطبيعية الفعالة.

فإذا وصلت تلك المجابهات إلى هذا المستوى من المجابهة (التحدي ومقاومة التحدي بالقوة) فإن الدول ترد عليها بمدى قوتها وسلطانها في مقاومة السقوط، فتزداد تصرفات ممثلي الحكومة في دوائر الأمن والجيش عنفا وظلما ويفقدون أعصابهم وحكمتهم في حل الأمور، فيبدؤون بتأمين مستقبلهم بزيادة سرقة الأموال العامة وتهجيرها إلى الخارج. كما تزداد قيمة المعارضين قوة لأنهم يدخلون مرحلة التحدي والوقوف موقف الندد للند للحكومة ويبدأون الهجوم العلني لإسقاط النظام القائم يساعدهم في ذلك ما ينادون به من رموز العدل والحرية والعقيدة والمساواة . فيكثر الظلم ويعم الفساد وتقل الحريات وتكثر الإقالات، وأخيرا تسقط الدولة ما لم تتغير بعض الوجوه وهم يشكلون كبش الفداء للشملة وفرض الهدوء والأمن وهو أقل ما تفعله السلطة لامتناس النعمة الجماهيرية والتقليل من سرعة انهيار هيبة الدولة أو توقيفها وإعادة بنائها من جديد باستعمال القواعد الشعبية من رجال الجاه والعلم والعدل. فإذا لم يكن بد من السقوط فإن التخلص من أذى النظام القديم والتطلع إلى ما يتوقع من عدالة النظام الجديد يزداد قاعدة بدعم قوة الفئة المعارضة التي يسندها أحيانا الجماهير التي تتعاطف معها كلما أحسنت دعائها ومزجت إيجابيات كفاحها في حالة النصر مع سلبيات الحكم القائم وممثليه التي تتصل بالشعب مباشرة . ومدى قرب أو بعد كل من تصرفات ممثلي الدولة أو قادة الفئات المعارضة من التراث الروحي للجماهير خاصة فيما يتعلق بالعدالة وما يقابلها من الفساد، والحرية وما يقابلها من ازدواجية في التطبيق ، والمساواة بين الأسد والثعلب أو المساواة العادلة في اقتسام خيرات الأرض والنظام القائم على التراث الروحي للجماهير.

علم اجتماع

شخصية الفرد والتنمية الاجتماعية

د. حسن عبد القادر يحيى

أستاذ بجامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

Personal Growth and Social Development

HASAN YAHYA, PH.Ds

إن دراسة وفهم نظريات التنمية الاقتصادية في المجتمعات وأسباب تلك التنمية قد أخذت من العلماء قسطاً وافراً من البحث والتدقيق والتمحيص. فقد تناولها منظرو "التحديث" أو "الحدائثة" في العصر الحديث مثل: هاجن وماكلبلاند وروستو وأليكس سميث وليرنر وروجرز وهاربيسون ومايرز ، وفيما يلي ملخص أبحاثهم التي اعتمدت أساساً على نظريات علم النفس أو علم الاجتماع النفسي وقد ظهرت هذه النظريات بعد الخمسينات وقد اتسمت بنظرة ضيقة ومن جانب واحد وهو قياس تقدم الأمم أو الدول التي استقلت حديثاً عن بعد وبمقاييس الدول المتطورة اقتصادياً وتكنولوجياً. وقد كانت نتائج أبحاثهم محدودة وتحتاج إلى ثبات لقصر مناهجهم عن الكمال لعوامل اختلاف مقومات التراث بين الباحثين الغربيين وبين العينات المدروسة مثل اللغة والعادات والتقاليد والعقيدة. ومما يسهم في عامل ثبات تلك النظريات عوامل الفارق اللغوي والتراثي والمكاني (الايكولوجي البيئي).

يفريت هاجن Hagen بحث عن اجابة السؤال: لماذا دخلت بعض المجتمعات في التقدم التكنولوجي أو كانت أكثر فعالية من غيرها؟ وكان الجواب حسب طرحه: يكمن في عملية تطوير الشخصية من خلال التربية الاجتماعية النفسية في المجتمع حيث يتم تعلم القيم الاجتماعية وقيمة التحصيل والاعتماد على النفس. كما أكد على أن دور تغيرات القيم كسبب للتنمية الاقتصادية واقترح أن هناك قيمتان اجتماعيتان وهما "التحصيل Achievement والاستقلالية Autonomy" أكثر القيم التي تتوسط عملية التنمية الاقتصادية الوطنية. وقد رأى هاجن أن هذه القيم تظهر تاريخياً حين تقوم الصفوة في المجتمع التقليدي بمعاونة الانسحاب من مركز الاحترام حين يهزمون أو يخسرون قوتهم السياسية. وبعد فترة من التوقّع والانعزالية فإن أبناء هذه الصفوة تظهر على درجة عليه من التحصيل والاستقلالية كنتيجة لنشأتهم اللاسلطوية في طفولتهم. وتظهر هذه الفئات من الاقليات المحرومة اهتمامها ومقدرتها كصناع نشيطين في النمو الاقتصادي.

روستو Rostow يمثل وجهات نظر كثير من علماء الاجتماع الذين اعتبروا التنمية الاقتصادية عملية تطويرية خلال مراحل: (1) المرحلة التقليدية (2) مرحلة ما قبل الانطلاق (3)

مرحلة الانطلاق (4) مرحلة بلوغ الهدف (5) مرحلة الاستهلاك الجماهيري. وقد أعطى أهمية خاصة للمرحلة الثالثة: وهي مرحلة الانطلاق Take-off stage لأنها تعكس الرغبة الشديدة للمجتمع في التنمية الاقتصادية. وقد ميز روستو أن نوعا جديدا من رجال الأعمال سيظهر فقد أثبت أن عملية الانطلاق تعتمد على هذه المجموعة التي تقوم بنشاطات ناجحة وهي القادرة على قبول المبتكرات والتجديدات. فإذا وجدت هذه الفئة فإن البلد ستكون في الطريق الصحيح للانطلاق حيث تبدأ عملية التنمية الاقتصادية. ولكنه لم يحدد القيم الاجتماعية التي يتصف بها أبناء الصفوة أو التي يجب أن يتحلوا بها.

ماكلياند McClelland حاول أن يبين المقومات الأساسية للفئة التي تنصدر وتقوم بعملية التنمية الاقتصادية فسامها دوافع التحصيل الانساني (Achievement Motivation) ومقارنة مع النظريات السابقة فإن ماكلياند قد كان أكثر تحديدا وأقل حيزا في دراسته من ناحية نفسية واجتماعية. ولذا فإن نظريته أفضل في التطبيق والمنهج البحثي. رغم أنه لم يعرف مفهوم "دوافع التحصيل" الذي يعتبر أساسا للتغير الاقتصادي وإنما ربطه بالشعور الداخلي للتحصيل من خلال أهمية التصرفات والنشاطات الناجحة للفرد لينافس غيره في مقياس لمستوى الامتياز التحصيلي. ولعل وجوه الشبه بين مفهوم ماكلياند لدوافع التحصيل ومفهوم فيبر في المثل البروتستانتيية تظهر في أن الصفات الشخصية للفرد حسب فيبر تنتج شخصية قريبة من الشخصية التي ينادي بها ماكلياند خاصة في أعلى مستوياتها.

ولكن نظرية ماكلياند لم تخل من العيوب ومنها:

1. عدم ملائمة المقياس المستعمل في التنمية الاقتصادية ودوافع التحصيل.
2. صعوبة التطبيق لعلاقة السببية بين مفهوم "دوافع التحصيل" و "التنمية الاقتصادية".
3. خطأ استعمال الدولة كوحدة للتحليل. فالدولة تتكون من عدة فئات منها العاملون في الزراعة والعاملون في الصناعة وفئة أخرى تعمل في التجارة. عدا عن التفاوت الطبقي والعلمي وتفاوت الملكية والثروة بين هذه الفئات.

"دوافع التحصيل" تمثل قيمة اجتماعية تؤكد على الرغبة في الامتياز من أجل تحقيق تحصيل شخصي للفرد دون الأسرة. أما هاربيسون ومايرز Harbison and Myers فقد أكدوا أهمية تنمية المصادر البشرية كأهم عنصر صالح ومؤشر واقعي للتنمية الاقتصادية. وحسب رأيهما فإن الحاجة ماسة الى زيادة التعليم العالي في مجال الادارة الحديثة والتدريب على التخصصات التي من شأنها تدير عجلة القيادة التخصصية لمنشآت الدولة. وعلى هؤلاء تقع مسؤولية قيادة الجماهير نحو التنمية الاقتصادية حيث يتبع ذلك التعليم العام للجماهير. وهما هنا يتبعان ماكلياند في التوكيد على الصفوة من أبناء المجتمع كعنصر فعال وقائد لمسيرة التقدم الحضاري من خلال انجاح مشاريع التنمية الاقتصادية في البلاد. كما أكدوا على أن السبب خلف عدم نجاح الدول الغير نامية في التنمية إنما يعود الى عدم الكفاءة عند الشعب أو قياداته. وعليه فانهما يدعوان الى اعطاء الفرصة لأبناء الشعب ليقودوا المسيرة نحو التقدم والازدهار.

وخلاصة لموضوع التنمية الاقتصادية فإن أسباب تأخر وفشل التنمية الاقتصادية تعود الى أسباب داخلية في المجتمع. أي في مؤسساته، وفي مكونات الفرد النفسية والاجتماعية، ولمعارضة الاقتصاديين يؤكد علماء الاجتماع على أهمية المؤسسات الاجتماعية مثل المدارس والمصانع (حسب انكلز وسميث 1974)، وقد ابتكروا قياسا للتحديث عند الأفراد سموه مقياس أو أم (Overall Modernity (OM) وقد طوروا المقياس بحيث تتميز شخصية

الفرد المشارك والفرد البناء. كما ميزا بين شخصية المبتكرين من أبناء المجتمع والمتبنين الأوائل لأفكار العرب . وأهمية تكوين المدن وتأثيرها على الناس بما فيها من اتصالات ومعلومات كما يقول ليرنر (Lerner,1958) وبناء على ما تقدم فإن من أعمدة فكرة التحديث التي تعتمد عليها التنمية الاقتصادية إنما تقوم على المؤسسات الاجتماعية عند انكاز وسميث، أو تقوم على الحزب أو البيروقراطية والقوانين عند أumon وبياي، أو على الإعلام ووسائل الاتصالات عند ليرنر وروجرز، أو تقوم على العامل الديني كما هي الحال عند فيبر وبلا. أما عن أهم أسباب التغيير الاجتماعي التي تقود الى التنمية الاقتصادية فهي النية وقبول الجديد عند ليرنر وروح الابتكار عند روجرز، والحاجة الى روح التحصيل الفردي عند ماكلياند وهاجن، والعقلانية وروح الالتزام عند هولسيتز وتدريب الصفوة عند هاربيسون ومايرز .

تعليق: من آثار نظريات التحديث على المجتمع: تفتيت الأسرة وتشجيع الانفلات باسم الاستقلالية والاعتماد على النفس. وقد أكد جود مثلا على أن الأسرة التقليدية تقف عائقا في وجة تحقيق للتطور الاقتصادي في الدول. فالأسرة قد تشتري غسالة واحدة وتلفزيون واحد وسيارة واحدة وجهاز كمبيوتر واحد . أما اذا تفرقت الأسرة إلى عدة أسر صغيرة فإن عدد الغسالات المباع سيكون أكثر. وعدد التلفزيونات المباع سيكون أكثر وكذلك عدد السيارات وعدد أجهزة الكمبيوتر فالنظرة الرأسمالية واضحة ولكنها غير معلنة . بل هي مبطنة تحت شعار الاستقلالية والتحصيل الفردي اذا أخذنا في الاعتبار أن الدول الصناعية هي المستفيدة من هذا التغيير في القيم الاجتماعية لأنها هي التي تصنع الغسالة وأجهزة التلفزيون والكمبيوتر والسيارة. وعند شرائها من قبل الناس فإن أثمانها ستعود الى الدول الصانعة وليس الى الدول المستهلكة. ومتعود المنح المعطاة الى الدول عن طريق البنك الدولي (الممثل للمصانع الغربية) على شكل أثمان الصناعات التي تدفع من خلال رواتب الموظفين.

أما الشعور مع الأسرة والقيام بمسؤولياتها فانه يقل تدريجيا حتى يتلاشى . ويبدأ الشباب بتبرير تقصيرهم تجاه أسرهم. فالرواتب لا تكفي دفع الكمبيالات كأجرة للسكن وأقساط السيارة أو أقساط التلفزيون أو ملابس العمل والفخخة والتقمص بفتنة معينة اجتماعية أو تخصصية. ويبدأ التذمر من الوالدين والاخوة والأخوات. لأن الشخصية الجديدة التي ينادي بها الغربيون هي شخصية الفرد وحرية في التنصل من قيم الأسرة والمواخاة والتكافل الاجتماعي. ونظرا لأن معظم نظريات التحديث ركزت على القيم الحديثة وخاصة الغربية فقد رفضت وتمت مقاومتها من قبل المحافظين ورجال الدين في البلاد النامية نظرا لتعارضها مع القيم السائدة والتقاليد المتوارثة بالإضافة إلى بطء عملية التغيير ذاتها.

علم اجتماع

المستقبل والتغيير

د. حسن عبد القادر يحيى
أستاذ بجامعة ميشيغان - الولايات المتحدة
Future and Change
Hasan Yahya, Ph.D

يقول الشاعر العربي: ثلاثة أيام هي الدهر كله - وما هن إلا الأمس واليوم والغد ، والعصر كله كالزمن لا يتعدى هذه الأيام الثلاثة . وقد كثر العلماء الذين درسوا وألفوا في الحضارات القديمة والحديثة خلال التاريخ نذكر منهم ابن خلدون ، وديورانت وسبرنغر ، وتوينبي ، وبرنار لويس ، وفي العصر الحالي اهتم فوكوياما وهانتغتون في مؤلفاتهما حول صراع الحضارات . واتهما أحيانا بالعنصرية وأحيانا بعدم العلمية في كتاباتهما ، أما من الكتاب العرب الاجتماعيين فنذكر منهم حسين مروة ومحمود العالم وطيب تيزيني ومحمد أركون وحسن حنفي وعبد الله العروي ومحمد جابر الأنصاري وساطع الحصري وكاتب هذه السطور وآخرين.

وقد اتبع كل من هؤلاء الكتاب منهجية خاصة في دراسة الماضي والحاضر لاستشفاف تاريخ المستقبل أو ما يمكن التكهّن به من تغيير عالمي أو إقليمي حسب عاملي المواليد والوفيات والتقدم التكنولوجي وعامل الهجرة من وإلى البلاد . وقد تخصص عدد من علماء الاجتماع الغربيين والشرقيين في سبر غور الماضي من أجل التكهّن بمستقبل هذا العالم إقليميا وعالميا.

ومن مجالات التغيير التي طرقتها وتنبأوا بها في المجتمعات الحديثة زيادة الصرف على التربية والتعليم ، واستمرار التقدم التقني (التكنولوجي) ، وزيادة الصرف على الجانب الصحي ، وعلى زيادة عدد مراكز العناية للأطفال في الشركات الخاصة والعامة كنتيجة لعمل الوالدين (خاصة عمل النساء) ، إذ أنه من المتوقع زيادة أعداد النساء في تولي مناصب ومراكز تنفيذية قيادية إدارية وزيادة عدد العاملات في المؤسسات العامة والخاصة ، كما أن برامج التلغاف ستصبح أفضل نظرا للمنافسة العالمية لاستقطاب المشاهدين والمشاهدات للعديد من القنوات التلفزيونية ، كما أنهم درسوا الاتجاه نحو أثر الدين على الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، خاصة ظاهرة البعد عن الدين والأخلاق في الدول ذات الكثافة السكانية العالية

وخاصة الصناعية منها ، والابتعاد عن السلوك الديني (من المحافظة إلى العقلانية) والاتجاه نحو المادية الوقتية، كما ركز علماء الاجتماع على قلة نسبة المواليد في الغرب وزيادتها في الشرق ، وعلى الجرائم وقتلها ، وازدياد حالات الانتحار .

أما في الاقتصاد فقد درس علماء الاقتصاد والاجتماع والعلوم السياسية ارتفاع الأجور ، والتغير في عدد ساعات العمل ، وعدد العاطلين عن العمل الذي سيقبل مستقبلا ، وأفادوا بأن راس المال سيتزايد سواء من الأفراد أو الدول . أما حجم المصانع وفعاليتها في التصنيع فستزيد ، ويصبح التخصص أكثر عما قبل. أما في مجال التأمين فالعقلانية ستحكم قواعده وقوانينه . وستزداد الاستقلالية بالنسبة للبنوك ، أما البنوك التجارية فستندثر .

وعند دراسة المستقبل ، لا بد من فهم أسباب التغيير ومؤشراته واتجاهاته ، وممن درسوا هذه القضايا عالمان أمريكيان هما جون نياسبت وزوجته في كتابهما (ميغاترند) MEGATRENDS وألفن توفلر في كتابه الموجة الثالثة THE THIRD WAVE .

وقد كان لكتاب هذه السطور خبرة خاصة في تدريس هذين الكتابين في الثمانينات لطلاب الدراسات العليا في عدد من الجامعات الأمريكية . وذلك في مادة تغير السلوك الإنساني الحديث في المجتمع المعاصر.

أما أسباب التغيير بعد سنة 2000 فلن تتغير كثيرا عن مؤشرات السبعينات والثمانينات ، حيث تكمن في ثلاثة محاور هي: التغير السكاني وما يتبعه من زيادة أو نقصان عدد السكان وحركة البشر من بلد الأصل إلى بلد الوجهة . والمحور الثاني المصادر البشرية والطبيعية . أما المحور الثالث فهو التقدم التقني في عالم الاتصال بين البشر سواء بين أعضاء الأسرة الواحدة أو بين الدول على مستوى عالمي.

وبالنسبة لمؤشرات التغيير فإنها تتعدد حسب ما في المجتمع من محاور تغطي المجالات الاقتصادية والسياسية والتبادل التجاري بين الدول أو بين التحالفات الدولية كاتحاد الدول الأوروبية واتحاد أبيك (APEC) ASIAN PACIFIC ECONOMIC COOPERATION الذي يضم تشيلي والاكوادور وبروناي والصين وكندا وماليزيا والمكسيك وتايلاند ، ومجموعة الدول السبع الصناعية (G-7) THE GREAT SEVEN التي تضم الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وأستراليا واليابان أو التحالفات العسكرية مثل حلف الناتو NORTH ATLANTIC TREATY ORGANIZATION (NATO)

وحلف وارسو WARSO الذي لم يبق منه إلا اسمه ، وتحالف ناфта NAFTA الذي يجمع دول أمريكا الشمالية الثلاث (كندا والمكسيك والولايات المتحدة). أما بالنسبة لاتجاهات التغيير فهناك أربعة محاور هي: التقدم الأحادي نحو المستقبل Unidirectional progress ، وهو التقدم الكلي للشعوب دون تحديد لمجالات التقدم أو التأخر لبعض المحاور الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو التجارية أو الصحية . والتقدم المتعدد الاتجاهات Multidirectional الذي يمكن ملاحظته في تقدم عدة مجالات كالمجال الصحي والتربوي والتعليمي والاقتصادي والسياسي ، والتقدم المتكسر Broken Progress المتغير الاتجاه كلما استدعى التغيير ذلك عن طريق القوة أو الاختيار ويتمثل في القلاقل والنكسات التي تصاب بها الشعوب مما يستدعي القضاء على ما وصلت إليه الشعوب من تقدم على أمل إيجاد اتجاه جديد يبدأ من الصفر لبناء المستقبل وهو تقدم محفوف بالخطر لأنه يتطلب وقتا طويلا حتى يثبت فعاليته . وأخيرا الاتجاه الدائري Cyclical Progress الذي ينتهي عند

نقطة معينة لا يستطيع المجتمع تجاوزها فينهار ويبدأ بالتقاط أنفاسه ليتقدم من نقطة جديدة .

وستتشابك هذه المحاور حتى لا يستطيع تمييزها بسهولة ، فمن أسباب التغيير إن حجم السكان وكثافة عددهم قياسا لرقعة الأرض التي يعيشون عليها أثر كبير في التغيير الاجتماعي السريع ، وسيؤثر عدد المهاجرين بين البلدان على سياسات الدول بالنسبة للصادرات والواردات واستعمال المصادر الطبيعية . ونظرا لأن حاجات الشعوب الأساسية والخدمات التي يحتاجونها فإنها تستدعي سرعة في اتخاذ السياسات التي من شأنها خدمتهم بفعالية وسرعة فضائية . وبناء عليه فإن زيادة عدد السكان في المدن (التي سيصل عالميا إلى 90% من سكان العالم) تستدعي التخطيط المستقبلي العلمي وتوفير الكفاءات الفعالة لتزويد الشعوب لهذه الحاجات والخدمات ومنها الخدمات الغذائية والخدمات الصحية والخدمات السياحية والبيئية .

وبناء على زيادة عدد السكان وكثافتهم يتعين على الدول حصر الكفاءات البشرية الموجودة حاليا في البلد والتخطيط العلمي لسد حاجة البلاد في المستقبل . وهذا ما يغطي المحور الثاني من أسباب التغيير الاجتماعي وهو المصادر الطبيعية والبشرية . أما المحور الثالث الذي سيؤثر في سرعة التغيير الاجتماعي فهو التقدم التكنولوجي في عالم الاتصال . ونظرا لكثرة المخترعات الحديثة وصغر حجمها فإنها ستزيد من مهارة الشعوب في استعمالها والاستفادة منها ، كما سيؤدي ذلك إلى مخترعات جديدة لزيادة فاعلية الموجود منها أو لاستبداله ، ولن يكون إصلاحها مهما لأن ثمن تصليحها عند فشلها في العمل سيكلف أكثر من شراء المخترعات الجديدة . ففي مجال السيارات والحاسوب والوسائل السمعية والمرئية سيزيد تصنيعها بكلفة أقل لذا ستكون في متناول العامة كما هي الآن في متناول متوسطي الدخل . ومن المتوقع أن يؤثر ذلك على العلاقات الأسرية وعلاقات العمل وعلاقات السفر والسياحة . وستمزج مؤشرات التغيير الاجتماعي الاقتصادية والسياسية والتجارية لدرجة أنها تتداخل فيما بينها ، ومن المؤشرات الاقتصادية فإن دخل الفرد سيزداد تباعا لزيادة الإنتاج أما المؤشرات السياسية فستجده العالم نحو ديمقراطية عملية أكثر مما قبل ، وأخيرا بالنسبة للمؤشرات التجارية والتبادل التجاري فإن زيادة التبادل التجاري الدولي سيخضع لقوانين تدل على تفاهم أكثر بين الدول المصدرة للمواد الخام أو الصناعات الخفيفة والثقيلة ، والدول المستهلكة لهذه الصناعات . وتعم الفائدة الدول الفقيرة التي سترتاح من عبء ديونها الخارجية .

أما التغيير الذي لم يأخذ حظه من الدراسات المستقبلية في - اعتقادي - فهو التغيير السلبي في البيئة الطبيعية وأقصد به التلوث الذي سيكون نتيجة لزيادة التصنيع وزيادة الأرباح التي تجنيها الشركات العالمية العابرة القارات والدول . وخاصة فتحة طبقة الأوزون التي تتسع كل يوم بمعدل مخيف . وزيادة تلوث الماء والهواء نظرا للتساهل في التخلص من النفايات التوكسية

الذرية وزيادة نسبة الكربون أكسايد في الهواء . وشح المياه في بعض المناطق . ولنا في العقل الإنساني إن استعمل بوسيطه لا بد منها للتوصل إلى خير عام يصيب البشرية كلها من خلال احترام حقوق "هم" كما نحترم حقوق "نحن" على قدم المساواة من المعرفة والتفاهم والتفاوض حسب النظرية القمرية (نظرية سي) . سواء كان الفريقان دول غنية ودول فقيرة

أو دول مصدرة أو دول مستوردة على المستوى العام . أو بين حاكم ومحكوم ، أو بين زوج وزوجة على المستوى الخاص .

علم اجتماع

العلم بين النظرية والتطبيق

د. حسن عبد القادر يحيى

أستاذ بجامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

SCIENCE BETWEEN THEORY AND PRACTICE

HASAN YAHYA, PH.D

من أهم الأهداف التي تخدمها عملية تحصيل العلوم بصفة عامة هو هدف إمكانية تطبيق هذه العلوم ليستفيد منها الإنسان في أي مستوى اجتماعي سواء أكان فردا في أسرة أم في مدرسة أو عضوا في وزارة أو في حكومة ، وهكذا . وكما يقال: لا سباحة بدون ماء، يمكن القول انه لا فائدة من العلم اذا لم يلازمه التطبيق . فاذا حصل وانفصلت عملية التطبيق عن النظرية فان النتائج ستكون سلبية أو تكون أقل فاعلية مما لو اكتمل العلم بعملية التطبيق. ولا شك أن الحكومات في كثير من الدول المتقدمة والدول النامية تعطي اهتماما خاصا للعلوم بنوعها النظري والتطبيقي. ويمكن الاستدلال على ذلك بالنظر في اهتمام الدول بفتح المعاهد الخاصة والعامة التدريبية والتطبيقية وذلك ضمن سياسات هذه الدول لدفع عجلة التقدم والتنمية نحو الأفضل ومن أجل خلق جيل من القيادات الواعية المسلحة بالعلم وخبرة التطبيق. كما أن فروع التعليم ازدادت وتفرعت حتى شملت تقريبا كل نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية. وخير شاهد على ذلك ما للناحية التطبيقية من نصيب متزايد في ميزانيات هذه الدول ومن تزايد أعداد المتخصصين في مجالات تطبيقية تغطي كافة مجالات الحياة الحديثة في المدن والقرى على حد سواء.

وظيفة العلم ووظيفة التطبيق: FUNCTIONS OF SCIENCE AND APPLICATION يتحدد المفهوم الأول بالجانب النظري ، كما يتحدد المفهوم الثاني بما يطلق عليه الجانب التطبيقي. ووظيفة العلم أن يصف ويشرح الظواهر قيد البحث وذلك من أجل التوصل الى فهم حقيقة الظاهرة للتعرف بها أو بمثلها واقتراح الحلول الممكنة لها أو لأجزائها وتقديم نتائجها الى المسؤولين عن القرار السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي . ولفظة العلم تعني المنهج العلمي في دراسة الأشياء أو الظواهر وتتحد المناهج العلمية عادة في الأساسيات المطلوبة للبحث إلا أنها تختلف باختلاف العلوم.

والفرق بين تطبيق العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية واضح حيث تحاول العلوم الاجتماعية (كالعلوم السياسية وعلم الاقتصاد وعلم النفس وغيرها) دراسة ووصف وتفسير وفهم التنظيم المجتمعي في مجال حياتي (اقتصادي أو سياسي، أو اجتماعي) من خلال دراسة التفكير والسلوك الإنساني وعلاقات التداخل بين المجموعات البشرية فيما يعرف بالتقاليد والعادات والأعراف الاجتماعية والتي عادة ما تظهر غريبة أو إباحية لدى الناظرين إليها. ومنها دراسات علاقات المدراء بموظفيهم أو علاقة الإنتاج بالسلوك أو بالرواتب والأجور، ودراسة الطلاق والانتحار والتأثر وتزايد الجرائم والعش المندني أو التجاري أو السياسي وعلاقتها بالبيئات والمميزات الفردية والاجتماعية. وتحاول العلوم الطبيعية (كالفيزياء والكيمياء والأحياء والفلك) اكتشاف القوانين التي تسيطر عليها الظواهر الطبيعية. كدراسة المسافات المكانية والزمانية وقوانين علم الأحياء والفيزياء وقوانين مزج المواد في الكيمياء العضوية وغيرها. وتختلف هذه العلوم من حيث ان لكل علم منها منهجه وطريقة تصميمه في وضع النظرية وجمع المعلومات لفحصها ومن حيث الوحدة أو العينة المستخدمة تحت الدراسة.

الناس أجناس: وليس غريبا على المتعلمين وغير المتعلمين معرفة أن هناك تعقيدات في تعدد فئات المجتمع واختلاف طرق تفكيرهم وحلهم لمشكلاتهم اليومية أو العامة. فالناس كما يقال أجناس وهم يختلفون علما وسنا وجنسا ودخلا شهريا ومكانا، وهذه الاختلافات تجعل من الصعب على الباحثين الاجتماعيين ضبط دراسة المؤسسات التعليمية والعسكرية والتجارية والسياسية في المجتمعات بشكل كامل كالباحثين في العلوم الطبيعية. إذ من الصعوبة بمكان مثلا دراسة مؤسسة الجيش دراسة علمية تجريبية بوضعه في مختبر بأربعة جدران كما يفعل الباحثون الطبيعيون عند دراسة نوعية الدم مثلا في مختبر صغير. حيث تختلف العينتان وتختلف طرق التعامل معهما ومدى ضبط التجربة من قبل الباحث الاجتماعي والباحث الطبيعي. وهذه التعقيدات تجعل كل مجال دراسي مختلف عن غيره مما يستدعي التخصص بالنسبة لمجال البحث. حيث تعطي فائدة التخصص الباحث قدرة على فهم وتحليل الظواهر المراد بحثها. إذ أنه كلما زاد فهم ظاهرة ما (مثل ظاهرة الطلاق مثلا أو الزواج خارج العائلة أو خارج العرق أو الزواج بأكثر من واحدة) زادت المعرفة بفروعها بشكل عام وساندت فروع العلوم الأخرى.

حدود الإنسان: ليس بمقدور باحث واحد أن يلم بتفاصيل كل شيء لأن معرفة الإنسان محدودة زمانا (مهما طال العمر فهو الى توقف) ومكانا (البيئة المكانية تكون في بلد واحد وليس كل البلدان) وجهدا (قطاعات الانسان محدودة). والعالم واسع لا يمكن تغطيته بحثا وتدقيقا بكل ظواهره خاصة اذا وضعنا في الاعتبار أن الباحثين لهم أمزجة مختلفة تؤثر فيها وتتأثر بها مؤثرات اجتماعية أو سياسية عديدة. فالباحثة مثلا: هي أم لطفلين وهي طالبة وهي عاملة وهي عضوة في اللجنة البرلمانية لمكافحة العش التجاري. بالإضافة الى أن توقيت نتائج الأبحاث وسرعة تحقيق منافعها للناس قادة وتابعين تختلف بين العلمين الطبيعي والاجتماعي. فالعلوم الطبيعية تظهر نتائجها السلبية أو الايجابية في مدة أقل من المدة التي تظهر فيها منافع أو سيئات أبحاث العلوم الاجتماعية.

ولتفسير وظيفة التطبيق نورد المثالين التاليين:

إذا أرادت موظفة أن تقود سيارتها فلا بد لها من معرفة أصول القيادة. فإذا عرفت القيادة من شخص آخر نظريا أي بواسطة الكلام فقط واكتفت بذلك وقادت السيارة فان النتيجة المحتملة

تكون كما يلي: اما أن تؤذي نفسها أو تؤذي الآخرين من أشخاص ومباني أو تؤذي السيارة . فكما أن قيادة السيارة تحتاج الى اتقان نظري وتطبيقي معا فان العلوم بمختلف أنواعها تحتاج أيضا الى اتقان نظري أولا ثم تطبيقي ثانيا. ولذلك فالتطبيق مصمم لتحقيق التحكم في الجوانب النظرية لظاهرة ما أو لاستغلال العلاقات بين الأشياء اعتمادا على العلم بصورة متقنة . ففي مثال قيادة السيارة السابق نقول ان هناك علاقة بين عدم التدريب على قيادة السيارة وبين احتمال حدوث حادث مؤسف.

ونضرب مثلا آخر: اذا علمنا أن السيارة لا تستطيع السير دون بنزين فان معرفتنا لهذه الحقيقة تؤكد لنا أن لكل نتيجة سببا . وأن هناك علاقة بين وجود الطاقة (وهي البنزين هنا) وبين تشغيل السيارة واندفاعها الى الأمام أو الى الخلف . ومن هذا المثال ندرك أن هناك مصادر للمعرفة النظرية وأخرى للمعرفة التطبيقية . فالمهندس يدرس فنون العمارة مثلا فاذا طلب منه اقامة بناء لمدرسة أو مستشفى أو عمارة . فانه يقوم بتطبيق ما درسه نظريا في فن العمارة باستعمال مواد تساعد على التطبيق مثل حسابات التكلفة ونوع المواد المستعملة وعدد العمال ومدة العمل في المشروع ولا يتأتى كل هذا العمل في أيامنا هذه الا باستعمال أجهزة الكمبيوتر والقياسات المعقدة ، فالحسابات دقيقة جدا وتأخذ وقتا طويلا اذا قام المهندس بحسابها بورقة وقلم.

وفي هذا المثل فان المهندس يحتل مركز القيادة وفريق العمل يحتل مركز التنفيذ والتطبيق . وقد يتقن المهندس كلا الوظيفتين: الادارة والتنفيذ ، ولكن التخصصات المختلفة تمنعه من ذلك . فهو ذو علم نظري وتطبيقي على الورق وهذا تخصصه . وعليه فان فريقا آخر متخصصا يقوم بعملية التنفيذ وتطبيق النظرية لتكون بناء لمدرسة أو مستشفى أو غيره . وعلى هذا الفريق مراجعة المهندس في كل خطوة غير مفهومة حتى يتكامل العمل وينجح تطبيق النظرية.

فاذا حاولنا تطبيق نظرية انسانية (اجتماعية) على الانسان أو المجموعة فان التطبيق ليس سهلا كما هو الحال في بناء مدرسة أو تصميم سيارة أو تجميع جهاز كمبيوتر . فالانسان أكثر تعقيدا من الآلة . حيث ان له عقلا وعواطف ومعالجة المادة لتطويعها حتى تتناسب مع رسم معين يحتاج مادة أخرى تختلف اختلافا كثيرا عن تطويع البشر . ومن هنا تأتي أهمية الادارة الحديثة في المصانع والمدارس والمعاهد والمستشفيات والوزارات . فالمدرس كما يقال هو مهندس عقول وليس مهندس مادة متحجرة . والطبيب المعالج انما يعالج أناسا بدم ولحم وعواطف . فاذا أخفق في تطبيق النظرية العلمية فان العواقب وخيمة .

ويعتبر تطبيق العلوم الاجتماعية من الأمور الصعبة التي تواجه المتخصصين فيها والدارسين لها على حد سواء . لأن تطبيق النظريات الاجتماعية لا يكون بمنأى عن الناس الا ما ندر . فمخاطبة الناس ومعاملتهم والتحبب اليهم واستغلال تعاونهم وحل مشكلاتهم يحتاج الى خبرة واسعة ومؤهلات عالية . حيث أنه لكل فرد كرامة (تقدر بالمال أو لا تقدر بثمن)، وشخصية فريدة (سهلة التعقيد أو معقدة) وحياة خاصة (سعيدة أو تعيسة) وعلى المتخصصين في العلوم الاجتماعية أن يلموا بالمعرفة الفنية للوصول الى الأفراد كل حسب عالمه . ويعتبر تعامل الباحث الاجتماعي مع الناس للحصول على المعلومات منهم من أجل دراسة ظاهرة معينه هو علم بحد ذاته . وعليه أن يتقن مناهج المخاطبة ومناهج التقرب من أفراد العينة حتى يستطيع فتح الأقفال فمثلا: يريد الباحث أن يدرس ظاهرة التمييز في وظائف الشركات أو الحكومات من أجل ربط العلاقات المتشعبة الداعية لها أو المشجعة لها . وفي هذه الحالة

على الباحث أن يتبع أفضل السبل التي توصله الى جمع المعلومات دون أن يوجد أعداء قد يؤثرون في البحث ويوجهونه وجهة لا يريدها الباحث. وعليه في هذه الحالة أن يحسن اختيار الظروف والوسائل الممكنة والمناهج المناسبة من أجل الوصول الى ضالته. وهذا علم بحد ذاته. ولا بد للباحث أن يحدد هدفه من الدراسة ويصممها تصميمًا مبنيًا على المنطق. وعلى الباحث العالم أن لا يصف فقط ما يرى بل يتعداه الى التحليل وربط العلاقات بين الأشياء الملاحظة. وهو ما يسمى بالنظرية وهي مجموعة الأفكار المنظمة حول موضوع ما للتعليق بالعلاقات التي تربط بين عناصره. وبالنسبة للباحث الاجتماعي فان معرفة العلاقات البشرية نظريا دون الوصول الى التطبيق على مشاكل البشر هي معرفة قاصرة. ولا يظهر اتقان النظرية الا من خلال تطبيقها. فالعلم شئى والتطبيق شئى آخر. فوظيفة العلم تكمن في بناء النظريات التي نصل اليها من خلال المنهج العلمي المتدرج ليجيب عن أسئلة كثيرة مثل: ما هي المشكلة؟ وما هي مفاهيمها؟ وما العلاقات السلبية أو الايجابية التي تربط بين مفاهيمها؟ وكيف ندرسها؟ وما المقاييس المستعملة لقياسها؟ ومتى ندرسها؟ وأين ندرسها؟ ولماذا ندرسها؟ وكيف نحلل نتائجها؟ وللإجابة على هذه الأسئلة نصل الى تعميمات تجريبية أو نظريات علمية قابلة للفحص.

أمثلة على الفرضيات والتعميمات التجريبية:

- المكاتب الحكومية عادة تكون في المدن (العاصمة مثلا) وليس في القرى.
- كلما زادت الطرق في بلد ما كلما زاد اتصال الناس ببعضهم لبعض.
- كلما زادت الأخلاق عند الناس قلت جرائمهم.
- الأنتحار بين المتدينين أقل منه بين غير المتدينين .
- كلما زاد المستوى التعليمي كلما زاد الدخل الشهري.
- كلما زادت الصناعة في مجتمع كلما كثر استعمال النساء للسوتيانات أو الصديريات.
- (تصرف الفتيات وهن في التاسعة من أعمارهن ما يزيد على مليوني دولار على شراء السوتيانات سنويا في الولايات المتحدة) .
- كلما زاد عدد الدارسين في الجامعات - كلما زاد عدد النساء في الجامعات زاد عدد الحاصلات على شهادتي الماجستير والدكتوراه.
- وهذه التعميمات التجريبية (النظريات) كانت فرضيات قبل توكيدها علميا. فهي تصف العلاقة بين متغيرين أو شئيين. وهي اما أن تكون علاقة موجبة أو علاقة سالبة أو عدم وجود علاقة. ففي المثال الأول نلاحظ العلاقة المضطربة بين وجود المكاتب الحكومية والمدن الكبيرة. وفي الثاني علاقة مضطربة أيضا بين تسهيل المواصلات واتصال الناس، وفي المثال الثالث نلاحظ علاقة سلبية بين قوة الوازع الديني والجريمة، وفي الرابع تبين العلاقة بين الانتحار وبين الدين، وفي المثال الخامس تربط بين المستوى التعليمي والدخل وهكذا. ولا يمكن التأكد من هذه الفرضيات والتعميمات الا باتباع المنهج العلمي بحثا وقياسا وتحليلا وفهما. وهناك نوع آخر من التعميمات التجريبية هو الوصف والتفسير. مثلا: الفلسطينيون يأكلون الخبز أكثر من غيرهم. أو أهل الريف يأكلون خبزا أكثر من أهل المدن. أو الفقراء يأكلون خبزا أكثر من الأغنياء. فاذا ربطنا بين هذه التعميمات وجدنا أن هناك علاقة بين الجنسية واستهلاك الخبز وبين الفقر واستهلاك الخبز وبين مكان الإقامة واستهلاك الخبز. ويمكن هذا الوصف أن يوصلنا الى نظرية عامة عن استهلاك الخبز. وهكذا يتم بناء النظرية؟

مثال تطبيقي على بناء النظرية من الفرضيات: THEORY CONSTRUCTION

هناك نوعان من النظريات وهما : النظريات العامة الكبرى Grand Theory وهي نظريات تشمل المجتمع أو المجتمعات في زمن ومكان أو أزمنة وأمكنة مختلفة. ومثلها أن تطور الفكر الانساني في المجتمعات مر في ثلاث مراحل حسب نظرية أوغست كومت وهي مرحلة البدائية التقليدية ومرحلة التفكير المجرد ومرحلة التفكير الوضعي. والنظريات المتوسطة Middle Theory التي تدرس مستويات أقل من مستويات النظريات الكبرى وتهتم بالمؤسسات والمميزات الجماعية للأفراد. وتحاول ربط المعلومات بالنظرية. ولنفرق بين النوعين نورد الأمثلة التالية على النظريات المتوسطة والنظريات العامة من دراسة عن الطلبة المغتربين في الولايات المتحدة قام بها الكاتب (يحيى 1984).

1. الذين يساهمون في نشاطات (المسجد) المركز الاسلامي أقل انحرافا من الذين لايساهمون فيها.
 2. الطلبة الجدد أكثر اسهاما في النشاطات من الطلبة القدامى.
 3. الطلبة المتزوجون أكثر مشاركة في نشاطات المركز الاسلامي من غير المتزوجين.
 4. القاطنون قرب المسجد يساهمون في نشاطاته أكثر من القاطنين بعيدا عنه.
 5. كلما زاد عدد الأولاد في الأسرة زادت مشاركة الأسرة في نشاطات المركز الاسلامي.
- وهكذا .

التطبيق من الفرضية الى النظرية: FROM HYPOTHESIS TO THEORY
اثبات أي من هذه الفرضيات علميا يؤدي بنا الى نظرية متوسطة. فعلاقة المشاركة في النشاطات وبين الانحراف نظرية متوسطة. فكلما زادت المشاركة (+) نقص الانحراف (-). وكلما نقصت المشاركة (-) زاد الانحراف (+) بين أفراد العينة المختارة. فاذا رمزنا للمشاركة بالحرف (س) والانحراف بالحرف (ص) فان العلاقة تكون اما علاقة سلبية أو تكون علاقة ايجابية أو تكون بلا علاقة .

ويمكن اعتبار المثال الثاني أيضا نظرية متوسطة. مفادها أن هناك علاقة بين المدة التي يقضيها الطلبة في أمريكا وبين مقدار المساهمة في نشاطات المركز الاسلامي. وهكذا في الأمثلة الأخرى.

التطبيق من النظرية المتوسطة الى العامة: MIDDLE TO GENERAL THEORY
ولكن كيف نربط بين هذه التعميمات أو الفرضيات أو النظريات المتوسطة لنخرج بنظرية عامة حول دور العقيدة بشكل عام في أي زمان أو مكان؟ فاذا كان المسجد كما لاحظنا من الفرضيات المعطاة يقلل الانحراف بين الطلبة الجدد والقاطنين قربه والمتزوجين ولهم أولاد. فمعنى ذلك أن هناك خطأ يربط بين هذه المتغيرات هو العقيدة وليس المكان . ويمكن هنا استخلاص نظرية عامة من المثل السابق تقول: المشاركة في نشاطات المراكز الدينية (ايضا وجدت ومتى وجدت) عنصر هام من عناصر القضاء على الانحراف أو أن أماكن العبادة (مهما كان الدين أو مهما كانت العقيدة) تقلل من الانحراف. وهكذا.
التطبيق من النظرية العامة الى القانون :

ونقوم عن طريق التعميمات والنظريات السابقة التي تكونت من عدة فرضيات بتحويل النظرية الى قانون مطلق يقول : العقيدة تزيد من تماسك المجتمع. وكما نعلم لا العقيدة شيء نراه بالعين المجردة ولا المجتمع بكل مؤسساته الا أننا توصلنا الى النظرية ثم الى القانون من خلال المنهج العلمي في دراسة مشاركة الطلبة في المراكز الاسلامية وهي شيء نراه

ونستطيع قياسه بمقاييس الصفات كالمكان والحالة الزوجية وعدد الاولاد والانحراف. وهذا قانون عام في علم الاجتماع. اذ أن الأبحاث العلمية أثبتت أن العقيدة الدينية تسهم في التماسك بين أفراد المجتمع والوازع الديني يقلل من الجرائم والانحرافات بين أعضائه.

شرحنا فيما سبق كيف توصلنا من الفرضيات الى النظرية المتوسطة فالنظرية العامة ثم الى القانون. وعليه نقول ان النظرية هي فهم وتفسير علمي لظاهرة اجتماعية تحتوي عدة حقائق ترتبط ببعضها البعض. أما القانون فهو وصف النظرية بشكل سببي. أي أن هناك شيء يعتبر سببا لشيء آخر. والمثال واضح: فوجود العقيدة في مجتمع ما (من تقاليد وعادات وقيم) يؤدي الى التماسك الاجتماعي بين أفراد ذلك المجتمع ، وهذا قانون دائم. فحص النظرية علمياً:

قلنا أن التعميمات التجريبية انما تكون نتيجة ملاحظات. ومن أهم ما يقوم العلم به بعد وجود النظرية هو فحصها عن طريق اعادة البحث من جديد أو عن طريق صحة ما يتنبأ به الباحث من علاقات. فمثلا النظرية أعلاه تقول أن المسجد يوحد بين المسلمين. وبناء عليها نتنبأ بعدم وجود خلافات بينهم، كما نتنبأ بكثرة الزيارات بينهم وكثرة تسامحهم فيما بينهم. فاذا أردنا التثبت من صحة النظرية علينا أن نعيدها ونستعمل نفس الاستبيان الذي استعملناه في البحث الأول ثم نجتمع المعلومات ونحللها في الكمبيوتر ثم نضع النتائج. فاذا وجد ما يثبت النظرية كان ذلك ما نريد من النظرية. أما اذا كانت ملاحظتنا بعكس النظرية فلا بد من وجود احتماليات لعدم صحتها في ظرف مختلف . واذا كانت قانونا فالقانون غير متغير وعليه فان العيب ليس في النظرية وانما في القياس المتبع ومدى صدقه (Validity الظاهري أو الداخلي أو التطابقي أو التنبؤي) أو في الباحث أو في الناس وتصرفاتهم وعدم انسجام علاقاتهم كما يقول القانون أو النظرية. وهو ما يسمى بالتغير السلوكي الاجتماعي (وفي المثال السابق الانحراف عن الدين) في المجتمع. وهي ظاهرة أخرى تحتاج الى دراسات بحثية حسب المنهج العلمي لمعرفة أسبابها والظروف التي أوجدتها وكيفية معالجتها إيجابيا أو سلبيا في مجتمعات سريعة التغير.

*** من كتاب [مناهج البحث في العلوم الاجتماعية](#) [للمؤلف](#).

علم اجتماع

نبيذات وإشكاليات حول دراسة المجتمعات

د. حسن عبد القادر يحيى
أستاذ بجامعة ميشيغان – الولايات المتحدة
PULSES AND MISTAKES
IN STUDYING SOCIETIES
HASAN YAHYA, PH.D

يتساءل كثير من العلماء والسياسيين ويشاركهم كثير من الناس العاديين حول تقدم الغرب وتأخر الشرق . وفي هذا انحراف - غير يسير نسبيا - عن الحقيقة العارية . فلا الغرب متقدم ولا الشرق متأخر . والعكس في هذه الحالة قد يكون صحيحا . فليس الشرق متقدما على الغرب إلا تاريخيا وحضاريا . فهناك حضارات سادت ثم بادت ، والأمر واضح إسلاميا في القول الكريم "وتلك الأيام نداولها بين الناس" . وكل ما في الأمر في اعتقادي أن هناك إشكاليات حول الموضوع قد توجد بين مؤسسات المجتمع المحلي كما توجد بين المجتمع المحلي من جهة وغيره من المجتمعات شرقا أو غربا من جهة أخرى . وأول هذه الإشكاليات هي التعميم النمطي الخاطيء حول الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فاليابان مثلا وكذلك نيوزيلندا وأستراليا وبتلحقهم الصين قريبا لا تقع في الغرب وإنما تقع في الشرق وإن كان في اعتقادي ليس هناك شرق أو غرب أكثر مما هو متعارف عليه كظاهرة طبيعية تتبع مطلع الشمس وغروبها ، لأن الشرق أحيانا يكون غربا بالنسبة للجهة التي ينظر منها إلى الشرق والغرب . فالدول العربية وماليزيا وباكستان والهند مثلا هي دول غربية بالنسبة للصين وتعتبر الولايات المتحدة ودول أوروبا من الدول التي تقع في الشرق بالنسبة للصين كذلك . والإشكالية الأخرى هي أن التقسيم إلى شرقي وغربي بحد ذاته تقسيم أيديولوجي من جانب واحد فرضه إلى جانب الأيام والتاريخ أصحاب القوة الرأسمالية في الدول الصناعية ورغم أنه وصف دقيق جيوغرافيا إلا أنه يحمل معنى متحيزا . فمرة يعني الحركة والتغير فيقال إن الشرق متأخر وإن الغرب متقدم أو أن الغرب صناعي والشرق زراعي ، أو إن الغرب قوي والشرق ضعيف ، لهذا فإنه تقسيم منحرف نسبيا أيضا عن الحقيقة . وإن كان تقسيما حقيقيا في البداية بالنسبة لمطلع الشمس ، إلا أنه انحراف عن معناه بعد فترة استعمار

الشعوب والاتفاقات التي جرت للمشاركة في المصادر الطبيعية واستغلال تلك المصادر لمنفعة الشعوب أو منفعة مستغليها من القوى الخارجية ، حيث أخذت سبل التواصل بين الدول الشرقية والشرقية أو الغربية والغربية أو الشرقية والغربية تتحى منحا جديدا من التبعية في وسائل العيش (بالاعتماد على المخترعات والتكنولوجيا) ، والحماية (بالاعتماد على المساعدات العسكرية) ، والعلمية (بالاعتماد على التقدم التعليمي والصحي والعلوم الفضائية والمعلوماتية) . وقد تراوح اعتماد الدول على غيرها تبعا للانحياز التام أو النسبي أو عدم الانحياز التام أو النسبي إلى معسكر الاتحاد السوفييتي في شرق العالم العربي أو إلى أوروبا في بداية الاتصال والولايات المتحدة بعد الستينات في غرب الوطن العربي وشرقه . والإشكالية الثالثة هي أن دول العالم شرقية أو غربية لن تبلغ ما بلغته الدول المتقدمة صناعيا في يوم وليلة ، ولن يكون الوقت نفسه الذي استغرقه سير ذلك التقدم . فالعالم متغير بسرعة لا يمكن وصفها بل يتغير بسرعات متفاوتة إذا أخذنا في الاعتبار سباق التراث مع التكنولوجيا والمخترعات وتعدد مجالات التغيير الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . ولعل أفضل مثل يمكن أن يشرح تلك المقولة هو أن البدوي اليوم في الصحراء أو الفلاح في القرية (والمدينة) يمتلك جهاز كمبيوتر حاسوب خاص به كما يشاهد أفراد أسرته برامج غربية وإعلانات تجارية من خلال التلفاز ، وله أبناء يدرسون في الغرب ، ولكنه يحافظ على التراث بمنع أو حتى معاقبة أولاده إذا أبدوا رغبتهم بالانتقال من الحي بعد الزواج أو يعتبر مجرد تحدث البنات مع الذكور من خارج الأسرة جنحة أو جناية لا تغسل إلا بالدم في بعض الأحيان . فالتراث والتكنولوجيا تتقدمان كلعبة سباق السلحفاة والأرنب ، ولكن مقارنة التقدم بينهما محجفة وغير عادلة . واحترام التراث لا يعني تأخرا وإن وصمه بعض الكتاب بتلك الصفة . وهناك علاقة مضطربة حسب ما توصلت إليه البحوث العلمية بين التقدم التكنولوجي وبين انفصام عرى الأسرة وتفشي الجرائم والأخلاقية والجسدية وتنمية الانفرادية وحب الذات والانفصال عن التراث ومقومات الأسرة والاتجاه إلى الطرف الأخر عاطفيا ماديا أو روحيا. خذ مثلا الزواج الأزرق في فلسطين ، وهو الجراة على الزواج من يهوديات مواطنات أو فلسطينيات مواطنات قبل 1948 من أجل المصلحة ، وتزايد ظاهرة الزواج بأجنبيات في بعض دول الخليج والدول العربية ، وازدياد زواج السود من البيض أو العكس في أوروبا والولايات المتحدة ، وزواج اليهوديات من غير دينهن كذلك ، والزواج من خارج نطاق الأسرة والدين والتراث في دول أخرى . حتى أن النكتة المشهورة عن أحد الذين تزوجوا من أوروبية تمثل هذه الظاهرة حيث أجاب حين سئل عن دينه فقال: أنا كاثوليكي مسلم. ولا نريد أن يعتقد القراء هنا أننا نحكم على هذه الظواهر بالسلبية أو الإيجابية فليس ذلك من شأننا ، وإنما نعطي أمثلة على اختلاف سرعة التقدم بين العادات التراثية وبين الاختراعات والتكنولوجيا . فقد كان الناس في الولايات المتحدة يجرمون زواج البيض بالسود أو زواج السود بالبيض ، وقد كانت نسبته قليلة جدا في الخمسينات تزايدت مع الأيام. وتتزايد نسب الخروج عن التراث مع تزايد نسب وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة مع الأخذ بالاعتبار أن تلك النسب تختلف من شعب إلى آخر .

أما الإشكالية الرابعة فهي تفاوت القدرة على تصور مستقبل الوضع الراهن في تاريخ الأمم والشعوب . ومعنى ذلك أن الناس كالدول يتفاوتون في تصوراتهم حول المجتمع المحلي أو العالمي بعد عشر سنوات أو عشرين أو خمسين سنة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا واتصاليا. ويختلف هذا التصور بين الأفراد والشعوب والدول نسيبا باختلاف الرغبة في التغيير

وتشجيع مؤشراتته ، فالرغبة في التغيير تكون محكومة سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا ، حيث إن تشجيع مؤشرات التغيير في بلد ما يختلف عنه في بلد آخر بحكم ثروة المصادر الطبيعية أو المصادر البشرية أو اختلاف نسبة الذكور والإناث في بلد ما أو اختلاف نسبة المواطنين والوافدين أو اختلاف نسبة الأغنياء والفقراء أو اختلاف نسبة استخدام التكنولوجيا أو نسبة الانغلاق أو الانفتاح على التراث الأخر أو نسبة التواصل بين الأمم والحضارات أو اختلاف روح العصر . هذا التصور المستقبلي يتراوح اتساعا بين الشعوب التي تسابق العصر في التربية والتعليم والشعوب المستكنة لمستواها التربوي والتعليمي ، وبين الشعوب الصناعية والشعوب الزراعية ، وبين الشعوب التي تسكن المدن بأعداد متزايدة أو تسكن الأرياف والوادي والصحاري بأعداد أقل .

وقبل أن أدلف في إشكاليات تخصص الظواهر الاجتماعية من ناحية علمية ومنطقية بحتة في العالمين العربي والإسلامي ، لا بد من القول أن لكل علم من العلوم مهمتان أو وظيفتان : وظيفة علمية وأخرى تطبيقية ، فأما الوظيفة العلمية فهي التي تتمثل في إرساء قواعد العلم ومناهجه في تحري الثبات والصدق عند تجميع المعلومات المناسبة للموضوع المطروح . وأما المهمة الأخرى التطبيقية فهي التي تسهم في رفع مستوى البشر في كل مكان وخاصة في البيئة التي يطبق فيها العلم أو نتائج البحث عبر توصيات واقتراحات تقدم إلى صانعي القرار من السياسيين والأكاديميين وغيرهم . والمهمة الثانية في نظري لا تستغني عن المهمة الأولى ، بمعنى أن خطوات العلم ومناهج تطبيق تلك الخطوات يعكسان إيجابيا أو سلبيا على طريقة تطبيق النتائج . طرق العديد من الكتاب قديما وحديثا بعض الإشكاليات في العالمين العربي والإسلامي حول الظواهر الاجتماعية . والإشكاليات هي الخلافات المترتبة على الفروق المكانية أو الزمانية أو العرقية أو العنصرية أو العصبية أو السياسية أو التراثية أو السلوكية ، أما الظواهر الاجتماعية فهي الحوادث التي تتحرف عن الأصل قليلا أو كثيرا أو عما كان متبعيا في الماضي من أحوال أسرية أو أحوال دينية أو أحوال سياسية أو أحوال اقتصادية ومنها تطور فكرة الزواج أو نهج الطلاق أو طرق التفكير الاجتماعي أو السياسي أو طرق كسب المعاش ووسائل الاتصال والمواصلات .

كتابات متصلة بالموضوع :

بعد أن انتشر الإسلام كانت الحاجة في الأصقاع الإسلامية تستدعي وجود ثقافات في الحديث والسيرة ، وكانت المشكلة تتمثل في أهلية رواة الحديث في عصر كثر وضع الأحاديث فيه لدرجة أن علماء الحديث تعرضوا للكاذبين الواضعين كما فعل الأعمش (ت148) وقصته مشهورة في كتب التاريخ حيث ادعى أحد القاصين أن الأعمش حدثنا عن أبي إسحق ، وكان الأعمش حاضرا ، وأثبت كذبه لأنه لم ير القاص من قبل . وكان الزنادقة أكثر جرأة على الوضع وهم يعترفون بذلك . وقال المهدي الخليفة العباسي: "أقر عندي رجل من الزنادقة أنه وضع أربع مائة حديث فهي تجول في أيدي الناس" (وابن الجوزي يذكر مائة حديث بدلا من 400) ، وقال عبدالكريم بن أبي العوجاء : "والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحل فيها الحرام ، ولقد فطرتكم في يوم صومكم وصومتمكم في يوم فطركم." (ابن الجوزي: الأحاديث الموضوععة 4/1 أ) وكان حماد بن زيد يقول : "وضعت الزنادقة على رسول الله أربعة عشر ألف حديث." (أكرم العمري :ص 35 عن العراقي:فتح المغيبي/127) فكان ظهور أئمة المذاهب الأربعة المشهورة (بين القرنين الثاني والثالث الهجريين) أو الأئمة العشرة في الحديث الشريف في القرن الثالث الهجري أحد أهم

التطورات لحل مشكلة الوضع، وقام بعدهم بقرن من الزمان الفارابي (870-950م) فكتب نوعاً آخر من المواضيع السياسية والاجتماعية حيث كتب "المدينة الفاضلة" وفيها يسلّم القيادة للفلاسفة وأهل العلم، وكان يعيش في كنف سيف الدولة الحمداني، كما ألف الغزالي (1058-1111م) كتابه "إحياء علوم الدين" و"تهافت الفلاسفة" بعد أن رأى الناس يعطون أهمية للفلاسفة ويتركون أساسيات الدين، وتبعه ابن رشد (1126-1198م) في كتابه "تهافت التهافت" رداً على الغزالي في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي وكان يعيش في كنف الموحدين، وخرج ابن تيمية بمنهج الأصولي في بداية القرن الرابع عشر (1263-1328م)، وظهر ابن خلدون (1332-1405م) في نهاية القرن الثالث عشر وكتب "المقدمة" في التاريخ. وكما نرى فإن كتابة معظم هذه المؤلفات حصل بعد وجود مشكلة أو ظاهرة اجتماعية عامة تتحرف بالمجتمع في اتجاهات غريبة مما احتاج إلى حل مستعجل للعودة إلى الأصول أو الدفاع عن الاتجاهات الجديدة الغربية على مدى التاريخ أو الغربية في نهاية التاريخ حسب كتابات فوكوياما وصموئيل هانتجتون. وقد كان لاتساع رقعة الدولة الإسلامية واتصال العرب بغيرهم والتكسب بالكتابة للشهرة والمنافع الشخصية أثر في ذلك. وفي قضية أئمة المذاهب الأربعة من حيث المكان، كان مقام الإمام مالك في المدينة ولكن أتباعه نشروا مذهبه في شمال أفريقيا والسودان، وكان الإمام أبا حنيفة النعمان في الكوفة، وكان الإمام الشافعي في بلاد الشام والعراق، وكان الإمام محمد بن حنبل يقطن الجزيرة وفيها انتشر مذهبه الذي تبعه وزاد في نشره ابن تيمية فيما بعد. وقد انتشر أئمة جمع الحديث وكتاب السيرة النبوية بين الجزيرة والبصرة والكوفة وبلاد الشام. ورغم قلة العلماء بعد القرن الرابع الميلادي، إلا أنه ظهر عدد منهم في فترات متفرقة ومنهم ابن القيم الجوزية في منتصف القرن الرابع عشر، ومحمد بن عبد الوهاب في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في نهاية القرن التاسع عشر. وقد ظهر كلاهما في وقت عصيب يمر به العالم الإسلامي فكانت كتاباتهما تحث على فهم العصر من منظار الأصل. وكان محمد عبده أجراً على التطرق لمشاكل عصره وأجراً على العامة منه على الخاصة حيث كان ممن يؤيدون بقوة، الوضع الراهن في عصره.

وفي رأيي أن موضوع فهم وتحديد الإشكاليات أي موضوع للدراسة يعتبر من أهم العناصر للكتابة العلمية الهادفة. ومعظم الإشكاليات تصدر عن عدم فهم وتحديد الفروق بين ما هو علمي نظري منطقي بنائي وبين ما هو عملي تطبيقي عاطفي وظيفي لذا فإن التفاوت والاختلاف لا بد وأن يحصل في كتابات الكتاب المتخصصين وغيرهم على حد سواء. ويتشابه الكتاب والمفكرون والعلماء في العالمين العربي والإسلامي مع غيرهم من الكتاب والمفكرين والعلماء في العالمين الشرقي والغربي (من الصين إلى الأمريكتين). وفي رأيي من أجل تلافى مثل تلك الفروق والإشكاليات فإن الأمر يحتاج إلى قاعدة علمية تكون أساساً لكل باحث أو متناول لأي موضوع سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي أو اتصالي. وعلى الكتاب والمفكرين والعلماء أن يفتقدوا بهذه القواعد وأن يسيروا على هديها وأن يطبقوا بمقتضاها تحليلاتهم للمشاكل التي يتناولونها بالوصف أو البحث أو التقصي. وحسب رأيي المدعوم بالبحث العلمي على تواضعه خلال السنوات الخمسة عشر الماضية، فإن هذه القواعد العلمية تتضمن مهارات وملكات وقدرات علمية أولها ملكة القدرة المتخصصة على فهم النظريات الحديثة وخاصة النظرية القمرية من أجل التفريق بين الإشكاليات المنطقية النظرية والإشكاليات العملية الواقعية. فإذا تمكن الباحثون والباحثات من امتلاكها فإنهم

سيكونون قد أسسوا لأنفسهم جوازا يدخلهم إلى عالم العقل الذي يميزهم عن سائر غيرهم ممن يعيشون لياكلون ويعتمدون الإشاعة حقيقة والعرف دينا . وأن يخلصهم من الانتماء العشوائي ليمين أو ليسار. أو لشمال أو جنوب ، كما يؤهلهم أن يكونوا روادا وقضاة وثقافتا عدولا فيما يبحثون فيه من تخصص . وفيما يلي نجمال بعض هذه الإشكاليات المقترحة ، وقد رمزنا إلى الإشكاليات النظرية المنطقية بالعامودية وإلى الإشكاليات الواقعية بالأفقية . وسنحاول تطبيق هذه الإشكاليات المقترحة حسب النظرية القمرية (أو الهلالية) التي ينادي بها الكاتب .

من مجموعة الإشكاليات النظرية المنطقية الموضوعية العامة الشاملة العامودية عند كل أمة من الأمم لا تستطيع السير في مضمار الحضارة ولا تفهم التغيير وتوجهاته بغض النظر كانت تلك الأمة شرقية أم غربية ، ما يلي:

- إشكالية الشكل والمضمون Form and Content (أو إشكالية المادة والروح) فالاهتمام بالشكل يأخذ حيزا كبيرا من كتابات المؤرخين والسياسيين والصحفيين وغيرهم . ويبقى المضمون دون وعي عند أكثرهم فتحصل الإشكاليات بين مؤيد ومعارض وبين مهاجم ومدافع لا يلتقي أحدهما بالآخر إلا ما ندر منهم . ويغلب الشكل في أكثر الأحيان على المضمون وتأخذ الكمية مكان النوعية فتضيع الحضارة ويتوه أصحابها في كل درب بعيدين عن البناء العقلي والفكري الذي يتسم بالمهارات المكتسبة التي يمكن لأي إنسان أن اكتسابها ما دام له عقل إنسان وليس جيب إنسان .

إشكالية مستوى التحليل Analysis Level أو إشكالية العام والخاص General and Particular ، وهو عدم القدرة على التفريق بين ما هو عام وما هو خاص في البحث العلمي ، فتمتزج المستويات وتضيع الفكرة والعناصر ويصبح البحث العلمي عملية إنشائية تراوح بين المستويات ولا تجد لنفسها مخرجا لها من ذلك .

إشكالية المصالح العامة والمصالح الخاصة Public and Private ، ومنها القدرة على التمييز بين نوعين من المصالح ، مصلحة تخص المواطن وحده كأبحاث السلوك والتغيير الاجتماعي ، ومصلحة لا بد من أن يكون للدولة الجزء الكبير في ضبط تلك المصالح والمساواة في توزيعها ، وإن كان بينهما تزاوج لا ينفصم إلا أنه لا بد من التمييز بين ما تقوم به الدولة فيما ينضوي تحت المصالح العامة وبين مسؤوليات الفرد من مصالح خاصة . وكلاهما سند يدعم الآخر ويتصالح معه لا أن يتنافر .

إشكالية أحادي المصالح و متعدد المصالح Unilitarianism & Multilitarianism ، كثيرا ما يختلط الأمر على الباحثين والباحثات والمفكرين في التمييز بين ما هو أحادي المصلحة وهي خدمة هدف محدد ، وبين ما هو متعدد المصالح أو خدمة عدة أهداف من البحث . وقليلون هم الذين يعرفون استعمال كل منهما حسب مقتضيات البحث ووسائله .

إشكالية الكمية والكيفية Quality & Quantity ، يخلط كثير من الباحثين والباحثات بين ما الكيفية والكمية في إجراء البحوث العلمية ، وقد تخدم معلومات قليلة الهدف البحثي أكثر من المعلومات المكسدة التي لا تفيد الهدف ولا تحققه للباحثين . ولكل منهما مقياسه الإحصائية وطرق تحليل معلوماته ، واقتراح نتائجه .

إشكالية المثالية والواقعية Idealism & Realism وهي إشكالية توقع الباحثين والباحثات في مشكلة تمييز ما هو مثالي عما هو واقعي ، وكثيرا ما يلتبس الأمر على الباحثين

والباحثات والمختصين والمختصات في مجال البحث العلمي فيعتبرون الأمر واقعيًا وهم يقصدون التخييل المثالي والعكس صحيح ، أي يعتبرون الأمر مثاليًا وهم يقصدون الواقع.

إشكالية النظرية والتطبيق Theory & Practice ، وعادة ما يكون التنظير غالبًا على التطبيق ، ودور الباحثين لا بد وأن يعطي أهمية للتطبيق على النظرية ، فالنظريات كثيرة ويمكن تطبيق أكثر من نظرية على الواقع . وفي كثير من الأحيان تخدم البحوث التي أجريت في العالمين العربي والإسلامي النظرية المستوردة من الغرب دون معرفة تطبيقها وتحجيمها حسب البيئة العربية والإسلامية . فالنظريات السلوكية كثيرة مثل نظريات فرويد وبياجية ، وإذا لم يؤخذ في الاعتبار التراث الإسلامي وقيادة الذات في التصرفات الاجتماعية فإن الهدف من النظريات يضيع نظرًا لما فيها من مادية وجشع نفسي وطمع حيواني لا يتناسب مع التراث الإسلامي الذي يربي الفرد على أن يكون عضوًا في مجموعة سواء كانت أسرة أم صحبة أم صداقة أم جيرة أم شعبًا أم أمة .

إشكالية السبب والنتيجة Cause & Consequences(or Effect) ، تعتبر إشكالية السبب والنتيجة من أعقد الأمور في الأبحاث نظرًا لما للأسباب المتعددة التي تشترك في نتيجة واحدة أو عدة نتائج. ولا بد من التحكم في العمليات الإحصائية التي تبين الخطأ المعياري في كل معادلة ، حتى نصل إلى السبب العام وليس الأسباب الفرعية للنتائج . ولا بد للباحثين والباحثات أن يكونوا على علم بتحليل العنصر أو العناصر لتوكيد حجمه في الظاهرة المدروسة . وفي كثير من الأحيان يستخدم تحليل العنصر في التوقعات السياسية أو الظواهر الاجتماعية أو السلوكيات الفردية بناءً على خبرات سابقة تفرغ إحصائياً وتحلل إحصائياً بحيث لا يكون هناك أي حظ للخطأ الشخصي في عملية الحسابات.

أدب ولغة ونقد

عناصر النقد الأدبي

للدكتور حسن عبد القادر يحيى

أستاذ بجامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

PRINCIPLES OF LITERATURE CRITIQUE

HASAN YAHYA, PH.D

يحتاج الناقد مهارة خاصة في تحديد عناصر الأدب عند نقد قطعة نثرية أو شعرية أو حتى لوحة زيتية ، وهذه العناصر حسب اعتقاد كثير من النقاد أربعة ، وهي : العاطفة والخيال والمعاني والأسلوب . فإذا خلا النقد الأدبي من أحد هذه العناصر اعتبر النقد جزئيا ولا يعتد به إلا في مجاله ، وكثيرا من النقاد من يتعرض للعاطفة فقط في عمل أدبي سواء أكان ذلك العمل نثريا أم شعريا . ولا بد للناقد أن يكون واعيا لعنصرين يعكسان روح العصر الذي قيل فيه النص أو كتب ، وهما عنصر الزمان ، وعنصر المكان ، ويضاف إليهما ثقافة الأديب ونفسيته وغرض نصه . ونحن على علم بأن أغراض الشعر تختلف في عصر عن غيره من العصور ، كما تختلف الأغراض عند الأديب الواحد ، وإذا كان الشعر ما هو إلا انعكاس لنفسية الشاعر ، وأحاسيسه ، فإنه يكون أيضا انعكاس للحالة النفسية التي يمر فيها الشاعر فتصف حاله ، فهو مرة شاعر بالتحسر والأسى لفقد حبيب ، ومرة أخرى بالشوق والحنين للقاء حبيب ، ومرة ثالثة بالوصف الدقيق لما حوله من بيئة طبيعية أو بشرية ، ومرة رابعة بالمدح تكسبا أو عرفانا بالجميل ، ومرة خامسة بالعتاب وطلب الصفح ، ومرة سادسة بالغضب فيهجو بلسان سليط ، وهو أي الأديب يمزج عاطفته بالخيال في كل ما سبق . وتعتبر العاطفة أكثر الميزات ظهورا في الأدب . وتكون نسبية للموضوع التي يتناولها الأديب . أما الخيال فهو المحرك للعاطفة ، ولا تكون هناك عاطفة بدون خيال أو تخيل . أما المعاني فهي أساس لكل أنواع الأدب ما عدا الموسيقى . وتظهر أهمية المعاني فيما تدل عليه ، خاصة في مواضيع الحكم والمواظ والأمثال الشعبية ، ويكون للمعاني ودالاتها أهمية خاصة في التعبير . وهي تزيد من الصورة جمالا أو قبحا حسب الغرض في النص ، أما الأسلوب وهو نظم الكلام وطرائق تأليفه فهو وسيلة للتعبير عن الآراء والأفكار وهو فن قائم بنفسه . وله عناصره ، ولا يكون للعناصر الأربعة قيمة إلا باجتماعها في النص الأدبي لأن عناصر الأدب تؤثر ببعضها البعض . فتزيدها رونقا وبهاء وحسن تعبير . وتتحصر العاطفة الأدبية في الشعر مثلا حسب النقاد العرب الأوائل في أربعة قواعد وهي : "الرغبة ، والرغبة ، والطرب ، والغضب " فمع الرغبة يكون المدح والشكر ، ومع الرغبة يكون الاعتذار

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

والاستعطاف ، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ، ومع الغضب يكون الهجاء والوعيد والعتاب . وهذا الوصف يراعي ما يشعر به الأديب لا ما يشعر به المستمتعون بالشعر . ولكن كيف تقاس العاطفة في قطعة أدبية أو عمل أدبي ؟ وعلى ماذا يعتمد النقاد في تقديمهم؟ قيل إن الصحة والاعتدال أمران لازمان في العاطفة ، عاطفة الشعر أو عاطفة الأدب النابعتين من التساؤم لا تكون عاطفة صحيحة . وإنما عاطفة مريضة ، والشعر الجيد هو الذي يثير العواطف بقدر وبيئتها بعمق . لأن المغالاة والكذب في العواطف يدمران الشعر والأدب . أنظر إلى شعر أبي الشمقمق حيث يصف حال نفسه ، فهو لا يملك شيئاً في الحياة وجسمه اضمحل حتى لم يعد يظهر خياله على الأرض لشدة نحول جسده ونحافته، ويتمادى في الوصف حتى أن فقره يعطيه الحق في أن يأكل أولاده ، فيقول:

أنا في حال تعالى الله ربي أي حال
ليس لي شيء إذا قيل لمن ذا؟ قلت: ذا لي
ولقد أهزلت حتى محت الشمس خيالي
ولقد أفلست حتى حل لي أكل عيالي

وقال دعبل الخزاعي من شعراء القرن الثالث الهجري أن الفطيم يشيب :

لقد عجبت سلمى وذاك عجيب
رأت بي شيباً عجلته خطوب
وما شيبنتني كبرة غير أنني
بدهر به رأس الفطيم يشيب

والأمر الثاني اللازم لقياس العاطفة هو القوة والحيوية: وهي تهيج العاطفة والمشاعر . وكلما زادت القوة في قطعة شعرية أو نص أدبي نثري وزادت حيويتها كانت القطعة قريبة من الكمال في الأدب . ومنه الإيحاء الذي يؤثر في العاطفة فيكون منها عاطفة حنان ، أو عاطفة جمال ، أو عاطفة إعجاب ، أو عاطفة اشمزاز وكراهية ، ويختلف الناس في أدواقهم وطباعهم وأمزجتهم ، ونظراً لهذا الاختلاف لا يمكن أن يكون هناك مقياس واحد للعاطفة في الشعر والأدب، فمن النقاد من يعطي الصدق والاعتدال أهمية خاصة ، ومنهم من يركز على القوة والحيوية في النص الأدبي النثري أو الشعري .

ومما يزيد من قوة العاطفة عند الأديب طبيعته القوية في إثارة مشاعر الناس وصفقتها حسن التعبير ودلالات المعاني وقوة الخيال . كما تعتمد قوة العاطفة على قوة الأسلوب وسلاسته وجمالياته ، فهي مدخل لإثارة العواطف ووضوح المعاني . وقد يعالج الأديب المعاني فيعبر عنها ويوصلها للناس ولكنه لا يستطيع نقل عاطفته ومشاعره إلا بقوة الأسلوب وسلاسته . كما تقاس العاطفة بمدى استمرارها ودوامها وبقاء أثرها بين السامعين .

ولحسان بن ثابت شعر يهجو فيه بني عبد المدان لتفاخرهم بطول القامة عند أفراد عشيرتهم ، وإن كانت تلك الصفة مستحسنة في الخلفة ، إلا أنها إذا زادت عن اللزوم استدعت الهجاء والأمثال الشعبية التي تصفها ، ما زال البيت يستعمل حتى يومنا هذا ، يقول فيه:

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم

جسم البغال وأحلام العصافير

ومن الأمثال الشعبية يقول الناس: "كل طويل لا يخلو من الهبل" ، أو "الطول طول نخلة والعقل عقل سخلة" ، ولم ينج قصر القامة أيضا من التندر والأمثال. والعنصر الرابع لقياس العاطفة هو خصوصية العواطف وتنوعها : ولا تعني شهرة الأديب أنه خصب العاطفة ، فهناك عوامل أخرى ، وتظهر هذه الخصوصية عند كتاب الروايات والدراما ، فما يكتبونه لا يعبر عما في نفوسهم ولا عما في عواطفهم الشخصية فحسب ، وإنما يعبر عن أشخاص يمثلون جوانب الحياة ونشاطاتها ، وهذا يحتاج إلى تنوع للعاطفة بالإضافة إلى غزارتها ويكون الأديب على اطلاع ومعرفة واسعة بطباع الناس واختلاف أمزجتهم ، وطرق حياتهم وتصرفاتهم . والأدب هو تفسير للنواحي الحياتية . ووصف مشاعر فئات متفاوتة في العمر والبيئة الاجتماعية والقدرة على معاركة الحياة ، فبدون هذا التعمق في بواطن الأمور وأغوار النفس البشرية لا تظهر حقيقتها ، فالأديب واسع المعرفة والخبرة والترحال ، كمن ذاق كل طعم وتعلق من كل شيء بسبب .

كما تقاس العاطفة في العمل الأدبي بنوعها ودرجة سموها أو انحطاطها: ويختلف النقاد في قياس هذه الصفة ، حيث إنه لكل منهم منظاره ، فإذا كانت العاطفة سامية ، فمن وجهة نظر من؟ وإن كانت وضيعة ، فمن وجهة نظر من؟ وليس للأخلاق دخل في الحكم على العاطفة الأدبية ، وما نقصده هنا هو ما يمس جوانب الحياة ويساهم في ترقيتها ، فالشعر الذي يشكو الحياة ويصف ألمها ويتغنى بالحب وأفراحه أو يبكي من آلام الهجر والنأي ، ويتشائم من فرص الوصول إلى المبتغى ، هو أدب أخلاقي من وجهة نظر قائله . وقد يختلف النقاد من وجهة نظرهم ، فالعواطف التي تتصل بحياة الناس وسلوكهم أرقى من العواطف التي تثير لذة الحواس . والأدب الراقى هو الأدب الذي يدفعنا إلى الحياة الراقية كما يصورها الأديب . وللأدب الراقى صفة أخلاقية تثير المشاعر الصحيحة وليس المشاعر الخادعة. وحسب هذا الكلام فليس الفن من أجل الفن يكتب ، وإنما يكتب ليحرك في الجمهور المشاعر الصحيحة ويؤدي هدفه الذي يرمي إليه .

وليس للأديب وظيفة سوى وصف جوانب الحياة الإنسانية وشرح تعقيداتها ، فهو يعرض الطبيعة الإنسانية بما فيها من خير أو شر مرة ، وبما فيها من شهوات حادة أو معتدلة ، مرة أخرى وهو لا يتقيد بقواعد الأخلاق . فالأدب انطلاق من معادل العبودية للأخلاق ، والقيم السائدة ، لأن المبتكرين يخرجون على الواقع المعاش ويعيشون في الخيال والمتوقع وهما صفتان لتغيير الواقع والرفي بالإحساس إلى مراتب عليا جديدة في نكهتها وشكلها وطعمها وجمالها.

الخيال: هو الأساس في بعث العاطفة وإثارتها لدى القراء والقارئات ، فوصف زلزال لا يوحي بالعاطفة ، وإنما تصوير مواقف يحاول الناس تخليص أنفسهم من مآزق الزلزال فيها عاطفة تشد الجمهور للتعاطف مع أشخاص الرواية . فوصف الناس وهم تحت الانقراض ، أو وصف عمليات إنقاذهم من تحت الدمار تزرع العاطفة وتزيد المشاركة في الإحساس بها . وقد يؤدي التمادي في الخيال إلى الوهم ، والخروج من دائرة الواقع الإنساني وخبراته الحسية . و يكون التصور في النص الأدبي بربط شيئين واقعيين نراهما فرادى ولا

نتصورهما معا ، أو ربط ثلاثة أشياء حقيقية في صورة خيالية ، كما كانت الآلهة الذين صورها الأدياء القدامى فنصفهم رأس رجل من بني آدم والنصف الآخر جسم حيوان له أجنحة يطير بها . ومنه تصوير أسنان الجميلات باللؤلؤ والمرجان ، والشفاة بالعناب والخدود بالتفاح ، والنهود بالرمان والزنود بقصب السكر . وهذا ما يطلق عليه بالخيال الخلاق الذي يؤلف بين مناظر مختلفة في صورة جديدة .

ويؤثر الخيال في العقل والعاطفة معا فيجعل الجمهور مرتبطين بما يقرأ ، فيربط بين الدوافع ونتائجها ، وبين الأسباب ومسبباتها . وللخيال الأدبي ارتباط كبير بالعاطفة ، وكلما كانت العاطفة قوية كلما احتاجت إلى خيال قوي يؤدي إليها ويصب في جداولها .

أما العنصر الثالث من عناصر النقد الأدبي فهو عنصر المعاني: وقيمته في الأدب ليس لها حدود ، والغرض من إيراد المعاني هو جلب الحقائق أولا لا جلب المتعة واللذة ، فالمعاني تؤدي المعنى أولا وتخبر بالحقائق ، ومن صفات المعاني أن تكون: دقيقة ، غزيرة ، فياضة ، واضحة . لتسهيل فهمها على الناس ، وعلى الأديب أن يكون ماهرا في معرفة ربط المعاني بالعاطفة والخيال حتى يؤثر في الجمهور القاريء أو السامع ، والإبقاء كتاباته سردية جامدة لا حياة فيها ، فمهمة الأديب ليست تعليم الحقائق وإنما الانتفاع بالحقائق المعروفة لتتهييج عواطف الناس . وجعلهم يشعرون بها بشكل قوي جديد لم يكن معروفا من قبل . فالانفعالات النفسية من محبة وكرهية وغضب ، تحدث كل يوم ، ولكن أثر هذه الانفعالات على شخصية محددة في القصة أو الرواية يجعل منها صورة جديدة للشخصية يتعاطف معها الناس .

وأخر عناصر النقد الأدبي هو الأسلوب: وهو اختيار الكلمات وطريقة نظمها مع بعضها البعض لتعطي معنى مفهوما دون توعر أو ثقل يمنع انسياب الحروف والكلمات بأسلوب فريد سهل . فالسجع والمحسنات البديعية كانت أسلوبا استعمله الأدياء في فترة تاريخية معينة، والأسلوب يتبع روح العصر، فالأسلوب السهل الذي غلب على أدباء العصر الأندلسي في البيئة الطبيعية ببساتينها وأشجارها وأنهارها يختلف عن الأسلوب الجزل الجاف لأيام الصحراء ورمالها وحياة البداوة الصعبة القاسية فيها . والأسلوب الحماسي له ألفاظه ومعانيه، والأسلوب الوعر الألفاظ له خاصية يتميز بها . ونخلص في هذا المقال إلى أن ارتباط عناصر الأدب الأربعة العاطفة والخيال والمعاني والأسلوب ، وامتزاجها مع بعضها البعض في عمل أدبي يعد من الأسس النقدية لذلك العمل الأدبي ، وقد يطغى أحدها على الأسس الأخرى بالنسبة لموضوع الأدب كالشعر والنثر أو الرواية ، إلا أن الأعمال الأدبية الخالدة لا تخلو من تمازج هذه الأسس وتناغمها معا كعزوفة موسيقية تمتاز فيها آلات الناي والعود والقيثارة لتخرج للسامعين لحنا يؤثر في عواطفهم فيطربهم أو يحزنهم أو يبكيهم أو يجعلهم يتحسرون على ما مضى من عمر .

وفي الختام نقول إن موضوع الأدب هو الحياة الإنسانية ، وهو يشمل ما تفكر به وما نترجمه من أفعال وتصرفات ، وكل ما يفعله الإنسان أو يقوله أو يفكر فيه هو من مواضيع الأدب . ولا أدب بدون عاطفة . ولا عاطفة بدون خيال ، ولا خيال ولا عاطفة بدون معنى دلالي أو أسلوب شيق يربطها معا في بناء متكامل مترابط من الواقع والمتصور ، فالأدب الجامد هو علم بلا عاطفة، والفرق بين العالم والأديب هو أن العالم يلاحظ الظواهر من حوله ويستكشف قوانينها وعلاقتها بالأشياء الأخرى من حولها والظروف التي تكتنفها. بينما الأديب يلاحظ

الأشياء من حيث علاقتها بعواطفه وطبيعته الأخلاقية فيقوم بوصفها بقالب خيالي وأسلوب عصري يوحي بالعاطفة فيرقى بالناس إلى ما هو أفضل حياة وما هو أرقى مشاعرا وما هو أذكى إحساسا .

منوعات في الأخلاق والعولمة

لا خوف على العرب من العولمة

د. حسن عبد القادر يحيى

لقد انشغل المثقفون في العالم العربي خلال النصف الثاني من القرن المنصرم في الدفاع عن الذات العربية وكأنها في مهب الريح ، ووقفوا موقفا سلبيا ومعاديا أحيانا للذات الإسلامية وكأنها تهديد للفومية ، فاتحرفوا بذلك إلى ما لا يفيد من النقاشات التجريدية وتركوا الواقع المعاش الذي كان من الأولى أن يناقش ، وكان الأحرى في رأيي ، أن يهتم المثقفون العرب بما آلت إليه التغيرات الاجتماعية في الوطن العربي . وهي غياب الحرية ، وانحدار طرق المعاش والمستوى المعيشي ومنها بل وعلى رأسها البحث عن لقمة العيش والترقب لفصلها والعمل على عدم قطعها ، فلا خصوصية الذات الفردية المبنية للحصول على وظيفة أو على لقمة عيش تمحو الثقافة الكلية للمجتمع من الناحية الفكرية ولا تمحو العقيدة الداعية إلى العمل والمثابرة ، وبنفس المقياس لا الثقافة المجتمعية الموجهة نحو المادية تمحو خصوصية الذات الفردية إن أرادت الانتماء إلى عرق أو عقيدة أو كفاح من أجل لقمة العيش ، بل إن كليهما الخصوصية الذاتية الفردية والثقافة المجتمعية يعزز موقف كل منهما موقف الآخر ، وبهما معا يستطيع العربي كما يستطيع المسلم أن يعيش بفخر وثقة ويتعايش مع غيره ومع مجتمعه دون صراع نفسي أو اجتماعي أو جيوسياسي .

وتأتي العولمة ، فيجد العرب أنفسهم بين فريقين أو ثلاثة إذا أخذنا في الاعتبار ما بينهما، فأحدهما مفتوح نحو الغرب ومثله وليست كل مثله منبوذة ، فالعلوم الحديثة التي تزيد من الإنتاجية والفعالية الإدارية والتفكير المنطقي والتخطيط السليم الطويل المدى من مثله التي نود تقليدها في المشرق ، وقسم مغلق على نفسه وتراثه ومحافظ على مثله ، وليست كل مثله مقبولة . ومنها الأنانية والفردية والعنصرية والتعصب . والفريق الأول له تحليلات ومناقشات وآراء تعكس وجهة نظره ، ولا يقل الفريق الآخر عنه تحليلا ومناقشة وآراء تعكس وجهة نظره كذلك، أما الفريق الثالث وهو ما بينهما فهو فريق لا هوية له هامشي في ذاته الفردية وثقافته المجتمعية ويشعر أنه من غير المهم أن ينتمي إلا إلى العقل دون العاطفة أو ينتمي إلى العاطفة دون العقل ، وفي رأيي أن لكل فريق هفواته وشطحاته في وصف أحواله وأفكاره وعقيدته ، كما أن لكل فريق إبداعاته في التخطيط لثقافة الجمعية والذات الفردية، ومن ثم لحضارته التي لا تكتمل إلا بتمازج خصوصية الذات الفردية مع الثقافة الجمعية ، ولا يعقل أن تنمو الذات الفردية في فراغ ، ولكل فرد هوية ، فإذا كانت المرأة أو

المرء عربي الهوية ، عربي الثقافة فهو عربي العاطفة عربي التخطيط وعربي النزعة القومية التي تتخطى الحدود السياسية المحلية والوطنية . وإذا كان المسلم إسلامي الهوية ، إسلامي الثقافة ، فهو إسلامي العاطفة ، إسلامي التخطيط ، وإسلامي النزعة العالمية العقيدية ، التي تتخطى الحدود السياسية الإقليمية والعرقية . وإذا كانت المرأة أو المرء يجمع بينهما أي هو عربي إسلامي ، فخصوصيته الذاتية تحد هويته العربية الإسلامية ، أي أنه يمسك العصا من المنتصف فلا هو قومي على حساب الإسلامي ولا إسلامي على حساب القومي ، وإنما يوازن بينهما ليعيش دون التزام بأي منهما ودون الاستغناء عنهما ، فهويته تتراوح بينهما ، ففي ثقافته هو عربي وفي تقديسه لمقدسات الإسلام والشعور بمشاعر المسلمين هو إسلامي .

وتأتي العولمة ومن أهم صفاتها الهيمنة العالمية على مقدرات التبادل التجاري وقوى السوق الحرة والتي تستدعي التبعية من الضعفاء ذاتا وقومية وعقيدية للقوي الذي لا يتصف بقومية أو عقيدية محددة وإنما يملك المعلومات في عصر المعلومات ، كما يملك قوى السوق التجارية من مال وعناصر اقتصاد وحتى سياسة ، فترغم الآخرين على اتباعها وفقدان الهوية الذاتية والقومية والعقيدية، والعولمة تخيف من لا هوية له وتؤثر فيمن لا حضارة له ولا ثقافة ، لا أصحاب الهوية الذاتية أو الانتمائية . وعليه فالعرب والمسلمون ليسوا مهديين بالانقراض ولا بالدوبان في العولمة ، كما أنهم لن ينزلقوا في شلال العولمة دون أن يكونوا متحكمين بفراكل يستعملونها عند الحاجة . فالعالم اليوم متداخل مؤسسيا وفرديا وتجاريا ودبلوماسيا ، فلا خوف على العرب من العولمة ، لأن للعرب ذات وهوية لا تمحى بتبعية للغرب ولا بوصاية غربية ، فالمصادر الطبيعية والبشرية ما زالت في أيدي أصحابها ، وما علاقة التبادل بين الشرق المنتج للمواد الخام وبين الغرب المصنع للمواد الخام إلا علاقة نفعية متبادلة ، ولا تريد العولمة من الدول الفقيرة إلا استيراد ما يصنعه المتحكمون في العالم ماليا وسياسيا واقتصاديا ، وطالما أن العرب كأمة قومية ، أو المسلمين كأمة عقيدية تستورد ما يصنعه الغرب دون انتماء للغرب فالعولمة ليست ناجحة في المدارين العربي والإسلامي ، لأن الهوية العربية والهوية الإسلامية تنمو مع نمو العولمة جنبا إلى جنب وليس بالضرورة أن تتبع الهويتان العربية والإسلامية الهوية الغربية لمجرد استعمال منتجات الغرب الثقافية ، فللعرب ثقافتهم وللمسلمين ثقافتهم ولكل منهما ذاتية تخص الفرد فيهما ، تنمو في التربية والتعليم والسلوك والأخلاق . بل تستدعي الاهتمام بالمستقبل التربوي والأخلاقي للأجيال القادمة التي ستكون أكثر وعيا لما يحصل في العالم وأكثر تخطيطا وأشجع في اتخاذ القرارات الخاصة بمستقبل التربية والثقافة والأخلاق من الأجيال السابقة ، لأن هذه الأجيال إنما نشأت في عالم العولمة فتمازجت معها دون التخلي عن ذاتيتها الفردية ولا عن هويتها الوطنية ولا عن تطلعاتها القومية ولا عن مشاعرها العقيدية .

أمريكا والعولمة والأخلاق
الدكتور حسن عبد القادر يحيى
أستاذ بجامعة ميشيغان – الولايات المتحدة
America, Globalization and Ethics
Hasan A. Yahya, Ph.D

رغم كل ما يكتب في الصحافة أو يقال في نوادي الأحاديث الثقافية من الهجوم على العولمة وبالذات على أمريكا كرئيسة لما يسمى بالعولمة ، وتصور انحدار الأخلاق فيها ، فإن نظام التربية والتعليم في الولايات المتحدة يبقى من أفضل الأنظمة في العالم رغم السلبيات التي لا يخلو منها أي نظام ، وليس الهدف من هذا المقال الترويج لعمل دعاية لأمريكا ولا لمدارسها ولكن وجدت في نفسي رغبة شديدة في دراسة التحول الاجتماعي في الولايات المتحدة وتصور عصر جديد بالنسبة للأخلاق يأخذ مكان عصر المعلومات الجاف أو الخالي من العواطف ، هذا أولا ، أما ثانيا فإن هذا المقال يتعرض لوصف بعض الآليات التربوية المفيدة سواء في الإدارة أو في عملية التعليم والتعلم التي تمارس في مدارسها وتأتي أكلها لمنتسبيها من الطلاب والطالبات ، حيث إن التربية والتعليم من أكثر المتغيرات والأسباب الموجهة للتغيير الاجتماعي ، لعل في ذلك فائدة لأصحاب القرار (المتورطين) في شؤون النظم التربوية والتعليمية العربية من مدراء المناطق ومدراء المدارس ومدرساتها ومدرسيها الذين تقع على أكتافهم مهمة رسم المستقبل اللامع للأجيال القادمة . فبعد أن قضيت ما يقرب من عشرين عاما في ولاية ميشيغان وهي الولاية المشهورة بصناعة السيارات (كرايسلر ودودج وفورد وغيرها) قبل تصديرها لجميع أنحاء العالم ، وهي الرائدة في التربية والتعليم والشهيرة بجامعاتها مثل جامعة ميشيغان (تأسست سنة 1817) وجامعة ولاية ميشيغان (تأسست سنة 1855) وجامعة وين ستيت وإيسترن ميشيغان وسنترال ميشيغان وغيرها ، ولا بد من بيان نقطتين هامتين إحداهما: أن فلسفة التربية والتعليم في أمريكا تتبع من المذهب الذي يؤكد على حب النفس وأنانيتها وبناء الشخصية الفردية لتعتمد على نفسها واتخاذ قراراتها وإبداعاتها على حساب الانتماء للمجموعة ، بينما تقوم فلسفة النظم التربوية والتعليمية العربية (إن كانت توصف بالفلسفة التربوية) على ذوبان الشخصية الفردية في الأسرة وتوكيد انتمائها للمجموع (وهو عامل إيجابي في المجتمعات الشرقية) ، فالفرد (الطالب أو الطالبة) لا يترك له أولها المجال ليكون معتمدا على نفسه أو على نفسها لتتخذ القرارات دون الرجوع إلى من هو أكبر منها سنا . أما النقطة الثانية فهي أن طرق التدريس في مدارس الولايات المتحدة متجددة دائما وتستفيد من المعرفة التي تنتجها الأبحاث حول التربية والتعليم والإدارة التربوية بينما العديد من النظم التربوية والتعليمية في عالمنا العربي

ما زال يستعمل طرق التدريس التقليدية من اعتبار التلاميذ كأوعية للمعرفة دون تحليلها والاستفادة منها أو تطبيقها والاستفادة منها في الحياة العملية كالوظيفة والتعاون مع الغير لخدمة أهداف التعليم ومنها خلق المواطن الصالح كرب أسرة سعيد أو مدير ناجح . لذا نجد التلاميذ في معظم مدارس الولايات المتحدة تواقين للذهاب إلى المدرسة فليدوم ما سيقومون به من نشاطات يعرفونها مقدما ومنها تطبيق النظام وحب المساعدة واكتساب المهارات ، فمثلا هذه طالبة عليها التدرّب على عمل ضابط المرور صباحا ، فهي تلبس لباس شرطي المرور وتساعد زملائها على عبور الشارع المودي إلى المدرسة فتوقفهم حتى ينجلي مرور السيارات ثم تحمل يافطة وتقف في وسط الشارع وتأمّر زميلاتها وزملائها بالمرور وهم يبيتسون حتى يصلوا إلى الجانب الآخر ، ونظرا لأنها ستنال جائزة من إدارة المدرسة بعد نجاحها في مهمتها فإنها ستشعر بالأسف إذا تأخرت عن موعدها الذي يكون عادة قبل دوام المدرسة بنصف ساعة ، ومثل آخر يقوم طالب أو طالبة بضبط سلوك الطلاب طيلة اليوم فيصدرون مخالقات للطلاب لأنهم تأخروا عن اللحاق بفصولهم بين الحصص أو تلكأوا في مشيتهم في الطرقات. بينما نجد التلاميذ في كثير من المدارس العربية يأتون إليها وهم يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى ولا يبدو عليهم المرح ولا يتوقعون منها شيئا جديدا ، ونرى بعض التلاميذ يحاولون الهروب منها أحيانا . ولا يتدربون على شيء من شؤون الحياة العملية . ويقع التلاميذ بالقول الجاف أو التأنيب إذا حاولوا استعمال عقولهم باقتراحات حول تحسين طرق التدريس أو انتقاد شيء يخص المدرسة أو مديرها أو مدرسيها أو مناهجها. أما الشيء الآخر فإن مقارنة عدد الكورسات (المواد الدراسية) التي تعطي في المدارس الثانوية في الولايات المتحدة مثلا لا يقل عددها عن مائة مادة دراسية ، ويكون اختيار الطلاب لهذه المواد حسب رغباتهم ومنها تكوين النوادي الثقافية والرياضية كنادي السباحة وفريق كرة السلة وفريق كرة القدم ، ونادي لعبة الشطرنج ، ونادي الرسم ونادي الموسيقى ونادي السينما ومنها التكنولوجي الذي سيفيدهم في المستقبل في اختيارهم الدراسي في الجامعات مثل تصليح الآلات الموسيقية أو تصليح أجهزة الراديو والتلفزيون والسيارة والتدرّب على استعمال الدائرة الكهربائية أو تعلم الطبخ ودراسة النباتات أو الآثار ، أو التدرّب على الإدارة في مؤسسات المجتمع القريب من المدرسة كإدارة المرور ودائرة البريد ودائرة الضريبة ومكاتب دوائر الانتخابات السياسية المحلية لمجلس المدينة أو المنطقة ، أو استغلال ذكائهم في الالتحاق بالجامعات التي بدأت باستقبالهم لدراسة مساقات تحسب لهم وهم في الثانوية ، وقد كان في فصولي الجامعية التي قمت بتدريسها عدد منهم حيث كانوا ينقلون من مدارسهم وتدفع المدرسة تكاليف دراستهم ، وكانوا من المبدعين كزملائهم في الجامعة ، عدا عن مساقات تمنحهم إجازة قيادة السيارة وهم في السادسة عشرة ، وإجازات الإنقاذ في التدريب المهني أو الإسعافات الأولية . وتعطي الفرص للمبدعين مهما كانت جنسياتهم وقد أسعدني ما سمعت مؤخرا من أن معدل أحد الطلبة العرب المسلمين في إحدى مدارس ميشيغان قد حاز على معدل 4.4 من 4 ، فالطالب قدم أكثر مما هو مطلوب منه وكان مثلا لكل الطلاب حيث عرضت عليه العديد من الجامعات الأمريكية أن يلتحق بها مجانا .

ولم تصل الولايات المتحدة إلى ما وصلت إليه في التربية والتعليم بسهولة وبدون تخطيط أو بدون أن تستفيد من الأبحاث حول النظم الدراسية والتوجيه والإدارة سواء إدارة المدرسة أو إدارة الفصل الدراسي . فمنذ أن قام جون ديوي John Dewey وزوجته في مدرستهما الخاصة بنقل نوعية الاهتمام من المدرس والكتاب إلى الطالب والطالبة ، ووجه التربية قد

تغير في الولايات المتحدة ، ويعتبر جون ديوي رائد التربية الحديثة في الولايات المتحدة لأنه أكد على نقل الاهتمام بالمدرسين والمنهج الدراسي (التقليدي الكنسي) إلى الاهتمام بالدارسين من الطلاب والطالبات . فقد أضاف عددا من المساقات التي تفيد الطلاب في حياتهم العملية وتكسيهم مهارات خاصة وتتنوع خبراتهم ليكونوا فعالين في مجتمعهم . وفيما يلي نورد بعض جوانب التغيير في بعض ظواهر التربية والتعليم في الولايات المتحدة التي قد تؤذن ببداية عصر جديد يهتم بالإنسان كبشر والأخلاق كصفة مقدسة .

إنهم يغلقون المدارس في أمريكا

هل تصدقون ذلك ؟ نعم هذا صحيح ، ولكن قيل في أمثلة العرب : إذا عرف السبب بطل العجب . فبعد الطفرة السكانية التي حصلت في المجتمع الأمريكي بعد الحرب العالمية الثانية والحرب الكورية بازدياد عدد المواليد الذين يسمونهم بجيل البيبي بومرز baby boomers فتحت العديد من المدارس حتى تستوعب العدد الهائل من الأطفال في الستينات والسبعينات ، ولكن الحال تغير بعد ذلك فاتخذت العديد من الدوائر الانتخابية في مراكز المدن والضواحي قرارات بإغلاق بعض المدارس التي قل فيها عدد التلاميذ ، وقد أصاب ذلك القرار عددا كبيرا من المدارس في المدن المكتظة بالسكان مثل ديترويت وشيكاغو ونيويورك ومفيس وغيرها . وقد استغرب الكثير من المراقبين هذا العمل ، فكيف تغلق المدارس بهذه السهولة في الولايات المتحدة ؟ وكان الجواب سهلا ، ففي ميزان الربح والخسارة ، فإن عملية استمرار فتح المدرسة لاستقبال التلاميذ ستكون خاسرة لأنها تستتبع استمرار توظيف المدرسين مع اضمحلال عدد التلاميذ ، وحتى تكون العملية مربحة ، يحول المدرسون والمدارس إلى مدارس أخرى وتغلق المدرسة من أجل الإعلان عن استئجارها واستغلالها ، وحتى يبيعها إذا لم تكن عملية الاستئجار مربحة . وعند معرفة السبب بطل العجب . وفي

بلادنا العربية يفتحون المدارس

الشركات التجارية تدير المدارس

إنهم يسلمون الشركات التجارية إدارة المدارس من أجل إنجاحها في عملها ، أما كيف كان ذلك فهذه هي الحكاية ، فبعد أن كثر الكلام حول فاعلية المدارس ودارت الأحاديث حول مغادرة الطلاب للمدارس قبل التخرج بأعداد كبيرة قبل الانتهاء من الثانوية ، فكر السياسيون ومعهم أعضاء كثير من المجالس الشعبية في المناطق المكتظة بالسكان بالاستعانة بشركات مقاوله تأخذ على عاتقها إدارة المدرسة من أجل الإبداع والابتكار وتنوع التعليم في المدارس بأسلوب تروحي يجعل التلاميذ يرتبطون بمدارسهم ولا يغادروها قبل التخرج . وقد بدأ الحال في بداية الأمر باستغلال بعض الأفكار لمساهمة الشركات الكبرى في تكاليف توفير آلاف أجهزة الكمبيوتر للمدارس وتقديم أفضل الوسائل التعليمية باستخدام وسائل عصر المعلومات وذلك عن طريق عرض بعض الإعلانات في البرامج المقدمة في المدارس ، وقد بدأت بالفعل شركات آي بي أم ومايكروسوفت وبيبيسي كولا وكوكا كولا بالمساهمة في تكاليف ميزانيات عدد كبير من المدارس رغم الاختلاف الكبير بين أولياء الأمور حول الأمر ، ولكن المساهمة التي تقدمها الشركات تفيد المدرسة في زيادة عدد الكمبيوترات والوسائل المعينة الأخرى وزيادة النشاطات الرياضية وتوفير أفضل المدرسين والمدرسات من ذوي الخبرة والتخصص وزيادة الرحلات العلمية . فالعملية كلها تقع في ميزان الربح والخسارة ، والربح هنا للمدرسة حيث لا تعود تعترض عنتوظيف المؤهلين للتعليم ، والربح يكون للتلاميذ حيث يقل عدد المنفصلين عن التعليم وينعم الجميع بما تغدقه الشركات من معونات للمدارس

، وكذلك يكون الربح للمجتمع حيث يفتح التخرج من الثانوية آفاقا جديدة لإكمال عدد كبير منهم دراسته الجامعية .

فصل الذكور عن الإناث في المدارس الأمريكية

صدق أو لا تصدق ، فهناك ظاهرة غريبة نوعا ما عن المجتمع الغربي تتزايد مع الأيام وتستحق النظر والتمحيص، وأقصد بها ظاهرة الفصل بين الجنسين في المدارس . فبعد أن زاد العنف في بعض المدارس الأمريكية وقلت الأخلاق وزاد الفسق بين طلابها وطالباتها ، بدأ عدد المدارس التي تفصل بين الجنسين في مدارس الولايات المتحدة يتزايد بناء على طلبات ملحة من أولياء الأمور ، وهذه الظاهرة تستدعي الانتباه والموعظة . فالغرب أحيانا كثيرة كان يتخذ هذه الظاهرة كعنوان للتأخر في البلاد النامية وخاصة البلاد الإسلامية ، ويتساءل البعض : ما الحاصل في هذا الأمر ؟ ولماذا يصير بعض أولياء الأمور على تنفيذ الفصل بين الجنسين في المدارس؟ وهل هناك اتجاه للاعتراف بفضل الإسلام وأخلاقه وتطبيقاته في بعض الدول العربية والإسلامية؟ وبمعنى آخر هل يتجه الغرب نحو الإسلام دون أن يدري ؟ وهل أصبحت الفضائل التي نادى بها أفلاطون هدفا للتربية في الولايات المتحدة ؟ فقد نادى أفلاطون (427-347 ق.م) قبل خمس وعشرين قرنا بأن "الجهل الأكثر إيذاء للدولة والأفراد ليس الجهل في حقل التكنولوجيا أو في حقوق التخصص ولكن الجهل هو الجهل الروحي. وما التعليم الا تدريب للروح والقيم والأخلاق. والمعرفة ليس من أجلها وإنما من أجل استعمالها في الحياة اليومية. وليست المعرفة معلومات بل حكمة فالمعرفة هي **الفضيلة** والجهل عكسها. ونعطي أمثلة لما نقول فما زالت بعض المدارس تفصل بين الجنسين ورفضت رفضا قاطعا مجرد التفكير في عكس ذلك . وهي ظاهرة تؤيد الفلسفة الأفلاطونية ، وقد تظاهرت الطالبات في إحدى المدارس ضد قرار إدارة المدرسة بفتح أبواب المدرسة للطلاب الذكور . وقدمت عرائض للإدارة بدعم من أولياء الأمور حتى رضخت إدارة المدرسة لرغبات الطالبات واستمرت بعدم قبول الطلاب الذكور. وهناك ظاهرة تعتبر ترجمة لذلك التوجه وهي ظاهرة تغيير النظرة الأمريكية إلى عذرية المراهقات من المراهقات أنفسهن.

لم تعد العذرية وصمة عار في أمريكا

بعد فترة الانحلال الجنسي الذي جاءت به السبعينات كانت العذرية عند الفتيات المراهقات مقياس الحضارة والتقدم والانفتاح والحداثة ، وكانت معظم الفتيات يشعرن بالحرج والانطواء واليأس في المدارس الأمريكية إذا كن عذراوات ، وقد تغيرت الصورة اليوم ، فلم يعد الحفاظ على العذرية وصمة عار بين الطالبات المراهقات ، بل أصبحت ظاهرة يشجعها الآباء والمربون ورجال الدين وتدعو إلى الشعور بالعزة واحترام الجسد والكرامة الإنسانية بين المراهقات ، ولم تتغير تلك النظرة الإيجابية نحو العذرية إلا بعد عام 1984 خاصة بعد اكتشاف أمراض الأيدز (HIV) والأمراض الجنسية الأخرى وازدياد اللقطاء بين المراهقات وارتفاع نسبة الانتحار بينهم ، وزيادة الحملة الإعلامية ضد الانحلال الخلقي بين الشباب والشابات . ومن أسباب تلك الظاهرة أيضا وهي تغيير النظرة نحو العذرية وتقديسها قيام العديد من الأبحاث العلمية التي تعرضت للظاهرة من أجل تحسين وضع المراهقات كجزء من تحسين وضع المرأة بشكل عام في الولايات المتحدة .

كلمة أخيرة

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

هل يتجه الشعب الأمريكي وشعوب العالم معه نحو عصر جديد يعطي الأخلاق والعواطف الإنسانية الأولوية مع بداية الألفية الثالثة؟ وهل يدخل العالم معها كرئيسة للعولمة عصرا جديدا لا يتصف بمميزات عصر المعلومات الجاف عاطفيا ولا يتصف بمميزات العصر الصناعي المادي الذي يعتمد على البقاء للأصلح؟ وما مميزات هذا العصر الجديد الذي بدأت ملامحه تصرخ عاليا بالعودة إلى الإنسان والأخلاق كمحور للسعادة وليس الآلة الصماء . فهل عاد أفلاطون من جديد في الولايات المتحدة والعالم من حولها؟ ربما !

إدارة حديثة

Foundations of Modern Management

أسس الإدارة الحديثة

مقدمة

تعتبر الإدارة السليمة في المجتمع كالدّم النقي في شرايين الإنسان . ولا حضارة بدون إدارة . فمنذ أن تسلّم النبي يوسف إدارة المالية في حكومة فرعون إلى فترة ما قبل الثورة الصناعية ، والإدارة تعنى بتنظيم المصادر وإنتاجها وتوزيعها على المحتاجين لها . وذلك يستتبع إيجاد قوائم إحصائية للناس والأرض والحيوانات ، واستمرت الإدارة في قيادة الأمم إلى أن حصلت الاختراعات الجديدة في القرنين السابع عشر والثامن عشر ومنها الآلة البخارية واستغلال الطاقة من ماء وكهرباء وحرارة حيث بدأت الإدارة تنحى منحى جديدا لزيادة الإنتاج والربح لمالك الآلة البخارية ومصادر الطاقة . وقد كان السبب المباشر في زيادة عملية الإنتاج وإدارتها بنظم جديدة زيادة سكان المدن الذي تعدى العشرة ملايين نسمة في بعض المدن في مصر والمكسيك والهند . فالناس الذين هجروا الريف الذي كان يمدّهم بكل ما يحتاجون من طعام وملبس ومشرب ورحلوا إلى المدن يحتاجون ما يصنعه الآخرون من طعام وملابس ومشارب . كانت التنظيمات الإدارية إما تتبع نظاما عشائريا أسريا ويدعى (Informal) أو تتبع نظاما حكوميا رسميا يسمى (Formal) ولكل من هذين النوعين مميزاته الأساسية من حيث الوسائل المستعملة لتحقيق الأهداف المرسومة . ومع تطور الزمن اختلفت الوسائل باختلاف الأهداف ونوعية التنظيم الإداري كالمنظمات التطوعية والرسمية والإنتاجية . أما النظريات التي تهتم بالإدارة قديما وحديثا فليس من السهل حصرها ، نظرا لتفرع أغراضها وكثرة مواضيعها وتعقيد معاملاتها ، وارتباطها بأجزاء كبيرة أو صغيرة من حيث مستواها التطبيقي على مستوى الفرد أو الجماعة . ولكن يمكن القول أنها تتبع عددا محدودا من النظريات تكاد تشترك فيها كل المؤسسات والمنظمات . وسنبين في هذا الكتاب النظريات التي تم تحديدها بشكل عام كمدخل للبحث ويمكن تحديدها بثلاثة أنواع هي: النظريات التقليدية وتجمع النظرية العلمية البحتة في الإدارة ونظرية التقرير ونظرية القيادة ونظرية التنظيم ونظرية إكس . النظريات الحديثة ومنها النظرية الإنسانية ونظرية الدور ونظرية القيم ونظرية واي . وهناك النوع الثالث الذي يضم بعضا من النظريات التقليدية والحديثة مما يعرف بنظرية المزج وهي تمزج بين النظريتين معا وسنسميها النظريات المزجبة ، وينضم تحتها نظرية النسق العام ، ونظرية النسق الاجتماعي ، ونظرية

زي . بالإضافة إلى نظرية الكاتب التي تعرف باسم نظرية سي لحل الخلافات على المستوى الفردي أو الجماعي .

ومن مميزات النظريات التقليدية أنها تفترض تحقيق الأهداف مهما كانت الوسائل . أو أن الغاية تبرر الوسيلة حسب الشرع الميكافيلي الذي وضع تلك الفكرة في كتابه (الأمير) . لا تهتم هذه النظرية بالأخلاق ولا الدين وإنما تهتم بتحقيق الأهداف ولو ديسست فيها الشعوب أو العنصر الإنساني بالأقدام . أما الميزة الثانية من مميزات هذه النظرية فهي الاهتمام ببنائاتها الهيكلية حسب مراكز القوة وهي متعارف عليها فمثلا صاحب المركز القوي يقرر ما يراه لصالح استمرار بسط قوته على غيره ويأتي بعده الأقل قوة ثم الأقل فالأقل . وهذه قريبة الشبة بنظرية ميكافيلي . أما الميزة الثالثة من مميزات هذه النظرية التي تقوم بها المؤسسات أو أصحاب المراكز فيها . ففيها يتم توزيع المراكز أو الوظائف تبعاً لقربها أو بعدها من صاحب القوة (السلطان أو الحاكم) فمثلا هناك مؤسسة الجيش ووظيفتها القتال أو حماية الدولة ومواطنيها من غدر الأعداء . كما أن هناك مؤسسة التجارة ووظيفتها تنظيم الإيرادات والتصدير . أما مؤسسة الصناعة فوظيفتها الصناعة ومؤسسة الزراعة للشؤون الزراعية ، و للقائمين على إدارة هذه المؤسسات مستوى اجتماعي ومستوى رسمي يتأثر بمدى قوة أضعف هذه المؤسسات في بناء الدولة والمحافظة على استمرارها وقوتها . أما الميزة الرابعة فهي التداخل بين الأفراد والتنسيق بينهم لخدمة الأهداف المرسومة من صاحب الأمر أو السلطة أو القوة الذي يهيمن على إدارة الدولة كلها ، حيث يتم تحريك الأشخاص وتبادل المراكز وتداخل الأعمال حسب رغبة رئيس السلطة وحسب الحاجة إلى مثل هذا التصرف . كان تطبيق هذه النظرية فعالا في الماضي وما زالت بعض المؤسسات تتبعها في إدارة شؤون الناس في كثير من بقاع الأرض .

ومع تقدم الزمن خاصة بعد حصول الثورتين الشهيرتين: الفرنسية والصناعية ، ونتائج ما يسمى بعصر التهضة في أوروبا فإنه قد تم استقصاء فعاليات هذه العناصر والمميزات التي تتميز بها الإدارة التقليدية من قبل المتخصصين والعلماء في شتى أوجه العلوم الطبيعية والإنسانية وتعددت المفاهيم التي ترتبط مع التقدم الإنساني الزمني والحضاري ، وهناك ثلاثة من هؤلاء العلماء والفلاسفة لا بد من ذكرهم وهم : ماكس فيبر Max Weber الألماني (1922) ، وهنري فايول Henri Fayol الفرنسي (1916)، وشستر برنارد Shester Bernard الأمريكي (1938) . وبما أن فايول قد اهتم بماذا يجب عمله لتحقيق الأهداف اهتم برنارد بكيفية إتمام العمل لتحقيق الأهداف المرسومة . لايعطي فايول أي اهتمام للعنصر البشري ورضاه في عملية الإنتاج ، وهم الوحيد هو الوصول إلى الهدف وزيادة الإنتاج ويعتمد بذلك على العمليات الرياضية بزيادة ساعات العمل وقلة أجور العمال وكلاهما يزيد في تحقيق الأرباح لصاحب العمل .

أما برنارد فقد اهتم بالعنصر الإنساني كعامل فعال في عملية الإنتاج . وفرضيته أن رضا الإنسان العامل في عمله يؤدي إلى زيادة الإنتاج وبناء عليه فإنه لا بد من تحسين ظروف العمل والعمال ، وتنظيم ساعات العمل ورفع الأجور وتنظيم أوقات العطل والفراغ للعمال . كما اهتم برنارد بالعلاقات الخاصة بالعمل بين الرئيس والمرؤوسين في جو إنساني فعال ، ولعل ما طوره في النظرية يكمن في اهتمامه بكيفية إصدار القرارات وأثر تطبيقها .

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

أما ماكس فيبر فقد كان له أبعاد الأثر في فهم الإدارة الحديثة ، فقد عرفت له أنماط الإدارة الثلاثة حتما كانت متبعة عبر العصور ، واعتبار كل نمط مثالي (Ideal Type) لنوعه . وهذه الأنماط حسب تسلسلها التاريخي: النمط التقليدي في الإدارة ، ونمط الشخصية القائدة ، والنمط البيروقراطي المعتمد على القانون والعقل في تحقيق الأهداف . لا يعني تسلسل هذه الأنماط بأنها غير موجودة في الوقت الحاضر ، بل يعني أنها ما زالت موجودة ومتبعة حسب المجتمعات ودرجة تقدمها الصناعي أو تحولها من الإنتاج الزراعي إلى الإنتاج الصناعي وما بعد الصناعي .

وتتصف النمطية التقليدية بأنها تعتمد على العاطفة أكثر من العقل في تحديد المراكز الإدارية وتحكيم الأمور وتعيين من يحتل هذه المراكز . وتكثر فيها الواسطات والحكم بالتقاليد وتيسير أمور الناس كما هي متبعة في الماضي دون تبديل أو تعديل . كما تتصف القيادة التقليدية بأنها تستمد قوتها وشرعيتها من قوى غيبية أو مكتوبة منذ الأزل وتستمد استمرارها من هذا الاعتقاد . ويتبعها الناس لإيمانهم بأن اعتقادهم في القيادة لا يجوز الشك فيه كما أن الأدوار غير محددة في الحكم وقد يقوم القائد بعدة أدوار وواجبات .

أما نظرية الشخصية القائدة فالقائد يستمد شرعيته من قوة إله أو من عوامل شخصية تبهر الناس فيتبعونه ويؤمنون بقيادته فهو نبي من عند الله أو أنه مدعوم بقوة غيبية خارقة . حيث يتصف أصحاب الشخصية القيادية بصفات تفوق صفات البشر ومنهم الأنبياء والقديسون وقادة الشعوب في بعض الحقب التاريخية .

أما النمط الثالث فهو نمط البيروقراطية الحديثة ، وتتصف بتقسيم العمل الذي يعتمد على التخصص القيادي أو الفني أو التكنولوجي . ويتبع تسلسل السلطة نظاما من أسفل إلى أعلى أو العكس . بالإضافة إلى نظام قواعد وقوانين تنظم علاقات الموظفين والمؤسسات التي يعملون فيها وعلاقات الأفراد ببعضهم البعض . كما أنها تفصل التعليمات الخاصة بكل عمل أو مركز ، ومما يتصف به هذا النمط المثالي أنه لا يعتمد على الحب والكرهية البشرية في الترقيات وإنما تعتمد على مدى إتقان العمل والقيام به ، ولا مكان للمحسوبية في هذا النمط حيث تتم الترقية والتسلق الوظيفي في المراكز حسب الأهلية والدقة في تنفيذ التعليمات . وقد طور هذا النمط في الستينيات من هذا القرن تالكوت بارسونز Parsons الذي فصل العلاقة بين الفرد والجماعة التي ينتمي إليها وبين المؤسسة التي يعملون فيها ، ولا نريد التوسع هنا في الحديث عن بارسونز ولكن يمكن إجمال الفرضيات التي ارتكز عمله عليها فيما يلي:

1. العمل الاجتماعي موجه نحو الأهداف ولا يعتمد على نظريات علم النفس التي تهتم

بالإغراء Stimulus والإجابة . Response

2. الإنسان يتعلم من تجربته ولكل إنسان نمط أو نظام . System

3. العمل الاجتماعي قابل للمقايضة Exchange من خلال التقاليد . Culture

4. التواءم التام بين الوسائل والأهداف غير موجود في أي نظام ، وتحقيق طموحات الفرد مرتبط ببيئته المتغيرة .

5. الحاجة إلى التسامح شرط أساسي لاستمرار النظام الاجتماعي .

6. كل نظام يحتاج إلى تنسيق بين أجزائه ليستمر .

7. التنسيق بين الأجزاء أمر ضروري لتحقيق الأهداف .

8. تربط أعضاء النظام قيم مثالية تجمعهم أو تفرقهم .

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

9. يتفاوت الأفراد فيما بينهم بصفات معينة قد تكون مضادة لبعضها البعض تجعلهم يتصرفون بطريقة خاصة ،

وتختلف النظرية العلمية البحتة عن النظرية الإنسانية بأنها لا تعير اهتماما إلا لهدفها الأساسي هو زيادة الإنتاج وفعالية الوقت والعمل . أي بمعنى آخر لا تعطي أهمية للإنسان وكيفية عمله في حالات غضبه أو سروره . لأن همها هو الوصول إلى الأهداف المحددة لزيادة الإنتاج . فالإنسان ما هو إلا جزء من الآلات لا يختلف عنها أو هكذا تفترضه النظرية العلمية . كما تؤكد هذه النظرية على جمع المعلومات والبيانات الصحيحة بصورة آلية وحسابية وتعطيها دورا خاليا من العواطف . وتتفوق النظرية الإنسانية في أنها تعطي العامل الإنساني حقه من التكريم والاحترام كعنصر فعال لا يقل عن غيره من عوامل الإنتاج الأخرى التي تحقق أهداف المؤسسة أو الإدارة. بل تعتبره أهم عنصر في عناصر الإنتاج إذ بدونها لا تتحقق الأهداف المرسومة.

وفي الحقيقة أن العنصر الزمني لتدرج هذه النظريات يتواكب مع التقدم الإنساني في فهم الوظيفة الإدارية أو اعتبار الإنسان كعامل هام إلى جانب العامل الآلي والميكانيكي أو التقني . لذا فإن ظهور النظرية العلمية البحتة في أوائل هذا القرن يسبق زمنيا ظهور النظرية الإنسانية التي تبعتها في الثلث الأول من هذا القرن . أما النظرية المزجية فهي نظرية مثالية في مزج النظريتين معا . فالإنسان عامل لا يقل أهمية عن عامل الآلة التي تستخدم في عملية الإنتاج . وحسب النظرية المزجية فإن المزج بين النظريات العلمية والنظريات الإنسانية أو استغلال المعرفة والاختراع والعلم لإفادة الإنسان هو هدف لا بد من تحقيقه للوصول إلى مرحلة متقدمة من الحرية والسعادة والعدل فهي بهذا أقرب إلى فهم الطبيعة الإنسانية من غيرها .

ونظرا لأن هذه النظريات تعرف وتفهم عن طريق النظريات الأقل منها عمومية أو مستوى تحليلي فإننا سنقوم لشرح هذه النظريات الأقل تعميما لفانديتها عمليا لمن يلعبون دور الإداري والقيادي في المؤسسات والدوائر والمنظمات والوزارات والحكومات .
*** من كتاب أسس الإدارة الحديثة للمؤلف .

ويبين الجدول التالي أنواع النظريات الإدارية:

النظريات الحديثة	النظريات التقليدية	النظريات العلمية
النظرية المزجية	النظريات الإنسانية	النظرية العلمية
نظرية النسق العام	نظرية الدور	نظرية التقرير
نظرية النسق الاجتماعي	نظرية القيم	نظرية القيادة
نظرية زي	نظرية واي	نظرية التنظيم
نظرية سي (للمؤلف)		نظرية إكس

وهذه الصفات هي:

- أ - الميل الكلي عاطفيا emotional أو الوقوف على الحياد rational
- ب- حب النفس individualism أو حب الجماعة collectivism
- ج- محدودية التكفير localism أو عالمية التكفير universalism

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

- د- فطرية المركز ascribed أو المكتسب. achieved
و- التخصيص specific أو التعميم. general

نظريات الإدارة الفعالة: Dicission-Making Theory
يواجه المدراء عدة حالات يوميا أثناء تعاملهم مع الآخرين تجعلهم يتخذون قرارات تأخذ شكلا من الأشكال التالية :

- قرار يحتاج إلى تحقيق مثلا: فلان أخذ فلوسي ولا لم أخذ منه شيئا.
 - قرار متوسط عن طريق آخر . مثلا: آسف لأن المدير قال.....
 - قرار خلاق لتطوير العملية التعليمية . هذا رأي سليم فابدأ العمل .
- فنظرية القرار تعالج المراحل التي يتخذ فيها القرار ومحتواها وأثرها على المشاركين في هذه المراحل .

نظرية القيادة في الإدارة : Leadership Theory
وتهتم بتحليل عناصر القيادة وتعريفها وتقييمها ومستواها وحدودها . كما أنها تقوم بتحديد صفات القائد ودوره في النظام أو الهيكل الإداري سواء أكان موروثا ascribed أم مكتسبا achieved .

نظرية الدور : Role Theory
تقوم هذه النظرية على الدور الذي يقوم به الإداري من حيث اعتماده على الكفاءة achievement أم المحسوبة . ascribed فالأول هو الدور العلمي العقلي أو المثالي أما الثاني فهو الحروج عن ذلك الدور بتحكيم العواطف والجاهات والتقاليد .

نظرية التنظيم : Organizational Theory
تقوم هذه النظرية على فهم المفاهيم التي تتصل بالنظرية عمليا . إذ ليس كل من عمل في دائرة يستطيع قيادتها أو يعرف كيف يقودها . فهناك مثلا مفاهيم كالبناء البيروقراطي وعلاقات مراكز القوة وعوامل الربط بين الأجزاء لتحقيق التنسيق بينها . ومنها وحدة القرارات وإصدار الأوامر وتحديد حيز الضبط المقبول في العمل ، ووحدة فهم السلم الوظيفي تصاعديا أو تنازليا .

وعلى المدير حسب هذه النظرية أن يفهم الفرق بين المنظمة الرسمية وغير الرسمية وتعقيدات كل منها . كما أن على المدير أن يفهم معنى المركزية في السلطة وتركيبية الموظفين وكفاءاتهم ودرجات علمهم ومهاراتهم . حيث إن هذه المفاهيم لها ارتباط بعملية الإنتاج أو تبني أفكار جديدة أو ابتكار أفكار جديدة . كما تؤدي إلى الرضا التام بين الموظفين .

ونظرا لأن لكل منظمة ظروفها وبيئتها وطرق إدارتها فإنها تختلف باختلاف وظائفها فمثلا تختلف الإدارة المنتجة عن الإدارة المخططة . خذ مثلا إدارة المستشفى التي تختلف عن إدارة المدرسة ، وكلاهما يختلف عن إدارة التخطيط الأنبي أو المستقبلي البعيد . وتبعاً لهذه النظرية فإن على المدير أن يكون ملماً بمعرفة سبل تطوير وتطبيق قرارات المنظمة الرسمية التابعة لقرارات الدولة ككل وأن يكون ملماً بمعرفة طريقة تطبيق القرارات في المؤسسة غير الرسمية (غير الحكومية) . فهو العارف بمحيط كل منهما إن كان ذلك المحيط مفتوحاً أو مغلقاً . كما يعرف نوعية هذه المؤسسات إن كانت متصلة أم محدودة الاتصالات مع غيرها

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

من التنظيمات والمؤسسات . حيث إن هذه المعرفة تؤثر في عملية التوسع والانفتاح أو البقاء على حالها دون تغيير.

إن معرفة المدير لهذه المهارات الإدارية وهذه النوعية من النظريات المتصلة بالإدارة يسهل عليه عمله ويؤدي بالمؤسسة التي يديرها إلى تحقيق أهدافها وتغييرها إلى الأفضل حيث يزيد من فعاليتها ومن رغبة العاملين فيها للعطاء وزيادة الإنتاج كما يشعرهم بالراحة النفسية . كما أن على المدير أن يكون على معرفة بالتغيير الممكن حصوله بالنسبة للمؤسسة وطرقه ووكلائه العوامل المؤثرة فيه أو الموجهة له . فالمدير كوكيل للتغيير أو كموجه له إنما هو دور فعال في الانتقال بالمؤسسة إلى الإبداع والابتكار وتحقيق الأهداف بسرعة فائقة وكفاءة نادرة وبكلفة أقل .

نظرية القيم : Value Theory

المعنى بالقيم هنا هو القيم التي تحكم أو تتحكم في الإدارة مثل الدين والأخلاق أو العادات العشائرية أو الديمقراطية في المساواة أو القيم الفردية أو الجماعية في تطبيق الحرية . وتتدخل هذه القيم ببعضها . وفي فهم هذه القيم ومستويات تداخلها يستطيع المدير أن يقوم بدور فعال في القيادة الحكيمة .

خذ مثلاً إدارة المؤسسات التي تقدم خدمات للمواطنين فالإدارة تراعي التقاليد في أعمالها وتحترم الدين وتلتزم بتعاليمه . كما أنها تطبق العدل ما أمكنها بينهم . فالمدير فيها يعي مفاهيم الطبقات الاجتماعية والمراكز الوظيفية ومراحل التعليم وأهدافه كما يعرف المنحى العام للدولة والسياسة . وهذه المعرفة تجعل المدير على وعي تام بما يتم وبما يمكن تغييره لكي تستمر المؤسسة دون توتر أو خلافات قد تعيق تحقيق أهدافها .

نظرية النسق الاجتماعي : Social System Theory

لكل نسق عناصر تساهم في تحقيق أهداف المؤسسة ، وعلى المدير أن يعي هذه العناصر ليقرّب بين وجهات النظر بين أجزائها والتنسيق بينها لتحقيق الأهداف . كما أن على المدير حسب هذه النظرية أن يكون على وعي تام للبناء التنظيمي وتداخلات أجزائه مع بعضها البعض ، وأن يصل الجانب العلمي بالجانب العملي أو النظري وأن يقلل من حدة التوتر والتنازع بينهما وأن يصل بموظفيه إلى حالة انسجام تجمعهم كأفراد أو جماعات أو دوائر تتصل ببعضها للمساهمة في تحقيق أهداف المؤسسة وأن يرفع من معنوياتهم على المستويين الفردي والجماعي.

نظرية النسق العام: General System Theory

يقوم المدير حسب هذه النظرية بالربط بين نظريات الإدارة العلمية والعلاقات الإنسانية والسلوكية . كما يعتبر المؤسسة كنظام متحرك حيوي وخلاق ويجمع بين المعرفة والتطبيق لبرامج معينة مثل الإدارة بواسطة الأهداف . (Management By Objectives (MBO) أو نظام التخطيط والبرمجة والميزانية وترتيب البناء الهيكلي للوظائف , Programming, Budgeting, and Constructing (PPBC) . إضافة إلى فهم عملية تطبيق برامج التقييم والتخطيط والمراجعة , Planning, Evaluation, Revision, and Testing (PERT) وبرامج نقد العوامل التي تولّد مشروعا ما (Critical Planning Methods (CPM) . كما تتبنى هذه النظرية الابتكارات إلى جانب التخطيط ومواكبة تنفيذ الخطط والبرامج لتحسين معيَّياتها وإحراز أفضل النتائج التي تسعى إليها .
المفاهيم المرتبطة بالإدارة الحديثة:

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

هناك عدة مفاهيم ترتبط بالإدارة الحديثة سواء كانت في المجال التربوي أو التجاري أو الاقتصادي أو السياسي . وحتى يتم فهم الإدارة الحديثة لا بد من معرفة هذه المفاهيم . وقد تم اختيارها من خلال عدة أبحاث تعرض لها المؤلف بالدرس والتمحيص ، وبما أنه من الصعوبة حصر كل هذه المفاهيم فإننا سنقتصر على أهمها وعلى مدى ارتباطها الوثيق بالإدارة الحديثة . وهذه المفاهيم هي: قضية المدير الواحد وقضية وحدة الهدف ووحدة التقرير والأمر ، ووحدة السلطة والمسؤولية وتقسيم العمل وضبط العلاقات بين الرئيس والمرؤوس والمرونة في التطبيق واستمرارية النظام وأخير مفهوم التقييم الإداري للفرد والجماعة .

مفهوم المدير الواحد:

مما توصلت إليه أبحاث العلم الإداري أن هناك علاقة بين وجود إداري واحد على رأس المؤسسة ونجاح المؤسسة . فالمدير الواحد ينسق بين نشاطات الإدارة وأجزائها المتفرقة وبدون هذا التنسيق من المدير الفرد لا تحقق الإدارة أهداف المؤسسة المرسومة . فالمدير يوجه أحيانا وينظم أحيانا أخرى . ولا تخلو إدارة من مدير متخصص في إدارتها . بمعنى أن الإدارة التربوية مثلا تختلف عن الإدارة التجارية أو الإدارة السياسية لأن مستوى العلاقات ووظيفة كل إدارة تختلف باختلاف أهدافها.

وحدة الهدف:

تعتبر وحدة الهدف أو الأهداف من أهم عناصر نجاح أي إدارة حديثة . ولا يمكن وضوح هذه الأهداف إلا عن طريق رسمها وتعريفها وتحديد زمانها وتوفير واستيعاب قدرات العاملين على تحقيقها . أما من حيث تحديد زمانها فإن الأهداف تنقسم إلى قسمين: فهناك أهداف طويلة الأجل وأخرى قصيرة الأجل . وإن كان كل منهما يكمل الآخر فإن الأهداف القصيرة الأجل سريعة التقييم والتعديل وهي تدعم الأهداف طويلة الأجل ، ولا يتم تحقيق أي منهما إلا بموافقة العاملين عليها لأن في اختلافهم (موظفين كانوا أو إداريين أو متخصصين) على الأهداف مساهمة فشل هذه الأهداف التي ترسمها الإدارة العامة .

وحدة التقرير والأمر:

إن تعريف وتحديد كل وظيفة في الإدارة يؤدي إلى معرفة كل فرد لمسؤولياته مثلا إلى من ينتمي أو من يتبع إمرته من الموظفين ولعل نجاح الإدارة في النظام العسكري يعود إلى هذا المفهوم . حيث لا يجوز القفز في الأوامر وإن كان هذا المثل معمولا به منذ وقت طويل إلا أنه لا بد من تحديد المسؤوليات لكل فرد . فإذا حصل ما يتعارض مع هذا المبدأ فهناك قنوات لا بد من استغلالها واستعمالها لحل الخلاف وإصلاح الأمر . وعادة ما تختلف إدارات المؤسسات الاجتماعية أو الاقتصادية عن الإدارات العسكرية من حيث الصرامة والتحكم وإطاعة الأوامر دون مناقشة إلا أن الخلافات قد تنشأ إلا أنه يمكن حلها بطرق عديدة تخدم في النهاية أهداف الإدارة المرسومة .

مفهوم السلطة والمسؤولية:

السلطة هي القيادة والقوة الإدارية التي تملك المصادر وآليات التمويل على المشاريع والبشر ، وتتغرز الإدارة الحديثة بمدى إيصال التعليمات من الرئيس إلى المرؤوسين . ويستدعي ذلك أن يكون المدير المباشر مسؤولا عن تحقيق الأهداف التي تتضمنها تلك التعليمات . وقد تحصل بين الأقسام خلافات حول الأهداف وطرق الوصول إليها أو الوسائل التي تؤدي إلى

تحقيق الأهداف العامة للدائرة ، إلا أن التنسيق المدروس يؤدي إلى حل الخلافات المتوقع حصولها بين الأقسام .

مفهوم تقسيم العمل:

يعرف تقسيم العمل Division of Labor بمدى التخصصات والمسؤوليات التي يضطلع بها كل موظف في السلم الإداري أو الفني . ويعتبر فهم التخصص أو تقسيم العمل مفهوم مهم لزيادة الإنتاج وقد اتبع هذا المفهوم في الغرب منذ أكثر من قرنين لزيادة الإنتاج الصناعي ورفع مستوى النوعية في الإنتاج . وقد أدى التقدم الصناعي إلى استعمال العديد من التخصصات الفنية في العمل ومنها التخصص في جاز الكمبيوتر والهندسة الميكانيكية والكهربائية والعلوم ، ويمكن القول أنه كلما زاد التخصص زاد مستوى النوعية في العائد الإداري أو الصناعي أو التجاري أو الزراعي .

المركزية ونظرية الإدارة:

الإدارة الحديثة هي مجموعة تصرفات وسلوكيات تملئها تعليمات وقوانين مكتوبة تبين العلاقة بين المؤسسة والعاملين فيها من جهة وبين المؤسسة والمجتمع من حولها. وتشمل التركيب الوظيفي وأدوار كل موظف ومركزه في المؤسسة وحدود صلاحياته . وقد تم الاهتمام بالإدارة الحديثة نظرا للتطور الحاصل في أهداف المؤسسات وربط ذلك بالنظم العلمية والمعلوماتية لزيادة الفاعلية الإدارية والإنتاجية ، وهي أيضا استغلال الوقت والمصادر بشكل مدروس وفعال لخدمة الأهداف العامة أو الخاصة للمؤسسة . والإدارة الحديثة تطور منطقي للإدارة التقليدية النابعة من قرار الفرد الواحد (المركزية) إلى قرار المجموع (اللامركزية) ، وقد تم وصفها كنماذج للمنظمات والمؤسسات

البيروقراطية الرسمية وغير الرسمية (Formal and Informal Organizations) . ومن مميزات أنها حيادية ، عالمية ، وتتواصل وجها لوجه أحيانا مع المدراء والفروع وعن بعد أحيانا أخرى ، ولها أهداف محددة عملية ، وتهتم بالقوانين المكتوبة بشكل ملفت.

المركزية Centralization هي شكل من أشكال الإدارة الرسمية التي لا يتم قرار حولها إلا منها. فهي أحادية القرار الذي عادة ما يقوم به شخص واحد كالأب في الأسرة الأبوية ، والرئيس في المؤسسة أو مجلس إدارة المكلف أو المختار من ذوي السلطة والتأثير في اتخاذ القرارات . ويكون عادة التأثير ماليا أو ولائيا . فالسلطة مركزية بمعنى أن القرارات في الفروع لا بد وأن تكون مرتبطة بقرارات من الأصل وهي القيادة . دون اعتبار للآخرين أو آرائهم إلا ما ندر . واللامركزية Decentralization بالتعريف هي عكس المركزية ، بمعنى توزيع مسؤولية اتخاذ القرارات على الوحدات أو الفروع أو الأقسام ولها حرية المشاركة في اتخاذ القرارات التي تتناسب والحاجات اليومية لكل فرع أو قسم حسب تخصصه ، دون الرجوع إلى الرئاسة أو المقر الرئيسي.

دور المدير في الإدارة الحديثة:

يمثل المدير الدور المركزي الوظيفي ، ودور الرمز كمثل للمؤسسة ودور الوسيط التفاعلي مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى ، ودور القيادي الموجه لمنتسبي المؤسسة. والدور المعلوماتي ويتمثل في استقبال المعلومات وتوصيلها إلى منتسبي المؤسسة وتمثيل المؤسسة إعلاميا. وهناك أدوار يقوم بها المدير كدور التجديد والتغيير ودور

توزيع الموارد والمصادر ودور المفاوض باسم المؤسسة. إلى جانب دور المقوم والدافع لعجلة المؤسسة نحو الأهداف المرسومة . ومن جوانب وظيفة المدير العام التخطيط وضع

أجل ما كتبت – د. حسن يحيى

الخطط المساهمة في تحديد مسيرة المؤسسة (استراتيجية) والإشراف والرقابة على تنفيذ الاستراتيجية من خلال التنظيم والتقويم والاستفادة من المعلومات ، والموارد البشرية ، ووضع الأهداف وتحديد الاتجاهات للأقسام ومتابعة سير العمل اليومي والأسبوعي والشهري والفصلي وتحديد التوقعات المستقبلية في المجال الإداري . ولا يعمل المدير في فراغ ، بل يعمل وفق رؤية أو رسالة أو مهمة تقود عمله بشكل فعال .

*** من كتاب أسس الإدارة الحديثة للمؤلف .

متفرقات

زوجتي : هزة رأسها ورحلة العمر

للدكتور حسن يحيى - ميشيغان

هزة رأسها ورحلة العمر كانت هزة رأسها تزعجني كلما علقت دون كلام حول تصرفي ، فتجعلني أحس بالذنب الذي اقترفته ولا أعرف عنه شيئاً من وجهة نظري . فهل قلت ما لا يجب أن يقال ؟ أم أنها تصحح بعض أخطائي التي تفوهت بها ؟ هزة رأسها تؤلمني، ولا أشعر بالرضا مع اهتزاز رأسها بعد كل ما أقول ، هي زوجتي تهز رأسها معلنة أنني اقترفت ذنبا ، والتي لا يرضيها شيء مما أقوم به من قول أو فعل طيلة حياتنا القصيرة معا والتي تزيد قليلا على الأربعين عاما . وهذا من العجب العجاب ، فنحن لا نلتقي في شيء أو لا نتفق على أمر أو نقرر قرارا معا . وسألت نفسي : هل أنا السبب في انسياب كلامي على سجيته ؟ ولكن لا أعتقد ذلك ، فلكل منا شخصيته وقراراته ، وإن قل تمام الاتفاق على أمر معا دون مناقشة ومحاوره ومداوره . قد تكون المعاشرة الاجتماعية الطويلة سببا في ذلك ، أو شؤون الأسرة والأبناء وكثرة الصبر عندي ، وعندها أحيانا . فقد طال البقاء بيننا ودام حبلى المودة طولا فأكملنا المشوار الحياتي دون فراق . ولم تعد هزة رأسها تزعجني أو تؤثر في مشاعري ، أليست هي الحياة الجميلة التي تستحق منا الثناء عليها وشكر رب العباد على استمرارها ، بلوها ومرها ، ولعل معظم حياة المتزوجين من أمثالنا تشبه حياتنا ، فمهما اختلفت حياة الناس يبقى سر البقاء معا هذه المدة الطويلة من الأسرار الزوجية المقدسة . وتستمر الحياة وهي تحتاج مني أن أعد مناقبها التي جعلتني أتغاضى عن هزات رأسها وجعلتني أستمر معها طيلة هذه السنين ، ومن هذه المناقب : حسن حديثها إذا وصفت ، فإنها تسهب في سرد دقيق لما ترى وما تسمع من الإذاعة أو التلفاز أو الناس من حولنا . وحديثها الشيق واضح النبرات ومنسق العبارات ، وتلك صفتان أحسدها عليهما ، ثم يعجبني فيها مزاياها فهي تنسى ولا تحقد وتلك صفة محمودة في النساء ، فهي تنسى حتى يكون لنسيانها أثر للعفو والسماح إذا أخطأ الزوج أو الأولاد ، ومن مزاياها سرعة قراراتها وحسن إدارتها للأمور العائلية والمالية والتحسينية لظروف المعيشة من نظافة في المطبخ والصالة وغرف النوم ، وترتيبها بأناقة بالغة وخاصة طاولة الطعام وترتيب الصحون عليها . أما قراراتها فتدل على عقل حكيم وفكر سليم ، ومن مزاياها إتقان الطبخ كل يوم ، مهما كان يومها ملوئا بالعمل ، مثل كثرة الأحفاد حولها ، فهي تطبخ وتنظم الأطفال وتحل مشاكلهم وتحضر

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

قناني الحليب والطعام والفواكه لهم وتغير مخلفاتهم وهي تطبخ وتصلي وتذكرني بتناول الدواء وتشاهد مسلسلاتها المفضلة ، كل ذلك في وقت واحد معا ، وأنا ألهو في النوم أو نسيان مواعيد الدواء أو الملاحظة دون تدخل مني في أي عمل تقوم به . ومن مزاياها تحضيرها للرحلات من لوازم طعام وكساء ومنام ، وحسن استقبالها للزوار والضيوف . أما تربية الأبناء فنموا جميعا حسب الأصول من خلال فهمها لتغير الأحوال المعيشية ونقلتنا من الشرق إلى الغرب ، فالأولاد محافظون وملتزمون وهم أحرار في حياتهم ، وهم أقرب لأهمهم مني ، رغم احترامهم لأبيهم ، وقد أنهوا تعليمهم وحازوا على وظائفهم ، كما تزوجوا جميعا دون تدخل في قراراتهم معتمدين على أنفسهم ، إلا ما ندر ، وأنجبوا بنين وبنات وأصبحت جدا كما أصبحت زوجتي جدة ، وما زالت تهز رأسها غير راضية عما أقول أو أفعل فقد عرفت أنها تنسى ولا تحقد وتعرف الواجبات الحياتية والحقوق . وأجمل الأوقات عندنا التحدث معا دون تدخل من الآخرين ، حيث يقول كل منا ما يضايقه من الحياة في غياب بقية الأسرة . وتلك الفترات من أجمل اللحظات بيننا حيث أستمع لها بأذان صاغية وفي النهاية أقول: نعم هو ما تقولين . فأشعر برضاها الذي جعلني وإياها نعيش طيلة هذه السنين فنقطف السعادة ممن حولنا . بوركنت زوجتي ، أطال الله عمرها ، وأعطها حسب نياتها . وهذه كلمة مختصرة في صفات ومزايا زوجتي ، أرجو أن تكون من مزايا وصفات كل المتزوجين مثلنا .

الإسلام بين النظرية والتطبيق
حوادث تشوه صورة الإسلام والمسلمين.

Islam Between Theory and Practice:
Incidents Give Islam & Muslim Bad Name.

الأصل في وجود الأديان والعقائد تنقيف النفوس وتقليل مفاصد النفس البشرية ، والمساهمة في التعايش البشري جنباً إلى جنب ، فكانت الأديان تدعو إلى العدل والمساواة بين البشر ، وعدم احتكار الصفات والمناصب لفئة دون فئة ، وعدم ارتكاب معاصي الكذب والقتل والنميمة والاعتياب ، وبسط قواعد الصدق في القول والعمل ، وعدم التعالي على الآخرين فالكل أبناء لآدم وآدم من تراب وإلى تراب سيعود كل البشر في مرحلة انتظار إلى يوم يعثون . فيجزى بني آدم من بيني وبنات ، كما تقول الأديان بما كسبت يده من خير أو شر فمن عمل شراً يره ومن عمل خيراً يره . ولكن كثيراً من الناس لا يعلمون ، وهم يعلمون ولكنهم يتغاضون فيحرفون رغم علمهم ويشجعهم على انحرافهم من يتقون بهم بالباطل أو الحق ظانين أنهم يعملون خيراً وهم أسوأ منهم في أقوالهم وأفعالهم ، فلا الإيمان وقر في قلوبهم ولا أصوات اليتامى والمساكين بلغت أسماعهم ولا دعوة المظلومين بلغت آذانهم التي لا تسمع ، وتامت أعينهم عن رؤية الحق لما لهم من عيون تتبع الباطل فتسبقهم إليه، وظنوا أن بالجهل تسود النعم ، أو تسود بسد الأفواه باللحم ، ويستمر ظلم من ظلم ، وحاد عن الأديان من حكم ، وهو ينادي بالعدل لا بالظلم ، وتاه الحق عن الطريق السليم ، وفاز الباطل بحمية السقيم الذي يبذل الحق بالباطل فيبهره ليبدو مذهبا مشعا فيفقد بشعاعه نور الحق ، وهو ما اعتادت شعوبنا العربية والإسلامية على النعني به فزاد الأغنياء انحرافا وبدانة وعسر هضم ، وزاد الفقراء لهاثا وراء لقمة العيش فأصيبوا بفقر دم وهزال جسم ، وساد الجهال أصحاب العلم والأفكار التي تبين للناس قيمة المنطق حتى في العقيدة وهي أولى العلوم بالدراسة وأكثرها منطقاً في الفلسفة ، لأنها تقوي من العقيدة وإن حاد عنها من نسي أنه بشر محدد الأجل والمقدرة والدوام نفسياً وعقلياً أو مادياً وروحياً ، وهذا ينطبق على بعض القائمين بالحوادث التي نغطيها في هذه المقام وينطبق على الحكام وتابعيهم ممن استغنوا على أكتاف الفقراء المستهلكين لبضائعهم الفكرية والتجارية والسياسية باسم الحضارة العفنة والمنطق السيلسي.

هذه الأحداث وردت في الصحافة العربية وغيرها كثير لم يرد وإن حصل في بقاع كثيرة من العالمين العربي والإسلامي، لأن التراث لا يشجع على القيام بنشر الفضائح . وكمسلم عربي يعيش في المهجر يشعر بالأسف والحرع والأسى الشديد لقراءة مثل تلك الأحداث في عصر حضاري على الإنسان يحترم حرية غيره فيه كما يحترم حرية نفسه . رغم أن هذه الأحداث ترتكب من مسلمين اعتقدوا بعض العقائد المتمزعة حول الخمار والمرأة وعلاقة الرجال بالنساء ، وعقائد الدراويش ، وإساءة فهم مفاهيم الإيملن والحرية واحترام الذات واحترام الآخر خاصة المرأة سواء أكانت زوجة أم أختاً أم جارة أو حتى غريبة عن التراث. فيتسربل هؤلاء بعباءات العصبية الزائفة عقيدياً أو سياسياً أو تراثياً . والحادث الأول من الجزائر - فقد ذكرت الصحف أن شابة قامت باتهام زوجها ويعمل إماماً بأحد المساجد، بأنه قام بتعذيبها وهم في شهر العسل ، وأنه كان يطلب منها السجود له ، ويجعلها تقضي الليل واقفة. أي أنه يعذبها بدلا من حفظ عهده معها كزوجة ورفيقة حياة لها ما عليه وعليها ما له من ذمة وتكريم في أسرة مستقيمة الفضائل في حفظ النوع والتمتع بالحياة .

ولعل الإمام يؤمن بما أثار عن الرسول الكريم (لو أمرت إنسانا بالسجود لغير الله لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها) والحديث فهم من الإمام الزوج على أنه دليل على طاعة المرأة للزوج في كل ما يأمر به حتى لو كان الزوج جاهلاً أو أمياً أو يتصرف معها كالحوانات . ولا غبار على الحديث فهو يدعو للاتفاق بين الزوجين في العلاقات والمعاشرة الزوجية إذا كان بين الزوج والزوجة تقارب وتلاطف وعشرة حسنة، حيث يقول بعض المحبين أحيانا (أنا أعيدك) أو (أنا أقدم الأرض تحت قدميك) مما عرف في لغة العشاق ، وهذه أمور مجوجة تسرح في الخيال وخالية من الصدق والإيمان، وأعتقد أن ما قام به الزوج عدم فهم كنه الحديث وأمن بشكله فتصرف على هواه وليس على الرسول صلى الله عليه وسلم . ، بالتفصيل حسب المصادر التالية يقول:

جاء في المستدرك على الصحيحين أي البخاري ومسلم (لو كنت أمراً أهداً أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن) وفي رواية لو كنت أمراً أن يسجد أحد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها (لما جعل الله لهم عليهم من حق) وتنتمته عند أحمد (لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس من القيح والصدئ ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه)، ومقصود الحديث الحث على عدم عصيان العشير والتحذير من مخالفته ووجوب شكر نعمته رواه أحمد عن أنس. قال المنذري: بإسناد جيد رواه ثقات مشهورون.

وجاء في المستدرك أيضاً : عن أبي سلمة، عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: جاءت امرأة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: يا رسول الله، أنا فلانة بنت فلان، قال: (قد عرفتك، فما حاجتك؟) قالت: حاجتي إلى ابن عمي فلان العابد ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (قد عرفته)، قالت: يخطبني، فأخبرني ما حق الزوج على الزوجة، فإن كان شيئاً أطيقه تزوجته، وإن لم أطق لا أتزوج . قال : من حق الزوج على الزوجة، أن لو سألت منخرأ دماً، وقبحاً، وصدئاً، فلحسته بلسانها ما أدت حقه، لو كان ينبغي لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، إذا دخل عليها لما فضله الله عليها) قالت: والذي بعثك بالحق لا أتزوج ما بقيت في الدنيا (يقال أن هذا حديث صحيح الإسناد).

نعود الآن إلى قصة الإمام فقد قالت المصادر الصحفية الجزائرية (الشروق) إن قوات الشرطة تمكنت من إطلاق سراح الإمام من قبضة أهل زوجته، بعد أن فكت الحصار الذي

فرضه الأهل على سكن إمام في قرية صحيرة التابعة لبلدية ليوة، غرب بسكرة؛ لنقل أثاثها، بعد أن طلبت الطلاق من زوجها؛ الذي قالت: إنه بدأ تعذيبها بعد 3 أيام فقط من الزواج. وأقاد مصدر أمني بأن الزوجة كانت تتعرض لضرب مبرح على يد زوجها، بكابل - أفغانستان، لمدة 10 أيام حسب الشهادة الطبية، وهو ما دفعها للعودة لبيت أهلها وطلب الطلاق بأي ثمن. وقال شقيق الزوجة إن شقيقته رفعت دعوى طلاق من الإمام المتهم، بعد مرور 21 يوما فقط على زواجهما، مشيرا إلى أن الزوجة قضت من تلك المدة 3 أيام فقط معززة مكرمة في حضور والدي الزوج الإمام، ولما غادرا المنزل انقلبت حياة الزوجة رأسا على عقب.

فقد بدأ يطلب منها البقاء واقفة طول الليل، بينما يغط هو في نوم عميق، ولا تنام إلا إذا تأكدت أنه نائم، ويجبرها على السجود له، وكان يضربها ويهددها بالكهرباء على غرار ما كان يفعل مع طبيقته الأولى، يعذبها لأتفه الأسباب حتى ولو كان المنزل خاليا من التموين الغذائي يحملها مسؤولية عدم تحضير الأكل." وكن يزداد غيظا كلما طلبت منه الطلاق انقاء لبطشه، فيهددها بالقتل إن كررت الطلب مرة أخرى.(جريدة القدس)

والحادثة الثانية حول رجل مسلم يقتل جنينا في بطن أمه باللكمات ، لأنها سمحت لطبيب ذكر بفحصها. والقصة بالتفصيل والقصة بالتفاصيل تقول حسب ما جاء في جريدة الشرق الأوسط 20 يناير 2012 الصفحة الأخيرة:

في مدينة كولون ألمانيا قضت محكمة مونستر، في ولاية الراين الشمالي ووستفاليا الألمانية، بالسجن لمدة سنتين وتسعة أشهر على شاب أفغاني قتل باللكمات جنينا في رحم زوجته. ووصفت النيابة العامة جريمة الأفغاني بأنها «لا تتوافق مع عقلية الإنسان السوي ولا مع تعاليم الدين الإسلامي».

وقد جرت الحادثة في مارس (آذار) 2011 في مدينة راينه، بالولاية نفسها في شمال غربي ألمانيا، بعد عودة الزوج الشاب (21 سنة) مع زوجته الألمانية (19 سنة) من عيادة الطبيب إلى البيت. وعلم أن الشاب ارتكب حماقة إجهاض الجنين لكما على بطن زوجته بعدما عرف، عندما كان في عيادة الطبيب، أن الزوجة سمحت لطبيب ذكر بفحصها. وكانت الزوجة الشابة في الشهر السابع من الحمل لحظة تعرضها للاعتداء الفظيع. وقد توفي الجنين بعد يومين في المستشفى رغم عملية قيصرية طارئة لإنقاذه أجراها الأطباء، إلا أن الأم نجت من الموت بفضل الرعاية الطبية. وعلى الأثر، وجهت النيابة العامة إلى الشاب تهمة الإجهاض غير الشرعي، وإلحاق الأضرار الجسدية البالغة بالزوجة. قاضي المحكمة قال إن الجنين كان سينمو ويولد بشكل طبيعي لو لم يتعرض إلى اللكمات القاتلة، ورفض ادعاء الزوج بأنه لم يضرب الزوجة على بطنها، بل اكتفى بدفعها عنه دفاعا عن نفسه. وكان الزوج قد نفى تهمة القتل العمد عنه، زاعما أن زوجته الحامل هاجمته بأداة حادة.

في المقابل، قالت الزوجة إنها كانت تزور طبيبة نسائية طوال فترة الحمل، لكن الطبيبة كانت في إجازة خلال مارس 2011، وما كانت تعرف أن الطبيب الذي من المفترض أن يجري الفحص على الجنين، بجهاز التصوير بالموجات الصوتية، ذكر إلا بعد ولوجها غرفة الفحص. وأضافت أن زوجها شتمها في البيت، وقال إنه لن يسمح لها بولادة جنين حي، قبل أن يهاجمها باللكمات على بطنها.

وتعليقنا على هذه الأحداث أنها غريبة عن السلوك المهذب ، السلوك السوي الذي يدعو إليه الإسلام في التعامل مع المرأة والنساء بشكل عام، (فخيركم أحبكم لأسرته) وفهم الحياة بأنها دار اختيار للبشر كما هي دار اختيار كالיום الآخر ، وأن الله لن يدخل من كتبت عليه جهنم إلى الجنة كما لن يدخل من كتبت له الجنة إلى النار ، لا بطريق الخطأ ولا بطريق الجهل نظرا لعلم الخالق وقدرته على العدل وعدم ارتكاب الأخطاء كما يدعي بعض الناس ومنهم مفكرون ومتفقون ممن ينفوا قدرة الله ومدى علمه وهو العارف الخبير بالسراء والضراء ، فإن نشر مثل هذه الحوادث وهي كثيرة في عصرنا هذا حيث طلق أحدهم زوجته لأنها أبدت إعجابها بممثل في أحد المسلسلات التركية مثلا، وآخر قتل زوجته لأنها تحدثت مع إنسان غريب عنها، وثالث انتخب لمجلس الأمة والشعب ينام في جلسات مجلس الأمة وآخر يكذب فيدعي أن هجوما مسلحا من الأشرار حطم أنفه وتم فضحه بأنه كان يقضي فترة النقاهة بعد عملية تجميل طالت الأنف وما تحت العيون من الجلد المهترئ نظرا لطيات الوجه التي تظهر لمن تقدم في السن عادة ، ومن هذه الحوادث أيضا قيام مجموعة من طلبة الجامعة (للأسف الشديد) ممن يفهمون الدين كما يشتهون) قيامهم بإيقاف تصوير أحد الأفلام لفترة سابقة تظهر الموضة للملابس فوق الركبة ، حيث لم تكن هناك نزعة الحجاب أو التعصب للدين ، وهي أعمال تسيء إلى المسلمين أولا وإلى الإسلام كدين ينتمون له. فالدستور رغم أرقام العقيدة كدين للدولة نرى في تطبيق القوانين ما يخدم السياسة لا الدين ، ويطبق القوانين التي يبسطها الحكام ومن لف لفهم سواء كانوا من شيوخ الأزهر أو كانوا ممن يوصف أقل من فيهم بالأزعر ، فهم ينسون مهام الدولة ومهام المجتمع تجاه الفقراء والمساكين فيهتمون بالفقير تاركين اللب الصحيح للاتباع ، فحين تغيب العدالة وتسقط الحرية في مهاوي الردى ، وتكثر الساقطات في شوارع الهرم وشوارع دبي وشوارع الأردن وبيروت وبغداد ودمشق والمغرب وأماكن أخرى ، ويعز الرغيف فيصبح حلما لدى الفقراء وتصبح الوظائف معدومة بل ومستحيلة على الشعب الغليان ، نجد بعض من يتمسحون بالدين من الجهلة الفاسقين بإقامة الحد على المضطرين لارتكاب الذنوب من أجل لقمة العيش ، وكف يد السؤال لما في أيدي الناس الذين كانوا سببا أساسيا في دفعهم لارتكاب الذنوب والسير في طريق الرجس والانحراف . فنراهم يتزوجون مثنى ومثنى وثلاث ورباع بسعر التين وهمهم الحفاظ على العذارى ، وهم يساهمون في زيادة العوانس بما يعرضون في قهواتهم التلفازية ، وما يطرحوه من دعايات وإعلانات تجارية لو درسوها بعناية منطقية لعرفوا أن المستقبل لهذه الشعوب سيحتوي على الرذيلة وحب الذات والأنانية الفردية ، وبدلا من توجيهها بطرق صحيحة يزيدون النار اشتعالا بدلا من إطفائها ، فنسوا التاريخ ونسوا اللغة ونسوا الفضائل التي أنت بها الأديان وسبحوا مع السابحين في ميادين العهر باسم التقدم والساتحين في دروب الرذيلة لجهلهم واهتمامهم بسفائف الأمور ومنها تحقير المقدس وتقديس المدنس وهم يعلمون أو يجهلون ، فلا أنظمة التعليم في ديارهم تحث على الفضيلة ولا في جامعاتهم يحثون على استعمال العقل والبحث والتقصي في علومهم ، ولا أنظمة تؤطر لقنوات البيع والشراء مما يزيد من الاحتكار في العقل وفي المال وفي الاحترام بين الناس وكأن الأخلاق كما يقسموها ويصفوها خلال سلوكياتهم ، وكأن مصادر الشعوب الطبيعية حكر على طائفة أو قبيلة أو أسرة أو دولة بعينها دون طائفة أو قبيلة أو أسرة أو دولة أخرى ، وكان العربي مهجور عرقيا وعقديا ، فالإعلام الفاسد استشرى ، فليس حفظ القرآن وهو شيء مقدس ، وتوزيع الجوائز لقارئه إلا رذ الرماد في العيون حتى ينسى الناس الهدف من قراءة القرآن ويجعلوه

خادما لهفواتهم وتغطية سوءاتهم وطمس ظلمهم وتغطية جهلهم ، وكانهم هم القائمون بالأمر دون خلق الله ، فتعالت أصوات أبواقهم وسرت أقلام مساعديهم من السبعانيين حولهم والمسبحين بحمدهم ، المتعان بهم لتمجيد الحرام وإذلال الحلال فلا يرون الحق المبين في العدالة بين الناس ويغمضون العيون عن العدل والمساواة بينهم ، فتجدهم يتباهون بامتلاك العمارات والقصور والخيول واكتناز الذهب والفضة وشراء الأثريات بالملايين مدعين أن لهم أنواق ليست كأزواق العامة ، حتى أصبح ثمن الناقة والفرس بالملايين ، وأصبح كل مبنى شاهق حكر على المنفتحين منتفخي الجيوب في كل شعب ، فاحترار الشباب وتنعم الشباب بثرواتهم ، وهم أقل علما وأذل مكانة من الشباب المتعلم المتسلح بالعلم .

وإن كنا نرى ونسمع كثيرا من الدعاة وقادة الأديان أحزابا وجماعات في محاضراتهم وتقاريرهم وخطبهم أن الإسلام حضاري وأنه يدعو إلى الحرية واحترام البشر والأديان الأخرى ، نراهم يفرقون في لبس الحجاب ، ويسايرون الظواهر السلبية في المجتمع ، ولعل في جماعات (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في بعض البلدان ما يسيء إلى الإسلام أكثر مما يجلبه من فائدة ، فقد روى البعض أنهم بعصي طويلة يدورون في الأسواق ليأمروا الناس حتى لو كانوا من دين آخر إلى الذهاب إلى المسجد لأداء الصلاة ، ويضربون بعصيمهم على أعقاب النساء للتحشم أيضا. وهو ما يتنافى مع الإسلام وقواعده في احترام الغير .

ولن تقف هذه الحوادث عند هذا الحد فهي تؤثر على الإسلام كدين وعلى المسلمين كبشر أكثرهم لا يؤمن بقتل النساء تنفيذا لكرامة الأسرة وحماية عرضها أو يتهجم على الشواطيء العاربية ويأمر بإغلاقها ، أو يغطي عورات النساء والرجال في التماثيل الأثرية ، وهذه أمور لا بد من حلها والتعامل معها خاصة إذا توصلت الجماعات الدينية إلى سدة حكم العباد والبلاد أو إذا اتصفت بالعدل والنهضة والمساواة والنور كأحزاب وعند التطبيق تجدهم أبعد ما يكونون عن تطبيق الشريعة كما أمر الله وأمر رسوله الكريم..

وقد لفت انتباهي صورة بثتها الصحف والمجلات لشخص منتخب للبرلمان وهو مجلس الشعب وهو يقرأ القرآن في إحدى الجلسات ، وليس ذلك عيبا للاستشهاد ببعض آيات القرآن الكريم في خطاب النائب ، ولكن العيب أن الشخص يستغل وقت الجلسة البرلمانية التي تخصص عادة لخدمة مصالح الشعب ، يستغلها العضو المنتخب في خدمة نفسه تقريبا إلى الله تعالى . ظانا أنه في خدمة الناخبين ، فالوقت ليس له إنما الوقت للشعب وحل قضاياهم والتفكير بتقليل مقاساتهم وحل معضلاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وهذا مثل على عدم احترام الوظيفة أو تحديد تعريفها أو معرفة مزاياها، فعوض مجلس الشعب ملك للشعب ولا يحق للنائب استغلال الوقت في خدمة نفسه بل خدمة الشعب الذي أتى به إلى المجلس . ولا أدري ما عيب أحد النواب إذا قام بتقديم قرار: عدم قراءة الكتب الدينية في جلسات مجلس الأمة. فهل سيوصف ويتهم بالكفر أم أن المجلس في معظمه سيدعم النائب على متابعة قراءة القرآن ، وهذا أمر ممكن الحدوث. ولكن مجالس النواب ليست مجالس للدعوة ، فمجالس الدعوة هي المساجد والمعاهد الدينية وليس مجلس الشعب.

فإذا استمر الحال بالجهل بمعرفة تحديد الوظائف وتقويم مشاكل الشعوب بالعقل والوعي العلمي والمنطقي ، والتفريق بين الوظيفة كشيء عام والحياة الشخصية كشيء خاص ، فليس من المستغرب أن نرى في المستقبل بعيدا أو قريبا بقيام ثورات لدحر وطردهم كل الإسلاميين من السياسة ومقاليد الأمور ومجالس النواب ومجالس الثورى . وأعتقد أن السبب هو القواعد والحقائق العلمية أن البشر مهما كانت صفاتهم ومهما كانت درجة إيمانهم ومهما علت

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

معرفتهم فهم بشر معرضون للصواب ومعرضون للخطأ ، فلهم غرائز ولهم ميول ولهم رغبات منها الإنساني الأخلاقي ومنها الحيواني اللاأخلاقي ، وفيهم تعصب كل هذه لصفات تغذي الغرور والطمع والجشع النفسي وتنمي الأنانية البغيضة التي تعمي البصيرة والبصر معا ، نظرا لما يرون أنه صالح وهو بعيد عن الصلاح ، والاعتقادات البالية التي تعطيهم الحق في استعباد الناس وخاصة الجهلاء منهم ، وهم أكثر في كل مجتمع ، فالمراكز السياسية والاجتماعية في الدولة المدنية أينما كانت عند البعض ما تورث وتؤدي إلى المفاسد ، وحب الذات ، والبعد عن العدل والإيمان ، فليتعظ ولاة السياسة في مجالس الأمة والشورى ومجالس الأعيان في كل بلد عربي بما سيتعرضون له من انتقادات لبعض التصرفات التي تسيء لهم أولا وتسيء للإسلام على المدى البعيد.

أسأل الله أن لا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، وأن يأخذ بيدنا لما فيه صالح البشر وأن يسلم جهلاءنا بالعلم واحترام الحريات والعيش جنبا إلى جنب دون تعصبات دينية أو عرقية أو نفسية . إنه سميع مجيب.

للمؤلف من كتاب : [الإسلام ومصالح البشر](#) ، بالعربية : [al-Islam wa-Masalih al-Bashar](#)

وبما أن العرب لا يقرأون للفائدة العقلية ، فللمزيد من أفكار الكاتب في كتبه الأخرى بالعربية لمن يحبون القراءة لزيادة المعرفة يجدونها في : [التعاليم الأخلاقية العربية والإسلامية](#) - [بالمغتين ومحمد رسول البشرية](#) -- و [موجز التاريخ الإسلامي](#) -- و [اللهم فاشهد و طبائع الاستبداد للكواكبي](#)، و [باب الإيمان في الصحيحين البخاري ومسلم](#)، [تفسير الجلالين : سورة البقرة](#)، و [كتاب الطهارة في صحيح مسلم](#). وكتاب [بروتوكولات حكماء صهيون](#) بثلاث لغات ، وكتاب [بديع الكلام في مدح خير الأنام](#) .

للمزيد أيضا في هذا المجال مقالات أبو دلالة أنظر الموسوعة العربية الأمريكية –

<http://arabamericanencyclopedia.com>

العرب لا يقرؤون ، وهذا أمر مفروغ منه !

لدينا كتاب مبدعون ولدينا فلاسفة جهابذة في الفكر ولدينا عظماء من البسطاء الذين يحكمون العقل في تصرفاتهم ويؤمنون بالحرية الشخصية للإنسان ويؤمنون بالعيش بسلام ، فعش ودع غيرك يعيش ، لم يعد ملائما في أيامنا هذه. لأنه قول يساء فهمه ، فليس معناه أن تعيش مرفها مميزا ودع غيرك يعيش أيضا ولكن فقيرا معدما . ومن فهموا ذلك القول بمعناه الحقيقي هم من لهم صفة تجمعهم رغم عدم استشارتهم ، وهم ليسوا في قائمة من يضع القرارات التي تهم الشعوب. فما فائدة المفكرين وما فائدة الفلاسفة وما فائدة العظماء ثورا وبسطاء وهم في أمة لا تقرأ ولا تقدر ملكات البشر في الشعوب ولا تسمح للفرص بالتساوي لكل أفراد الشعوب ، وهؤلاء لا يشاركون في وضع القرارات التي تهم الجماهير، وفي كل شعب حاجة إلى قوانين تحكم الجميع أميرا وحقيرا فقيرا وغنيا ، عالما أو جاهلا، صحيح الجسم والعقل أم معتلها قوانين تبدأ بدستور عام لا يتصف بعقيدة أو أيديولوجية أو زمان أو مكان ، قوانين تطبق بعد فهمها وتحديد حدودها بين الناس ، قوانين تراعى القوي والضعيف على أسس وقواعد واحدة ، وتطبق على كافة أطراف الشعب بعدالة الأرض لا عدالة السماء.

لقد وجدت تناقضات في كل شعب عربي تراكمت عبر عقود تحتاج جلسة للتفكير والتنظير والتخطيط ، لأنها تناقضات داخل الشعب ككل ؛ وداخل الطبقة العاملة نفسها واتحاداتهم المرتشبة ، وبين طبقات الفلاحين أنفسهم، وبين المثقفين الفقراء منهم وابناء الذوات ، وبين هذه الطبقات فيما بينها ، الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين وطبقة المثقفين . بالإضافة إلى تناقضات كلية تراكمية بين الطبقة العاملة والبرجوازية الوطنية. مما يثير التساؤل حول أفضل الطرق للقضاء على هذه التناقضات أولا قبل المناداة بالعدالة الاجتماعية ، ولن يتسنى ذلك إلا بإعادة النظر في مؤسساتنا ومعاهدنا وداستيرنا إذ ليس سهلا أن تكون هناك عدالة إجتماعية في مجتمعات تسودها العنجهية القبلية أو الدينية أو الأيديولوجية أو النظرة المتعالية تقليديا بين الفقراء والأغنياء وبين ما نملك وما لا نملك ، فكيف نقضي على كل هذه التناقضات؟ لا بد من الإجابة على هذه الأسئلة قبل تحديد طبيعة النظام السياسي المعاصر والمستقبلي. فهل المناهج المطروحة والتي ظهرت على أرض الواقع تستطيع القضاء على التناقضات في تطبيق القوانين.

فالمنهج الديني لا يحل مشاكل المجتمع ولم يكن هناك دين أساسا قام بالحكم وعدل إلا في فترات قليلة في التاريخ البشري ، وحتى في الإسلام لم تكن هناك عدالة بمعناها المثالي كما تريدها الشعوب في الأمس أو اليوم ، حيث كانت فترة حياة الرسول قصيرة وحياة حكم الخلفاء الراشدين كانت أقصر منفردة بعد الرسول الكريم ، ولم تتعد حكم الخليفين الأولين أبو بكر وعمر . أما في فترة عثمان فقد كان مشكوكا في وجود العدالة لمحابة بني أمية في الحكم والخراج وتوزيع الغنائم ، أما في فترة علي بن أبي كالب فقد صبغت بالدماء بدءا بمقتل عثمان والمطالبة بدمه . وفي المسيحية كانت العدالة تحت الكنيسة غامضة وملوثة بالفساد ، أما في الدين اليهودي فلم تكن هناك عدالة لغير اليهود كأمة عنصرية قلبا وقالبا نظرية وتطبيق وما زالت .

وزيادة على ذلك ، كان الربا موجود في عهد محمد رسول البشرية ، حتى أن أقاربه كانوا يرابون وكانوا يستعبدون البشر رغم أنه نشر المساواة بين البشر ، إلا أن القتل والزنا وارتكاب المحرمات كان متفشيا وعند توزيع الغنائم كانوا يتسابقون على تقسيم الأموال والجواري وكان محمد يتقاسم الجواري مع أصحابه ، حتى أنهم كانوا يختارون أفضل الجواري لتكون من نصيب الرسول كما علمنا من قصة جويرية لنت حيي بن أخطب التي أصبحت من أمهات المؤمنين حسب رواة المسلمين وأئمتهم .

فالمنهج الديني لا يصح أن يكون أساسا للعالم ، فهو منهج أخروي ، لا يهتم بالعالم الحاضر وإنما بالعالم الغامض فيما بعد يوم القيامة . وطالما أن البشر فيهم القدرة على الانحراف وإمكانية حصوله نظرا للأنانية وحب الذات والطمع المادي في الحياة الدنيا ولديهم القدرة على مطابقة الفعل للقول ، فإنهم لن يكونوا عادلين إلا إذا كانوا يسألون عما يفعلون ويقررون ، كما قال أبو بكر في خطبته ، إن عدلت فأعينوني وإن أسأت فقيموني ، أو كالعمرين في استخدام المثاليات في الدين لحكم أنفسهم والبشر ، ولكن هؤلاء قلة في التاريخ ، فإذا طبقت الأديان في العصر الحاضر فإنها ضرب من الخيال ، ولا يمكن أن تكون محكومة إلا من شريعة أو قانون ، ولكن الشرائع ليست مطابقة حسب الأديان حيث انحرفت الأديان في التطبيق وأصبحت العادات والتقاليد هي السلطة الخفية التي تسيطر على حياة الناس وتصرفاتهم .

في مجتمعاتنا العربية والإسلامية اليوم حيث يزداد عدد الفقراء والعاطلين عن العمل ويتوزع الفساد على كل طبقات الشعب في كل مكان حسب مبدأ الملكية والأنانية والطمع المادي ، فلو طلبنا من شخص مسلم أو مسيحي أو يهودي اليوم بأن يقاسم ثروته التي جناها بالحق أو بالباطل مع الفقراء في محيطه حتى الأسري ، فلن يقبل أي منهم ذلك ، وتلك آفة رغم أن كل الأديان تدعو للعدالة ، إلا أن العدالة لا تطبق ولم تطبق أساسا إلا في فترات قصيرة جدا متناثرة في التاريخ القديم .

المنهج العقلائي أو الليبرالي أو العلماني وكلها تحمل نفس المعاني والقيم ، فإنها عند بعض أتباع الأديان كلها تؤسم بالكفر أو عدم المنفعة في حل مشاكل المجتمع المعاصر ، رغم أنها تطالب بسيادة القانون واعتماد العقل في تسيير الأمور الحياتية والسلوكيات البشرية ، إلا أنها أيضا إذا ركبت مراكب السياسة فإنها أبعد ما تكون عن العدالة الاجتماعية التي تساوي بين الفقراء والأغنياء حتى في الغرب المعروف بليبراليته وعقلانيته وعلمانيته . فما نراه في الرأسمالية كنظام اقتصادي سياسي في حالة الفقراء والأغنياء أنه كلما تقدم النظام الرأسمالي كلما زاد البعد بين الطبقات الاجتماعية فالغني يزداد غنى والفقراء يزدادون عدد ، والهوة بين الطبقتين تزداد اتساعا .

وفي النظام الاشتراكي نلاحظ أن أتباع الأيديولوجية الاشتراكية يتسمنون المناصب في أحزابهم ، وبينهم وبين من لا ينتمون للحزب الواحد هوة بالغة الاتساع أيضا ، وعمامة الشعب تترشح في فقر عام .

ولكن المنهجين الرأسمالي والاشتراكي يتصفان بوجود قوانين ترعاها الأنظمة ، ولها حرية الاختيار للمناصب ، وعند الكبر وتقدم السن وهو مرحلة يتزايد عدد من يصلون إليها في النظامين ، هناك ضمان اجتماعي لدفع أثمان الأدوية والتشفي في المعاهد الحكومية ومساعدة العاطلين في نهاية أعمارهم بما يعرف بضمن الأمن الاجتماعي ، حيث يصل كلا منهم من الدولة حسب القوانين المرعية مبالغ تفي بغرض استمرارهم في الحياة بعد التقاعد من الأعمال والوظائف .

ورغم أن المبالغ ليست متساوية بين المتقاعدين إلا أن الدولة تدفع للجميع شهريا مخصصات وتدفع أثمان أدويتهم وفواتير مستشفياتهم .

أما في المناهج الدينية التقليدية فالأمر ليس فيه نقاش ، فالموت يأتي من الله كما جاءت الولادة ، وهذا أمر لا يجادل فيه أحد لأنه حقيقة واقعة ، ولكن الفترات التي كان فيها بيت مال المسلمين يوزع تخصصات شهرية للمحتاجين كانت قصيرة في التاريخ ، ولم يشتهر التوزيع بعدالة إلا في أيام أبي بكر والعمرين ، حسب ما يخبرنا به التاريخ ، حتى في عهد رسول الله كانت القسمة بتقديم المهاجرين على الأنصار في توزيع المغانم ، وتقديم الرؤساء في العشرات والمقربين من حلقة الرسول عليه السلام ، ولم يكن هناك من تساؤل لأن الاعتقاد كان أن الله يختار وهو الذي يوزع على البشر ما يحتاجون دون خلاف ، حيث كان القرآن يقوم بتوزيع الأموال على الفقراء والمحتاجين والمساكين واليتامى وأبناء السبيل وأولي القربى ، وفي الدولة العصرية البعيدة عن شرائع الرسل والأنبياء وغياب وجود العادلين في التوزيع ، فلا بد من وجود قوانين تحكم بين الناس بالعدل ، بحيث يحاسب المسؤول في المراكز (الدينية) أو السياسية أو الاجتماعية على قراراتهم الغير عادلة والتي تتدخل فيها عوامل كحب التملك للنفس البشرية وأنانيتها وطمعها وتكون المحاسبة عن طريق القوانين التي لا تفرق بين أمير وحقير أو بين غني وفقير أو بين حاكم ومحكوم .

وإذا أردنا تطبيق ما سبق على الأوضاع الحالية في الأمتين العربية والإسلامية في كلا الفريقين الذين ثاروا وانتصروا أو من ثاروا وانكسروا أو من رضوا بفتات الحكام وخسروا ، فما زالت الأديان غائبة والليبرالية (العقلانية العلمانية) أيضا غائبة وحتى الاشتراكية غائبة ، فكأنه لم يتغير شيء في بلاد العرب ، فالحال مازال كما هو ، والدساتير تُوَطر للحاكمين لا للمحكومين ، وتعلي من الأقرباء والمقربين ، وتجازي الفاسدين ، وتلعن أبو المحتاجين والمساكين واليتامى والفقراء من شعوبها ، وليس هناك نظام يأخذ بالعقل منهجا يقوده ، ولا بمبدأ العدالة كمنج يطبقه ، لأن من كان يملك مازال يملك ، ومن كان لا يملك ما زال لا يملك ، ومع غياب القوانين التي تعدل بين أفراد الشعوب تشترك الأديان مع المناهج العقلانية (العلمانية الليبرالية) بنظامها الرأسمالي والاشتراكي في تطبيق العدالة العرجاء ، فالأديان تقدس (بتوع ربنا) ممن يبدون كالدراويش لخداع أنفسهم قبل خداع الشعوب ، خاصة وأنهم لا يفقهون الفرق بين ماو عام للجميع وما هو خاص لهم ، فمن ينام في مجالس الأمة (الشعب) يجب معاقبته لأنه خان وظيفته فقصر في لعب دورها ، وكان الأولى به أن يكون واعيا لما يقوم به من مهام لخدمة الشعب لا لخدمة نفسه في التقرب إلى الله قياما في الليل أو تهجدا أو ساهرا بلا هدف أو بهدف خاص ، ومن أدن في مجالس الأمة (الشعب) ومن كذب

على الناس وهو يخفي بعض عيوبه الخلقية ، فالواجب يدعو حسب القانون أن يعاقبوا لا أن تفتح لهم أبواب التوبة ، أو التماس الأعذار على التصغير في الواجب حيث لا يجوز بأي حال رده إلى العناية الإلهية عن طريق السماح لهم بالاستمرار في طمس الحقائق العقلية عن إدارة الوقت وإدارة مصادر الشعوب .

فغياب العدالة عمليا ، يجعلني أصل إلى ما يلي:

نظريا : المتخصص في العدالة الاجتماعية لا يكون تابعا لعقيدة أو دين أو أيديولوجية يقودها حزب أو مجموعة دينية أو حتى مجموعة ليبرالية عقلانية متحررة . لأن ذلك التخصص يدقق في الوقائع على الأرض لا الوقائع في السماء. وهذا يدعونا إلى النقطة التالية وهي التطبيق..

تطبيقيا: لكل عمل حكومي أو خاص قيود وتعليمات وقوانين أساسية تتبع عند تطبيق العدالة الاجتماعية ، وهنا في العالمين العربي والإسلامي لا يوجد تطبيق للقوانين التي تراعي البشر كسواسية أمام القانون ، فالمواطن درجة أولى له قانون والمواطن درجة ثالثة له قانون ، والأجنبي العربي له قانون ، والأجنبي العجمي له أيضا قانون . وللحكام قوانين ، ولم دار في فلهم أيضا قانون (يمكن تسميته باللاقانون) ..

فإذا تسلمت مجموعة في شعب فقير جاهل استغلته جهل وفقر الشعوب فأنها لن تكون دينية في تطبيقها كما كانت تطبق العدالة في بعض فترات التاريخ ، ولن تكون عقلانية (علمانية ليبرالية) لأنه ليس هناك قوانين تحكمها ، فالبعض يريد القرآن قانونا شرعيا لكل زمان ومكان ، وآخرون يريدون قوانينا وضعية لا تناسب المجموعة الأولى ولا تركز على تطبيق المثل العليا أو ما ترسمه الأخلاق حسب الزمان والمكان ، حيث لا يعرف ما يشعر به العميان إلا أعمى منهم ، ولا يعدل المالك مع من لا يملك دون أن يكون هناك قانون يسير عليه العميان ويسير عليه الطرشان ويسير عليه المالك وغير المالك .

وفي الختام ، التضارب الحاصل بين الإسلاميين حسب أحزابهم وطرقهم وملهم نظرية وتطبيقا فيما نراه من سياسات داخلية أو خارجية ، إنما هو تضارب لعدم وضوح الرؤية لمستقبل العدالة الاجتماعية في المجتمعات ، وهي مجتمعات عالة على حكوماتها منذ وجودها بعد رحيل المستعمر عنها ، وعالة على الفساد المتفشي بين طبقاتها ، وعلى طرقهم التقليدية في حل مشكلاتها ، وكثرة الفتاوي من عقلائها وأغبيائها ممن يضعون أنفسهم في موضع خالقهم فيقول قال الله وقال الرسول في أمور دنيوية لم يعرفها الرسول من قبل ، ولا وردت في أيامه مثلها نوعا أو كما ، وربما لم تخطر في بال الله كما يدعي البعض المنتور ، أو خطرت لأن الله يعلم بكل شيء، وهو رب العالمين ، أو من العلمانيين العقلانيين المنتفعين من مناصبهم الرسمية والمقربين من أولي الأمر ومن الهالة التي تشاركهم أينما حلوا وأقاموا وكأنهم أنبياء عصرهم من حملة جوائز نوبل التي حادت منذ تواجدها عن العدالة في التوزيع والمنطق العادل في التقييم واتبعت الهوى السياسي أو الديني أو الاقتصادي المحابي لأصحاب القوة المنحرفة أحيانا عن المنطق السليم .

للمؤلف من كتاب : [الإسلام ومصالح البشر](#) ، بالعربية : [al-Islam wa-Masalih al-](#)

[Bashar](#)

وبما أن العرب لا يقرأون للفائدة العقلية ، فللمزيد من أفكار الكاتب في كتبه الأخرى بالعربية لمن يحبون القراءة لزيادة المعرفة يجدونها في : [التعاليم الأخلاقية العربية والإسلامية](#) - [بالبغتين](#) و [محمد رسول البشرية](#) -- و [موجز التاريخ الإسلامي](#) -- و [اللهم فاشهد](#) و [طبائع](#)

الاستبداد للكواكبي، و باب الإيمان في الصحيحين البخاري ومسلم، تفسير الجلالين : سورة البقرة، و كتاب الطهارة في صحيح مسلم. وكتاب بروتوكولات حكماء صهيون بثلاث لغات .
لمزيد أيضا في هذا المجال مقالات أبو دلامة أنظر الموسوعة العربية الأمريكية –
<http://arabamericanencyclopedia.com>

الهوية العربية وعرب اليوم
الدكتور حسن يحيى

Arab Identity And Arabs Hasan Yahya, Ph.ds

الهوية أو (Identity) تعني الجوانب أو العناصر أو المكونات لمجموعة من المميزات لشيء ما ، شخص أو دولة أو حضارة يعرف الشيء ويميز بها . وهي أيضا جوانب سلوكيات أو تصرفات يميز بها الشخص أو الدولة أو الحضارة وتنم عن تلك الشخصية . وهي صفة نوعية يتسم بها العضو في مجموعة كبيرة أو صغيرة، تسكن في الشرق أو الغرب أو الوسط ، وعاشت في الماضي أو الحاضر . وقد تكون الهوية عرقية (عربي طاعجمي) أو عقيدية (مسلم أو نصراني أو هندوسي) أو أيديولوجية (رأسمالية ، شيوعية ، اشتراكية) . ويمكن أن تتشكل الهوية في الأساس قبليا أي أسريا فنقول ابن فلان أو ابن قبيلة كذا ، أو ما تعارف الناس عليه من الوطنية والجنسية في السياسة الحاضرة في تعريف البشر وانتمائهم، فيقولون : سعودي، مصري، فلسطيني، مغربي، باكستاني، أمريكي، صيني ، إلى آخر هذه الأسماء التي تعبر عن هوية وطنية.

فإذا عرفت بالعقيدة أصبحت الهوية أوسع مجالا من مجال العرق. فالهوية العربية تختلف عن الهوية الإسلامية ، وفي التاريخ العربي والإسلامي كان ذلك الفرق واضحا بين الدول المتعاقبة بعد دولة الرسول "محمد" عليه السلام والخلفاء الراشدين لتتحدد في الدولة الأموية بأنها عربية الهوية ، حيث كانت المراكز السياسية تابعة فقط للعرب ، وبين الدولة العباسية التي أصبح فيها عدد من دخلوا إلى الإسلام أكثر من العرب ، فبدأت الهوية تمزج المسلم والمسيحي في هوية واحدة . واستمر الحال في عهد الدولة العثمانية بما سمي بالخلافة .

أما في العصر الحاضر فقد تشرذمت الدول وصغرت حجما وسكانا فأصبحت الهوية إقليمية محددة بحدود سياسية رسمت أساسا من قبل المستعمرين الإنجليز والفرنسيين والإيكاليين والألمان ، ولي هناك هوية عربية بالمعنى الكامل في العصر الحاضر حيث لكل دولة سياسية هويتها ومصادرها وجواز سفرها وأصبحت الهوية إقليمية لها فوائدها ولها مساوئها ، لذا

فالهوية العربية الحديثة غامضة وغائمة حيث لم يتسن جمع كلمة العرب بالفعل على الهوية العربية التي تجمع العرق العربي وحده بما عرف من محاولات القوميين العرب ونداءات جمال عبدالناصر وأحزاب البعث المشقة في لبنان وسوريا والعراق .

ولعل هناك أسباب لعدم توحيد العرب وجعلهم هوية واحدة منها عوامل خارجية وأخرى داخلية ، لا يتسع المجال لذكرها هنا .

وقد نظر بعض المفكرين إلى مسألة الهوية من منظور تاريخي وهو جزء من الهوية لا يمكن أن تواجد بدونه ، ومنهم محمد عابد الجابري واعتبرها وعي بالذات يتطور ويتجدد مع الزمن ، وهذا أمر طبيعي في تطور وتغير الأشياء بيولوجيا وبيئيا وأيديولوجيا . وتظهر أهمية التاريخ الماضي في ربط الحاضر وتشكيل المستقبل للهوية ،

لذا كانت مسألة الهوية توسم الحضارات والدول بميسمها خلال التاريخ. وهناك شعوب عريقة عرفت تاريخيا كالفنيقيين والسموريين والكنعانيين والرومانيين واليونانيين والفرس والعرب والمسلمين والصينيين والهنود والأوروبيين من فرنسيين وألمان وإنجليز وغيرهم .

ويهمنا هنا طرح مفهوم الهوية العربية وكيف تطورت عبر العصور التاريخية في فترات ما قبل الإسلام وما بعده حتى يومنا هذا حتى نستطيع تحديد الهوية إن كانت هناك هوية بالفعل بعد التداخل والتواصل العالمي في مجال الهجرة والتقدم التكنولوجي.

ورغم أن الهوية حاجة جماعية للشخصية الإنسانية تتعلق بالمحيط البشري لها، فالتغيرات والتحديات التي كانت تصادف الشعوب استدعت إعادة ترتيب ما يعرف في علم النفس ب (الأننا) الشخصية أو (نحن) الجماعية كتميز لها عن (هو وهم) . وقد اعتبرها البعض أنها حالة نفسية تصاب بها الشعوب كما يصاب بها الأفراد فتخلق أزمة تعيد تحديد مسارها وتعريفها ومميزاتها.

من هنا يبدو واضحا أن معالجة مسألة الهوية، تتوقف على الوعي بفقدانها من أجل إعادة تشكيلها، والنظر فيها ولا يمكن ذلك إلا من دراسة التاريخ البشري لأمة من الأمم لأن للتاريخ صفة مساعدة في تعريف الأشياء حيث أنه متغير دوما ولا يبقى على حال.

وبالنسبة للهوية العربية مثلها مثل كثير من الهويات الأممية ، ولكنها بدأت مما عرف ثل الإسلام عن مجموعة قبائل وشعوب، (مثل قحطان وعدنان ويعرب وتغلب وأسد وغطفان) وقد تأسست الهوية حين يدافع أصحابها عنها إذا تم تحديدها ولعل أكثر المناسبات في الجاهلي هي يوم ذي قار وهو من أيام العرب في الجاهلية. ولكنه لأول مرة ينتصر فيه العرب من الفرس ز دفاعا عن الهوية . وليس كالحروب الأخرى بما عرف عن أيام العرب كيوم الفجار بين كنانة وقيس عيلان ومعارك البسوس وداحس والغبراء وبين عبس وغطفان وكانت بين القبائل العربية نفسها..

وبعد الإسلام اتضحت الهوية فلم تعد عربية بل اتسمت بمزايا إسلامية حتى انتهى عصر الخلفاء الراشدين . وعادت الهوية العربية في الدولة الأموية ليكون العرق العربي الأموي ومن تابعهم من القبائل العربية وقادة الجيوش الإسلامية فكانت السلطة لهم ولم يشارك بها غير العربي،

وفي أيام الدولة العباسية بدأ العرق العربي يفقد مميزاته فقد بدأت الأقوام من غير العرب في الدول المفتوحة تتزايد عددا وتأثيرا وتمازجا مع الهوية العربية فأثرت فيها بل عممتها إلى هوية إسلامية إوسع مكانا وزمانا ، فكانت الخلافة هي الرابط بين كل المسلمين سياسيا وهوية المسلم عرفت بها . وبدأ "الأخر" يبدو مقبولا من ناحية العقيدة على الأقل، وظل المعتدي هو

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

نوع لا تقبله "الأنا" العربية ولا الإسلامية . وبعد تشرذم الإمارات بعيدا عن مركز الخلافة العثمانية . أصبحت الهوية تقصر على الموقع الجغرافي للقبيلة وعلى العرق في حدود ضيقة ، ولكن العقيدة كانت أوسع مجالا للهوية لارتباط تلك الدويلات بها ولو إسميا . وكانت الهوية الإسلامية تميز الدولة العثمانية ورعاياها شرقا وغربا بما كان يعرف قبل عام 1923 بالخلافة الإسلامية .

أما الوطن العربي اليوم أو الهوية العربية اليوم فالغموض يلغها والشكوك تمنعها والأناية تطمسها وتحددها بحدود جغرافية أو حتمتها المصادر الطبيعية التي ساهمت في منع تحديدها أكثر من الوطن المحدود بفئات لم تكن عربية أساسا إلا في القليل كدول عمان والخليج واليمن والسعودية .

لذا فقد انتقلت الهوية أو (الأنا) من عربي وغير عربي إلى مشرك وغير مشرك، ثم بعثت في الدولة الأموية إلى السمة العربية ، ثم الإسلامية حتى انتهى عهد الخلافة . ثم تشرذم ثانية كما كان في نهاية الدولة العباسية حين ظهر الصفاريون والأيوبيون والفاطميون والمماليك فظهرت دول بهويا جديدة شكلية لا تتبع عرقا ولا عقيدة ولا حتى أيديولوجية إلا ما قل فيما يعرف بمجلس دول الخليج .

صفات الإنسان العربي والكرامة

Arab Traits and Dignity

للدكتور [حسن يحيى](#)

بالرغم من الصفات الإيجابية التي يمكن للشخصية العربية أن توصف بها كالشجاعة والكرم والجدود وحسن الضيافة وإعزاز الجار لسابع جار، ونصرة الملهوف والرحمة ووصل الأرحام واحترام القبيلة والأسرة إلا أنني في هذا المقال لن أعدد هذه الصفات ، فليسمح لي القراء بذلك ، لأن صفات الشخصية العربية اليوم تطورت مع تطور التاريخ والجغرافيا وطرق الاتصال والتكنولوجيا الحديثة حتى أصبح العربي شخصية تدعو للبحث والتساؤل بعد أن انجرفت تراثيا وأصبحت تابعة في إعلامها وأدبها وبرامجها المتدنية نظرية وتطبيقا في القنوات الفضائية . حتى كادت الشخصية العربية تذوب في ثقافات العالم المتحرر المسيطر من خلال ما يعرف في علمي الاجتماع والأنثروبولوجي (علوم الإنسان) بالسيطرة الثقافية ، إلا أنني كإنسان عربي عاش حياته متنقلا بين عدد من البلاد العربية والأجنبية وخبر الناس في وظائفهم وحياتهم وطرق تعاملهم ، وتغير سلوكياتهم ، ودرس تاريخهم أبيضه وأسوده ، أصل إلى نتائج إنسانية قد تميز بعض الأجناس عن غيرها ، ودون تجريح لصور هذه الشخصية الإنسانية ، مثل سمة الدفاع عن الكرامة لاستعادة عزة النفس مهما طال الزمن. فمهما طال الأذى وفقدت الكرامة وعزة الإنسان فإنه سيقوم باستعادتها وإن طال الزمن ، ومن خلال فترة الانتظار تتكون هناك سمات للشعوب ونفسياتها وشخصيتها ، ولست أقصد هنا العوامل المؤثرة في الشخصية مما تعارف عليه العلماء من بيئة طبيعية أو اجتماعية أسرية ، ولكن تلك السمات المرتبطة عبر تاريخ من الأحداث تفقد الشعوب كرامتها ، وتستلب عزتها بالقوة والجبروت ، وتستتهين بقدراتها البشرية والعقلية والفكرية ، ولست الأول في تحليل الشخصية العربية ولا في تحليل سمات الإنسان العربي ، وإن كانت هناك صفات إيجابية كالكرم والجدود وحسن الجوار وحسن الأخلاق مما تناقله الناس عبر العقائد والعادات ، فقد أجمل هذه السمات التفسرية والشخصية عالم النفس المصري الدكتور أحمد عكاشة في دراسة له في أربعة سمات: الاعتمادية والسلبية العدوانية والاستهوائية.

فالشخصية الاعتمادية عنده شخصية "تركن إلى الاعتماد الشامل على الآخرين أو السماح لهم بتولي مسؤولية جوانب مهمة في حياته الشخصية".

وتميل تلك الشخصية عند التعامل مع المحن والأزمات إلى إلقاء المسؤولية على الآخرين وكثرة النقد له والسخرية منه ، أما الشخصية العدوانية والسلبية فإن السخرية من الأحداث والشعور بفقدان القدرة على التصدي للظلم فتمر بإلقاء النكات والطرائف (السياسية والاقتصادية) وتعتبر عن العدوانية للمتسلطين. وأضيف هنا أن منها استعمال الكلمات التي تجعلهم يصبرون على المظالم مثل حسبنا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويمهل ولا يهمل. وإنا لله . ولكن إلى حين. فالكرامة المستهانة كانت كالرماد الذي لم تنته النار فيه بعد ، فأشعلتها ثورات ميادين التحرير وهي تهز الأنظمة الفاسدة لاستعادة الكرامة فانتقلت من حالة الهدوء والسكون إلى الثورة ورفض الانصياع وطلاق الرضوخ الكامل للظالمين منتهكي كرامة الشعوب ، فانقلوا إلى حالة من التمرد الكامل وإعادة الكرامة العربية من جديد. وهي سمات سلبية اتصف بها الإنسان العربي على مر العصور وبدأ عصرنا جديدا في التغلب عليها .

وفي اعتقادي ، أي توصلت إلى مرحلة تجعلني أحلل الشخصية العربية قدر استطاعتي وحسب دراساتي ومعرفتي وخبرتي الشخصية ، ولست غريبا عنها كما أنني لا أنتقدها ، فالحقائق وحدها حسب الدراسات العلمية قد تكون شفيعا للكاتب في أحكامه وأوصافه لتلك الشخصية المحيرة. مضيفا على بعض السمات السابقة ، وما توصلت إليه قريب مما توصل إليه غيري من المفكرين والكتاب العرب ، ولكن دراستي للتاريخ العربي الاجتماعي وعلاقة الأجناس البشرية ببعضها وحكايات تطورها وتنميتها قد تعطي القارئ فكرة عن أهمية الدراسة لشخصية العربي عبر التاريخ والتوصل إلى بعض الصفات الخاصة بشعب من الشعوب. وفي رأيي أن هذه السمات كانت متأثرة عن الإحباط النفسي والتاريخي الطويل وقلة الحيلة في التصدي للقوي أو المتجبر المتسلط أو الظالم قريبا أوبعيدا. وأهم من ذلك فقد الكرامة الإنسانية عند العربي ومحاولات استردادها مما طبع شخصيته منذ أيام الجاهلية واستمرت معه بعدها حتى أيامنا هذه وهو لا يسكت على الضيم الذي يرى في قتل البنات والأخوات صيانة للعرض دون وازع من ضمير أو اعتراف بحرية اختيار. كما يرى في الانتقام والبعد عن الصفح الذي تحت عليه الأديان.

فالإنسان العربي كان قد تجمد دوره تحت سلطات الحكم العثماني لقرون ، وقيل بالحياة تحت أقسى الظروف وأعني هنا العربي الفقير الفلاح المهمش من مجالات صنع القرار ، والذي بدأت شخصيته مؤثرة في الأجيال التالية صابرة على الأذى متحملة الظلم وسياسات التعسف وغزو البلاد فتسلح بالصبر من خلال استعمال بضع كلمات من القرآن الكريم أكثر الأحيان وبعض الأمثال الشعبية ، فهي تشفي الغليل كالدواء كما يقال ، ولكنها لا تحل مشكلة ومنها : لا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون، يمهل ولا يهمل، حسبي الله ونعم الوكيل ويا ظالم لك يوم. والدائم وجه الله. ويكون استعمال هذه الكلمات كدواء مسكن وحيد حين لا يملك الإنسان قوة للتصدي للظلم أو المصائب أو أوجاع النفس في الأيام حالكة السواد كأيام الهزائم والقحط والفشل وفقد الأحبّة عن طريق الموت. فالإتجاه إلى الله كان أمرا طبيعيا حسب العقائد والموئل الوحيد للبشر في سواد الأحوال النفسية والاجتماعية والسياسية .

كثرت هذه الكلمات استعمالا مع بدء الحروب الصليبية ، ودامت لقرون أدت إلى تشرذم الأمة الإسلامية بعد سقوط بغداد على يد التتار وأقول حكم العرب عن بلاد الأندلس، وكان لتلك الهزائم أثرها في فقد الكرامة العربية والإسلامية معا ، حيث تطول تلك الفترة أو تقصر حسب حجم فقدان الكرامة واستعمال تلك الكلمات التي ذكرناها سابقا .

وكانت أسوأ الفترات حين بدأت الحملات الصليبية تجتاح بلاد الشرق وفلسطين وقد استعملت الكلمات المسكنة بكثرة في تلك الفترة حتى جاء صلاح الدين ليعيد للعرب والمسلمين كرامتهم ، ويشعرهم بعزتهم وقدرتهم. ولكن الحكم العثماني الذي دام خمسمائة سنة ، ساهم في استعباد العباد وطمس الهوية العربية ، عن طريق دفع الأتاوات واستغلال الضرائب التي كان يجنيها الباي والداي ممثلي الحكام الأتراك في شمال أفريقيا (المغرب والجزائر) والتي كان يستغلها في الشرق حكام مشابهيون ، من الباشوات وطبقة الإقطاعيين الذين استخدموا الأرض ومن عليها من الفلاحين الفقراء والبسطاء ، فكان استعمال تلك الكلمات المطمئنة للنفوس التي طبعت الشخصية العربية ، حتى جاء جمال عبدالناصر فبعث الكرامة العربية من جديد ، وتبعته ثورة شباب يناير في مصر العتيقة فشعر العرب باستعادة كرامتهم التي سلبت سنين طويلة ، بعد رح من الزمن القاسي الذي لم يبق في قاموس النذل والعار وفقد الكرامة بوجود إسرائيل إلا واستهلك استعماله ، فكانت كلمات حسبي الله ، وإنا لله ، ويمهل ولا يهمل ، وللظالم يوم ، وربك يفرجها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله، من الأدوية المسكنة للنفوس في أوقات الأحران .

هذه الكلمات المعجزة ببساطتها كانت شفاء للإنسان العربي المظلوم، وكان لتراكم المظالم والمفاسد وتجاوزات الحكام انطباعات أو سلوكيات في أزمان القهر والظلم والنكسات مما خبرناه في حياتنا بعد أن بدأ الأمل يعود بقيادة مصر العربية ، فتم احتلال فلسطين من قبل الصهاينة ، بمساعدة بريطانيا التي كانت العظمى لقرون ، كبدية لتكريس الهيمنة من الغرب على ممتلكات الشرق ومنعه من استرداد كرامته ، ووحدته ، وتم الاعتداء على مصر الحبيبة التي كانت بقيادة جمال عبدالناصر الذي كان يعتبر رمزا للكرامة العربية ، فكانت حرب 1956 من قبل الدول الاستعمارية الثلاث بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر الأبية وبعدها حرب 1967 ، وانتكاسات العرب المتكررة في هيئة الأمم وتعتت القوى الإمبريالية في دعم المحتلين الصهاينة لفلسطين وغزو العراق وأفغانستان وبدأ الإنسان العربي يحاول استعادة كرامته طيلة تلك السنين فقد جفت تلك الكلمات المسكنة وأصبح الناس سكارى وماهم بسكارى ، وكان ما قام به بن لادن الشرارة في أفغانستان وغيرها ، وكانت جزء من محاولة رفض للمهانة وطلبا لإعادة الكرامة العربية التي سلبت على أيدي الدول الغربية ورببيتها المسخ إسرائيل الصهيونية .

وعادت بعض الكرامة المستباحة تنير وتتألأ في ميادين التحرير في عدد من الدول العربية في مصر الأبية وتونس الخضراء واليمن السعيد ونهر بردى . ولعلي أعود إلى سمات الإنسان العربي الذي عاش حلو الحياة ومرها فأصفه بما يلي:

- عدم الشعور بالمسؤولية : فالأخ الأكبر أو الأب العربي هو الذي يقوم بمسؤوليات الأسرة ومهمات العمل والكدح لإعالة الأسرة بناتها وأولادها ، مما يبعده عن الإحساس بمسؤولية الجماعة اتجاه السلطات الظالمة ، وقد تختص الشخصية الفلسطينية بتحمل المسؤولية بعد احتلال فلسطين ، كما تختص الشخصية المصرية بتلك المسؤولية بعد سنوات الظلم والقهر ، وقد كنت كفلسطيني يعيش في الأردن شخصا أحس بالمسؤولية وأنا في العاشرة حيث كنت وأخي نجلب الماء للأسرة من بعد ثلاثة أميال ، حيث كنا نسكن غرب المدينة وكانت عين الماء في شرقها .

- الاعتماد على الغير في حل المشاكل: اعتادت الشخصية العربية الاعتماد على الغير وخاصة على الله في ترديد الكلمات المطمئنة للنفس مثل لا حول ولا قوة إلا بالله، يمهل ولا يهمل ، وترك الأمور كما هي دون إعمال فكر في حلها والتوصل إلى قرار اتجاهها .

- السلبية في التعامل مع الغير: تصور أن الغرباء خطرون وأنهم قد يؤذونهم . لذا تراهم لا يتشجعون على البدء في الكلام .

- اتخاذ الأصدقاء بسرعة ودون تروي ، مما يوقعه في أزمات العربي في غنى عنها ، فليس كل من تقابله يعتبر صديقا ، ويقع الطلاب المبتعثين من بلاد عربية أكثر من غيرهم في هذه المشكلة ، فيعتبرون الشخص صديقا بعد المقابلة الأولى ،

- عدم الاستقلال الشخصي عن الأسرة . وهذه المشكلة تسبب ألما للأبوين ، حيث يبقى الشاب والشابة معتمدين على آبائهم حتى سن متقدمة تزيد على الثلاثين عاما ، وهذه الظاهرة لا يوجد في العالم الغربي. حيث يعتمد الشاب أو يبدؤون ذكورا أو إناثا بالاعتماد على أنفسهم وهم في سن الثالثة عشرة أو أقل قليلا بسنوات. ويبدأون بالقيام بمشاريع تجارية ، بيع وشراء وتقديم خدمات ومشاركات خيرية ورياضية تخلق فيهم صفة التعاون والصبر والمجاملات المقبولة سلوكيا .

- وحب الأنانية للنفس ، الاهتمام بالأسرة أولا قبل العشيرة أو القبيلة ثانيا جعل الناس يحبون ما يملكون في حدود بيوتهم والدفاع عما يمتلكون وعدم الاهتمام خارج دائرة تفكيرهم نحو أسرهم.

- والعدوانية في المشاعر للغريب المختلف لغة أو لونا أو ثروة. فالأنانية تخلق نوعا من العدوانية تجاه الآخر، وكان لتواجد عدد من الأوطان عدوانية تجاههم ، فكانت حزازات بين القرى والمدن والدول تؤدي إلى العداوات المشاعر السلبية لكل ما هو غريب .

- وعدم النظر إلى الأمام والتخطيط للمستقبل . وهي سمة للعربي منذ قرون مضت ، فهو يعيش ليومه دون النظر لمستقبله ، وتلك الشخصية تربت وترعرعت على فهم أن الغيب في علم الله ، والمكتوب على الجبين تراه العين، والمكتوب مكتوب ، فلم التخطيط إذن؟ وهي صفة فهمها الناس خطأ للأسف، فالغيب من علم الله ، نعم، ولكن الحديث الشريف يحث على العمل من أجل المستقبل والتخطيط له ، حيث يقول الحديث الشريف: "أعمل ليومك كأنك تعيش أبدا وأعمل لأخرتك كأنك تموت غدا". أو كما قال، فالموت والحياة والساعة (يوم القيامة) من علم الغيب، ولكن التخطيط للزراعة والحصاد والعلم ومكابدة الظلم والاستعباد في الحكم السياسي ليست من علم الغيب. وإنما هي مهارات تكتسب بالعلم والعمل معا . (1689 كلمة)

www.arabamericanencyclopedia.com

الدكتور [حسن يحيى](#) ، كاتب عربي أمريكي ، أستاذ سابق في علم الاجتماع ، مؤلفاته تفوق [التسعين كتابا](#) بالإضافة إلى مئات المقالات باللغتين.

عرب اليوم والتاريخ
للدكتور حسن يحيى

الحكاية 37 : عرب اليوم والتاريخ ، من كتاب [حكايات من أمريكا](#) للمؤلف .

الكتابات الموجودة في الأسواق الأدبية والثقافية في بلاد الأعراب اليوم لا حصر لها ، فهي ردود فعل على ما يحدث في العالم العولمي ، وهي لا تحسم أمرا ، ولا تساعد على اجتياز الهوية بين ما ينادي به المثقفون وبين واقعهم المرير المتقهقر في عالم حقوق الإنسان ، ولا تحقق هدفا حقيقيا يساعد على النهوض من غفوة التاريخ . فهناك صراعات قائمة حول الهوية ، وحول العلاقات الدولية ، وحول الحضارات وحول الدور الأمريكي في صقل العولمة ، وحول الماضي التليد للطامعين في احتضانه في أحلامهم .

وأنا أسأل المثقفين العرب حول الصراع على الهوية : هوية من ؟ هوية المواطنة أم هوية الدولة ؟ أم هوية الدين أو الوظيفة ؟ أم هوية الغني وهوية الفقير ؟ أم هوية العالم أو الجاهل ؟ أم هوية الرجل أو المرأة ؟

أما عن الحضارات فسؤالي للمثقفين العرب : حضارة الشرق أم الغرب؟ حضارة الماضي أم الحاضر ؟ حضارة الجهلاء أم العلماء ؟ حضارة المرأة أم الرجل؟ حضارة الليل أم حضارة النهار؟ حضارة الأغنياء أم الفقراء ؟ حضارة من يملك أم من لا يملك عناصر الحضارة؟ أما حول أمريكا والعولمة فيباني للمثقفين العرب: أننا لن نؤثر في أمريكا ، ولكن نستطيع مصادقتها والاستفادة من تقدمها العلمي والمعلوماتي على أسس جديدة ، ومن هذه الأسس عدم التشبث بالدين كأساس للتعامل معها ، فكل منا له دينه ومعتقده ، والتسامح في قضية التقاليد والعادات ، والتخلي عن الأنانية في الحكم والتحكم الرئاسي والتخلي عن العصبية الجاهلية والقبلية في الحكم على الآخرين .

أما حول الماضي التليد فلن يعود ناصعا كما كان أو قريبا منه ، فالدعوة للعودة إليه ما هي إلا إلهاء للعقل وخروج عن المنطق ، فالجهل السائد سبب يثبط العزائم في تحقيقه ، فلا حضارة لنا فتجمع بيننا ولا ثقافة لنا فتوحد مشاعرنا ولا دين لنا يهدينا بعقيدة سرمدية ، ولا وطنية تجمعنا حولها ولا تراث تلتمح به علاقاتنا ، ولا عرق يسود في أراضينا ، وليس لدينا شيء من ذلك كله إلا فئات من كل لا يسمن من جوع ولا يحمي من خوف ، فلا هوية لنا ، ولا

أيديولوجية ولا استراتيجية حتى تدعم مطالبنا وتطلعاتنا إلى الماضي التليد . وصورة الشرق العربي والمسلم عند معظم الشعوب في العالم وخاصة في الغرب أنه فاسد ، جاهل ، فاسق ، غير إنساني ، دوني ، ديني متعصب ، منحرف متوحش ، متأخر في الفكر والعقيدة والتراث وطريقة المعاش والمعارف الإنسانية وحقوق الإنسان وأنه أخيرا أو باختصار كائن عدواني للبشرية والحضارة العالمية . وهي الصورة النمطية الواجب الوقوف أمامها ومجادلتها بواقع جديد وبراهين ساطعة ، وابتكار جديد في التعامل والحياة على أسس العدل والمساواة والحرية ، وهي من الشروط الواجب التسلح بها بالإضافة إلى ما يأتي: لا بد من التسليم بالهزيمة في عصر يملك المعرفة والتكنولوجيا ، فالركود وعدم التغيير أفتان في العالم المقدس ووسائل استبداده بالعقول ، وهما من أسباب التخلف ، وعدم التباهي بالجهل والتبادل الدبلوماسي الطامع في ثروات الشعوب واستعباد الحكومات ، ومحو ما سببه كتاب الأصفهاني من تصوير الماضي التراثي والسياسي والاجتماعي المعنون "ألف ليلة وليلة" عن هارون الرشيد ، في التصور الغربي ، والبحث عن وسائل الإنتاج الصناعي والزراعي والتكنولوجي وتطبيقها بناء على تحديد مصادر ثروات الشعوب والعدالة في توزيعها ، لأن الظلم في تحقيق العدالة في مسألة المال والثروة يهلك الممالك ويزيد الاضطراب ويفشل الوحدة بين الأفراد والجماعات والدول ، ونقد الذات بطرق منطقية لا عاطفية ، وعدم التباهي كثيرا بالتقدم الغربي والاعتناق من ربق الكنيسة ، لأن الأخلاق يجب أن تسود وأن تطبق دو خوف أو ندم ، والنظر إلى النفس الفردية والوطنية والعمل على تقويتها بالعلم والمعرفة والتحكم في الثروات والبعد عن الأنانية والتعصب فيهما ، وعدم النظر إلى الحرية وحقوق الإنسان وكأنهما زنديقين دخيلين على الشعوب يستحقان الإعدام والسحل والنفي من أرض العروبة والإسلام ، عندها نقول أننا في طريقنا إلى مستقبل يدعو للفخر والرضا نفسيا واجتماعيا وسياسيا وحضاريا .

*** من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#). وتجدونه أيضا [هنا](#).

أخلاق وقيم الماضي والحاضر

دقيقتان مع [الدكتور يحيى](#) - 11/Dr. Yahya with Two Minutes
الحكاية الثانية والعشرون : من كتاب [حكايات من أمريكا](#) للمؤلف.

هذه الحكاية حصلت في الغرب الأمريكي مع بداية هذا القرن. يقال أن رجلا وزوجته وأولاده كانوا يعيشون بعيدا في مزرعة في ولاية كاليفورنيا. وكان عندهم بقرا وخبولا كثيرة . وفي أحد الأيام ورد عليهم ساكن جديد قرب مزرعتهم وهو مثلهم عند غنم كثير وبقرة واحدة. فذهب الرجل مساء الى الجار يرحب به ويدعوه الى العشاء فقام الساكن الجديد بالتعذر ورفض دعوة الداعي. وخرج الرجل مكسور الخاطر عائدا الى بيته. ونهض الساكن الجديد مبكرا في الصباح وتوجه الى الأسطبل حيث كانت البقرة ليقدّم لها طعاما ويقوم بحلبها. الا أنه فوجئ بالبقرة مذبوحة وقد علقت بجانبها ورقة مكتوب فيها: هذا جزاء من يرفض دعوة جاره للعشاء. كانت هذه مروءة أيام زمان فكيف أصبحت اليوم؟

أمريكا اليوم في معظم المدن يكاد يموت الانسان في الشارع ولا يتقدم منه أحد لمساعدته أو لطلب المعونة له. وقد حصل يوما أن رجلا كان يتعقب فتاة في نيويورك وبدأ بطعنها بسكين يحملها وكانت تهرب منه في كل مرة وهي تصيح تطلب النجدة . وكلما أمسك بها قام بطعنها فتهرب منه من جديد، وكان الناس في الشبائيك يتفرجون على ما حصل دون أن يحاول أحد أن يتصل بالبوليس أو يشعر بالانخوة فيهب لمساعدتها علما بأن مطاردة الرجل للمرأة أستمرت أكثر من نصف ساعة طعنت المرأة فيها أكثر من ثلاثين مرة حتى أسلمت الروح والناس يتفرجون. وقد جعلت كثيرا من الشعب الأمريكي وخاصة علماء الاجتماع أن يتساءلوا ماذا حصل في أخلاق هذا المجتمع الذي لا يشعر الناس فيه بروح الأخوة والانسانية ويتسمون فيه باللامبالاة وبرودة الأعصاب. فما رأي القارئ في هاتين الصورتين من المجتمع الأمريكي؟

لمعرفة المزيد والحصول على هذه الحكايات (75 حكاية) أحصل على كتاب [حكايات من أمريكا](#) للمؤلف.

دقيقتان مع الدكتور يحيى - Dr. Yahya/15
الحكاية 36 : التعصب والتراث ، من كتاب حكايات من أمريكا للمؤلف.
التعصب والتراث - Culture and Prejudice

التعصب هو الحكم على الآخرين من البشر دون برهان مناسب ، لذا فهو خطأ جسيم يرتكبه الناس شرقا وغربا ومتوسطا ، وإذا تحكّم التعصب في مجموعة من الناس كانت نتائجه خطيرة بقدر قوته ، ومن الشائع عند البشر أن التعصب ينشأ من الخبرات القليلة التي تملكها الأقليات عادة عن المجموعات الأخرى في مجتمع ما ، ومن هذه الخبرات حب المشابه وكرهية المخالف في الدين والتراث واللون والعرق وحتى السياسة . وهناك سؤال يطرح نفسه : هل تقل العصبية بين الناس مع الزمن أم تزيد؟ ويقال جوابا على السؤال أن العصبية لجهة معينة كوطن أو دين أو لون أو جنس من الصعب التخلص منها نهائيا ولكن هناك عناصر إذا توافرت ساهمت في تقليصها ، كالتعليم والسفر ومعرفة الآخرين والتعايش الحر في المجتمع . ومن الضروري أن نحدد العوامل والدوافع المحركة لبقاء التعصب ، حيا رغم الجهود المخلصة لتقييم الحقائق حول ما تعتقده الشعوب والمجموعات بأنه خاص بهم . فالتعصب للعروبة والإسلام مثلا أو تجاه السود واليهود من الصعب التخلص منه ولكن ليس من الصعب تقليبه مع الزمن نظرا للبيئات المختلفة التي يعيش فيها الناس ، من الناحيتين البيولوجية والجغرافية ، أو من ناحية العقيدة والعادات ، رغم أن المتعلمين يحاولون أن يكونوا منفتحي العقل في الحكم على الآخرين كبشر حسب مميزاتهم وصفاتهم ، لأن الناس عادة ما يفحصون ما يعتقدونه بأساليب وطرق غير سليمة ، فتنتهي إلى نتائج سلبية متحاملة على الطرف الآخر .

وقد قام الباحثون من علماء النفس وعلماء الاجتماع بعدة تجارب لقياس مدى التعصب ومدى التغيير الإيجابي فيه مع الزمن . ومن هذه البحوث أنهم عرضوا على مجموعة من الشباب صورة امرأة جميلة وطلبوا منهم الاتصال هاتفيا بها وكانت توقعاتهم قبل أن يبدأوا الحديث معها أن صاحبة الصورة ستكون فتاة اجتماعية وشخصيتها مرحة وأنها جذابة ، ثم عرضوا على مجموعة أخرى صورة امرأة ليست جذابة بل عادية أو أقل من العادية (أو قل قبيحة) على نفس المجموعة فكانت توقعاتهم أن صاحبة الصورة لها شخصية معقدة وأنها جديّة

وليس اجتماعية ، وكان الباحثون يريدون أن يكتشفوا كيف تكون المكالمات الهاتفية مع هاتين السيدتين وما أثر الصورة على في طريقة الحديث بناء على ما اعتقدوا بعد مشاهدة الصور ، فكان المتحدثون مع " المرأة ذات الصورة الجميلة " يتكلمون بدفء وحرارة وصدافة ، ويغلب على حديثهم الفكاهة وكأنهم يعرفون بعضهم من مدة طويلة وكانوا يحاولون زيادة الوقت في الحديث . أما المجموعة الثانية التي تكلمت مع " المرأة صاحبة الصورة القبيحة " فكان حديثهم بناء على توقعاتهم باردا وجافا وهم محافظون في حديثهم ويشعرون بحرج ، وقد احتاروا في اختيار الكلمات للحديث وكانت المكالمات قصيرة ، وق تم عكس الصور للمجموعتين فكانت النتائج متقاربة كما كان متوقعا ، وأضاف العلماء لمجموعتي الشباب مجموعتين من النساء ، وأجروا عليهن نفس التجربة وعرضوا عليهن صورتين لشباب حسن الطلعة باسم وصورة شاب عادي لا تبدو عليه السعادة فكانت النتائج قريبة من نتائج الشباب الرجال ، ولمعرفة مدى التعصب وأثره في المقابلات للوظائف أجرى العلماء أيضا بحثا على أشخاص بيض قاموا بمقابلة أشخاص بيض مثلهم مرة ثم قابلوا أشخاصا من لون مختلف عنهم فوجدوا أن البيض كانوا أقل حرارة وصدافة مع السود وكانت مقابلاتهم أقصر من مقابلات السود ، وعكسوا الصورة أمام أشخاص سود قابلوا أشخاصا بيضا وسودا ، وقد سجلت المقابلات بالفيديو لمراجعتها وفحصها فحصا دقيقا ، ولم تكن هناك فروقات بالنسبة لكل المجموعات إلا من حيث عنصر التعليم فكانت المجموعة الأكثر تعليما من الذين أجروا التجربة في كل المجموعات أكثر تسامحا مع الآخر وكانوا لطيفين في المكالمات أو الحديث ، بعكس المجموعات ذات المستوى الأقل في التعليم . ولكن التعصب كان موجودا بين الجميع انما اختلفت مستوياته ، فالتعصب للون أو دين أو جنس هو حقيقة واقعة ولكنه من الصعب التخلص منه نهائيا . لأن النمطية التي تتغلغل مع السنين في فكر الإنسان في بيئته الاجتماعية وتصرفاته تلعب دورا هاما في تقبل الآخرين أو رفضهم ، لذا لو قابل عربي يهودي أو العكس لوجدنا فروقا متقاربة في النتائج حول المجموعتين ، ولظهرت الكراهية المبطنة عند الفريقين عند الحكم على الآخر ، فالمعلومات والخبرات التراثية والعادات والتقاليد المعطاة أو المخزنة في العقل البشري عن الآخرين تؤثر تأثيرا مباشرا على عصبية البشر وحكمهم على الطرف الآخر .

ما الطريقة أو الطرق لتقليل التعصب في مجموعة من الناس سواء أكانوا ذكورا أم إناثا ، كبارا أم صغارا ، سودا أم بيضا عربا أو يهودا أو نصارى ؟ أعتقد أن التعليم أمر مهم ، والمعرفة وتعدد الخبرات الشخصية والسفر والتعايش مع الغير تدعو كلها إلى فهم الآخرين والتعايش معهم بأقل مستوى من العصبية والتعصب . فالفهم المتبادل بين أي فريقين (شعوبا ، منفردين ، أو مجموعات) يقلل من التعصب ويزيد من التفاهم والتعايش مع الغير والتقدير المتبادل لكل تراث مهما بدا غريبا أو مألوفا ، قريبا منا أو بعيدا عنا ، وهذا في اعتقادي يجب أن يكون من أهم أهداف التعليم في أي بلد شرقيا كان أم غربيا أو متوسطا في هذا العالم الصغير . وللكتاب نظرية علمية في هذا المجال بعنوان النظرية القمرية أو Crescentology، حيث كتبها في كتابين بالإنجليزية وكتاب بالعربية عن طبيعة البشر عند الأقوام .

*** من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#) . وتجدونه أيضا [هنا](#) .

حرية المرأة

دقيقتان مع [الدكتور يحيى](#) -4/Two Minutes with Dr. Yahya

الحكاية الثامنة: من كتاب [حكايات من أمريكا](#) للمؤلف.

كثر الحديث مؤخرا عن حرية المرأة الذي تنادي بها الدول المتقدمة صناعيا وتنحو باللائمة على المجتمعات التقليدية بأنها لا تحترم المرأة وتجردها من حقوقها دون أن تقارن وضع المرأة في مجتمعاتها مع المجتمعات الأخرى. فقد ظهرت مؤخرا دراسة طبية حول ضحايا الاعتداءات من النساء في المجتمع الأمريكي مما يسمونه (Domestic abuse) وقد كان من نتائج الدراسة أن امرأة من كل ثلاثة نساء كانت ضحية للاعتداء القاسي. وأن نصف النساء في أمريكا قد اعتدي عليهن قبل بلوغهن سن الثامنة عشرة. وقال خبير في أبحاث الأستفتاء (Surveys) أن نتائج الدراسة جاءت متفقة مع التقديرات الأولية لحجم الاعتداءات على النساء. وقد ضمت الدراسة التي قامت بها جامعة جون هوبكنز عن طريق كلية الطب في بلتيمور 1952 امرأة بالغة كما غطت فترة زمنية بين فبراير ويوليو من عام 1993. وقد ساعد فريق البحث عدد من الممرضات المدربات على طرق البحث بطريق الاستفتاء. وقد تم توزيع الاستفتاء على النساء اللواتي يأتين للمعالجة كضحايا لاعتداءات شخصية من قبل آخرين. وكان من الأسئلة التي طرحت على النساء اذا ما كانت ضحية اعتداء جنسي أو شخصي ومتى كان ذلك بالإضافة الى أسئلة حول حالتهم الصحية والنفسية الحالية. وقد زاد الاهتمام مؤخرا بقضية الاعتداء على النساء وقامت الجمعيات النسائية باثارة الموضوع بعد براءة اللاعب المشهور أو. جي. سيمبسون من تهمة قتل زوجته نيكول وصديقها جولدمان. كما قامت كثير من البرامج التلفزيونية باستضافة نساء تم الاعتداء عليهن واستضافة من قام بالاعتداء عليهن وتحليل الظاهرة علنيا. وقد علق أحد المشاهدين على الظاهرة فقال: انما الأمم الأخلاق .

*** من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#). وتجدونه [هنا](#) أو [هنا](#).

باب النجار مخلع

دقيقتان مع [الدكتور يحيى](#) - Two Minutes with Dr. Yahya/5

الحكاية التاسعة: من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#).

يقول المثل الشعبي: باب النجار مخلع. وهذه الحكاية عن مستشار في حل مشاكل الغضب بالمفاوضات لم يتماسك نفسه حين أفلت منه زمام الأمر فقام بضرب أحد طلابه الذين يحضرون درسا له في ضبط النفس. والسبب أن الطالب قد حضر الى الفصل وهو مخمور. وقد حصلت الحكاية في الولايات المتحدة. وكان من آثار الحادث أن الطالب المضروب اعتبر معطل الدماغ من جراء الضرب المبرح من المستشار المتخصص في ضبط النفس واسمه شارلز ماهوكا. وقد كان المدرس تحت التجربة لاعتدائه من قبل على شخص آخر. وقد تم القبض عليه كمشتبه به لضربه ميغيل غونزاليس في إحدى الجلسات التي كان هدفها التحكم في المزاج عند الغضب وضبط النفس. وقال شاهد عيان أن ماهوكا وعمره 39 عاما قام بلطم غونزاليس فرماه أرضا ثم بدأ يركله ويرفسه عدة مرات وهو على الأرض. ولم يتوقف عن الركل رغم تدخل المشاهدين للحادث. ويقال أن مستشار ضبط النفس فقد أعصابه كان مخمورا هو الآخر فلم يسمع كلام الحاضرين الذين طلبوا منه التوقف عن ضرب غونزاليس. أما غونزاليس فقد كان يحضر هذه الجلسات للتحكم بأعصابه عند الغضب بأمر من المحكمة التي قضت عليه بحضورها لأنها أدانته في حادث اعتداء بالضرب على صديقته. فنال عقابه بالضرب المبرح من أستاذه الأقوى منه والأكثر غضبا والأكثر سكرا.

*** من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#). وتجدونه [هنا](#) أو [هنا](#).

الطفل الذي طلق أمه وأبيه

دقيقتان مع [الدكتور يحيى](#) - 6/Yahya/Dr. Two Minutes with

الحكاية الحادية عشرة: من كتاب [حكايات من أمريكا](#) للمؤلف.

هل سمعت بقصة طفل طلق امه وأباه؟ أخيرا حصل غريغوري على أمنيته في الأسبوع الأخير من سبتمبر 1992. فقد حكمت محكمة أورلاندو في فلوريدا بالسماح لغريغوري أن يعيش مع العائلة الجديدة التي تبنته. وقد كان الحكم ضد والدي الطفل الذين حرما من رؤيته بأمر المحكمة. وحكاية غريغوري شفافة وحزينة، فمنذ أن كان في الرابعة من عمره وهو يدخل بيتا ويخرج من بيت لايواء الأطفال (Foster Family) ولم يقض سوى أشهر قليلة مع أمه خلال السنوات الثمانية الماضية. وقد أدلى غريغوري بتفاصيل عن علاقة أمه به ، فهي كما قال لم تتصل به حتى بالتلفون ولم تقم بزيارته ولم تكتب اليه، وقال بمرارة: اعتقدت أنها نسيت أن لها ولدا اسمه غريغوري كما أنه لا يتذكر أباه سوى أنه خرج من البيت مرة ولم يعد اليه بعدها. وقد نالت قضية غريغوري اهتماما خاصا وكبيراً على مستوى الولايات المتحدة فهي تعتبر أول قضية يقف فيها ابن في محكمة يطالب بحقوقه قانونيا ويطلب طلاقه من والديه ويرجو انتزاعه من أمه وأبيه الحقيقيين واعطائه الى أبويه بالتبني. ورغم أن هناك قوانين مرعية حساسة وجدت لحماية حقوق الأطفال أمام سوء معاملة أبويهم الا أن قضية غريغوري اعتبرت شيئا جديدا، فماذا تعني؟ انها قضية انتصر فيها المطالبون بحقوق الأطفال فهم منذ زمن طويل يطلبون من الولاية أن تتدخل عن طريق المحاكم في تقييم شؤون الأسرة وخاصة في الأسر التي تعامل أبناءها وبناتها معاملة لا أنسانية ولا أخلاقية خاصة حين يحصل الضرر على الأطفال. كما أنها بالمقابل قضية تعني فشل مؤسسة العائلات الراحية للأطفال التي تأخذ وقتا طويلا لتساعد الأطفال المحتاجين للرعاية، لأن أهم وظيفة تقوم بها المؤسسة هي اعادة توحيد الأسر وإيجاد بيوت تسودها المحبة والهدوء والاستمرارية للأطفال في أسرع وقت ممكن قبل أن يضيع الأطفال ويسبق السيف العذل كما يقال . كما أن قضية غريغوري (أو شون روص وهذا اسمه الجديد) قد أخذت ثمانية أعوام طويلة لتصل أخيرا الى حل. ولكن هناك أطفالا كثيرين مثله قضوا مدة ربما أطول في رعاية الولاية

أو حتى لم يجدوا بيتا يلهم ويرعاهم، فالمشكلة عامة في كل ولاية ومن أهم نتائجها أن تمردا جديدا من الأبناء ضد آبائهم قد باركته الدولة ودعمته المحاكم في الولايات المتحدة ... فهل هناك من حل لتقوية روابط الأسرة بدلا من تفتيتها. لعل وعسى .

*** من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#). وتجدونه [هنا](#) أو [هنا](#).

دور العلاقات العامة

دقيقتان مع [الدكتور يحيى](#) - 12/Dr. Yahya
الحكاية السابعة والعشرون: من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#).

العلاقات العامة هي تلميع وتسويق سمعة شخص أو مؤسسة باستعمال وسائل الاعلام من جرائد واذاعة وتلفزيون ومشاريع أبحاث. فإذا كنت باحثا علميا في الولايات المتحدة فقل لي الى أي حزب سياسي تنتمي أقل لك ما هو الهدف من أبحاثك وعلاقتها العامة مع الشعب. هكذا وببساطة. فان كنت من منسوبي الحزب الجمهوري فانك من طبقة الأغنياء أو من المتطلعين لتكون من طبقتهم أو أنك أداة طيعة في أيديهم. أو أنت صاحب عمل تستخدم رأسمالك لاستعباد العباد فيما يسمى بالوظيفة. أو أنك صاحب أملاك ورثتها عن جدك أو أبيك وحولك من العمال والمديرين والطباخين والكناسين من يعينك على ادارة تلك الأملاك واستثمارها لصالحك. فإذا أردت دعم سياساتك وتبرير أفعالك التي تتنافى مع الذوق العام ودحض آراء غيرك من معارضيك فانك تقوم بمنح مبلغ من المال لمجموعة من معاهد الأبحاث أو لعلماء معروفين بصيتهم في اتقان الابحاث لتوكيد وجهة نظرك وتشتترط على المعهد أو الباحث العبقري أن تكون النتائج في صالحك وصالح سياساتك التسلطية التي تعود بالنفع عليك وعلى أمثالك من أصحاب رؤوس المال أو أصحاب الممتلكات أو الأغنياء في حزبك. ونظرا لأن المال له علاقة مباشرة في العملية فانك تدفع بكرم زائد الى المؤسسات الاعلامية من اذاعة وتلفزيون وجرائد لنشر موجودات البحث واستئجار علماء معروفين لمدح تلك الموجودات التي تم التوصل اليها عن طريق البحث العلمي المحايد. وقد حصل ذلك في عهد الرئيس السابق جورج بوش. حيث قام حزبه الجمهوري بدعم بحث بين الأمريكان فبين أن نسبة كبيرة من الامريكان من الأغنياء وأنهم سعيديون في حياتهم وأن أمريكا أفضل الأماكن في العالم. وقد تم اختيار العينة من عدة مناطق يسكنها الأغنياء في فلوريدا وكاليفورنيا وتكساس وتمثل فئة الأغنياء فقط في هذه الولايات. وأعطى البحث لمؤسسة

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

معروفة بذمتها (العلمية) فكانت نتائج البحث لأمعة ومؤيدة للرئيس مائة بالمائة وقد قام بإعلان النتائج عن طريق وسائل الاعلام وهو فرح بها كما اتخذها ذريعة لدعم إعادة ترشيحه للرئاسة. وكان من أهم المعارضين لتلك النتائج أعضاء الحزب الديمقراطي فماذا صنعوا؟

قام الحزب الديمقراطي بعمل بحث خاص به مع تغيير مكونات العينة حيث ضمنها عددا من الفقراء الذين يسكنون في الأحياء الفقيرة في كل من ديترويت وواشنطن وشيكاغو وعددا آخر من الولايات الأمريكية. وكانت نتائج البحث بعكس نتائج البحث الذي قام به الحزب الجمهوري. وبهذا أثبت الحزب الديمقراطي أن في أمريكا نسبة كبيرة فقيرة وأن ليس كل من يعيش في أمريكا غنيا أو أنه سعيد في حياته. وقد قام الحزب الديمقراطي أيامها بنشر نتائج أبحاثه وعارض الرئيس كما عارض حزبه فيما توصلت إليه أبحاثه .

ونخلص من هذه الحكاية الى أن الأبحاث لها دور خطير. وأن على العلماء أن يعوا هذا الدور فلا ينفادون خلف سياسات أو أيديولوجيات معينة والافقد العلم أهم مميزاته في عدم الانحياز والثبات والثقة بين الناس ودخل في حيز العلاقات العامة. وعلى العلماء عند تحليل المعلومات أي يكونوا على وعي تام ومقدرة علمية فائقة حتى يكونوا محايدين في وصف نواقص البحث أو الطريقة التي تم فيها أو العينة التي تم اختيارها أو الهدف الذي قام البحث من أجله وعن درجة الثقة المؤوية التي يحاول البحث التوصل اليها. وكلها نواقص في البحث العلمي الحديث. وفي كثير من الأحيان نسمع عن استفتاءات سياسية حول الثقة بالرئيس أو الثقة بالاقتصاد أو عن مستوى المعيشة في بلد ما وعلى القارئ أن يحرص على موازنة الأمور في مثل هذه المعلومات وأن لا يصدق ما يقرأ دون تحليل ومقارنة ووعي.

ملحوظة للقراء : مجموعة المقالات من 1 إلى 27 كتبت في الفترة من 1982 إلى 1990 .

*** من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#). وتجدونه [هنا](#) أو [هنا](#).

دقيقتان مع [الدكتور يحيى](#) - 13/Dr. Yahya with Two Minutes

الحكاية الثلاثون: اليانصيب ، من كتاب [حكايات من أمريكا](#) للمؤلف.

قال : لقد ربحت هذه المرأة ثمانية ملايين دولار في اليانصيب ، أنظر إليها تضحك بأعلى صوتها ، بالأمس لم تستطع شراء فستان لابنتها من السوق لأنها لا تملك اللازم له ، وتساءل الجالس بجانبها في المطعم : هل تلعب اليانصيب كثيرا؟ لا أبدا ، اشترت تذكرة يانصيب لأول مرة في حياتها . ولكنها لم تشتت تذكرة الدولار الواحد وإنما ضاعفت المبلغ خمس مرات ، حيث كلفها ذلك خمس دولارات . ولكن يبدو عليها أنها امرأة طيبة ، قالت سيدة تجلس مقابل مكاني ، وعادة الفقراء لا يربحون مبالغ كبيرة ، ولكنها هذه المرة ربحت . ليبتني اشتريت تذكرة مثلها ، وكيف ستحصل على المبلغ قالت المرأة التي تجلس خلفي، قلت: تصوري أنها ستلقى مبلغ 350 ألف دولار شهريا لمدة عشرين عاما . قلت: لن أقوم بالتدريس في الفصل القادم ، ماذا تعني ؟ وقال آخر : سأتوقف عن الكتابة بعد اليوم ، قلت أعني أن هذا المبلغ سيكفيها هي وأنا وابنتها . وسنسافر إلى كل أنحاء العالم ، فقالت المرأة من خلفه ، ومن أنت حتى تقول ذلك ، قلت حبيبها ، فسمعت المرأة الراححة لليانصيب ما قال الرجل ، فابتسمت وهي تقترب منه قائلة : ولكنك بعد اليوم لست حبيبي ، فأنا لا أعترف بك.

*** من كتاب [حكايات من أمريكا](#) للمؤلف. وتجدونه [هنا](#) أو [هنا](#).

حضارة الكمية وحضارة النوعية

Hasan Yahya, Ph.Ds

الدكتور [حسن يحيى](#)

ظاهرة الاحتفاء بالكلاب والقطط والقروذ ومسابقاتها والصرف عليها بملايين الدولارات ، وظاهرة المزايدات للخيول واللوحات ومقتنيات المشاهير من الملابس والقلائد والهدايا ، والتباهي بتملك الأطيان والأبراج والقلاع ، والتسابق في رفع البنيان وحياة الترف بين أصحاب الملايين والبلايين ، ونشر الفساد والطمع في أقوات الفقراء بالمنافسة غير الشريفة ، والحض المباشر والمبطن للابتعاد عن لب الدين ومكارم الأخلاق ، ومنح السيادة للفاستدين والفساد ، والاعتداء الصريح والمبطن على الأمم الصغيرة لغرض السيطرة على ثروتها وطرق معاشها ، وتجسيد الاحتلال وتكريس الدبلوماسية الخادعة بين الدول ، كل ذلك سمة من سمات الحضارة عند البعض ، ولكنه عند غيرهم ظلم بين العباد ، وهو أي الظلم من أهم الأسس في اندحار وأقول الحضارات التي يتغنى بها أصحابها ، فالظلم يورد الندم كما كان الأمر عند الروم والفرس وغيرهم من العجم . وكما هو الأمر في الحضارات المعاصرة في الشرق والغرب رغم تفاوت الظلم وأنواعه بينها .

وللظلم صور شتى : فمنه التملك التعسفي للغالب من المغلوب دون تعويض ، والتحكم في الأرض واستغلال العباد في وظائفهم ورزقهم ، ومنه منع الحقوق عن أصحابها ، وكل مانع لحقوق الناس ظالم كمغتصبي الثروة من القلة ومن دار في فلكتهم . كل ذلك عائد على أصحاب الحضارات بخراب العمران عندهم ، فإذا استمر ذلك الظلم فإنه يندر بانقطاع النوع البشري . ومن ذلك : تدهور الأديان والعقيدة والتراث ، وانزلاق النفوس في الفساد والضلال واختلال العقول عند البشر ، وانحراف الأنسال عن أهدافها ، وإضاعة المال على توافه الأمور ، وبما أن مقاصد الشرائع تركز على العدالة بين العباد فيما سبق فإنها تعتبر من مقومات الحضارة وأسس استمرارها في كل زمان ومكان . فإذا زاد الظلم نقص الدين ، وطغت النفس وتاه العقل وانحرف النسل وذهب المال ، وكل من وجد أو سيوجد على الأرض فإنه غير خالد وغير دائم . وإن في قصص الغابريين ما يؤكد ذلك ولا يخرج عن

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

تأويله ، ففي قصة أوردها المسعودي عن الموبدان (فيلسوف عصره) في قصة طريفة عن حاكم الفرس وقصة اليوم . والقصة تقول أنه في أحد الأزمان كان ذكرا من اليوم التقى بأنثى اليوم عارضا عليها الزواج ، فطلبت أنثى اليوم مهرا لها وهو 20 قرية خربة في عهد الملك الهمام ، فوافق ذكر اليوم على الطلب بل زاد عدد القرى على ألف قرية خربة ، لأن الظلم قد بدأ ينتشر بين العباد في تلك المملكة . وكان له ما أراد فاندحرت حضارة تلك المملكة وتزوج ذكر اليوم من أنثى اليوم وعاشا في ثبات ونبات واحتفاء بسقوط آلاف القرى التي كانت تتباهى بحضارتها . فظن الملك لحكمة القصة فبدأ بإقامة العدل وكبح جماح الظلم بين العباد ولكن الظلم كان كبيرا فاجتاح العباد مراكز السلطة وتغيرت معالم الحضارة وأفل بريقها . فهل يحتاج أصحاب السلطان والقوة والجبروت لقصة كهذه حتى يغيروا مسارات بلادهم نحو إرساء قواعد العدل بناء ، وتطبيق المساواة في الثروة قانونا ، وتوكيد حقوق الإنسان مبدأ ، لا أعتقد ذلك ، فالجمال لا ترى عنقها الطويل. www.askdryahya.com *** من كتاب: عربي في أمريكا للمؤلف.

قصة أمريكية بحتة

الوهم القاتل

دقيقتان مع [الدكتور يحيى](#) - 14/Dr. Yahya
الحكاية 32 : الوهم القاتل ، من كتاب [حكايات من أمريكا](#) للمؤلف .

تخرجت سالومي من الثانوية العامة وكانت قد قررت الذهاب مع صديق لي لاكتشاف المجهول ، وكان المطر ينزل بغزارة وكأنه دموع تنهال على الخدود البيضاء، ووجهها ظهر كحبة الكمثرى الحمراء الناضجة ، وقد مكت حكايتها حيث حصلت على حبة صغيرة بيضاء من صديقها لمقابلة الاكتشاف الجديد للعالم ، فقالت: لقد وجهت تلك الحبة حياتي ، تلك الحبة التي حصلت عليها من طالب في كلية الطب مقابل النوم معه ، كنت قد طلبت منه حبة دواء تتيح لي أن أموت بطريقة هادئة ، أخذت الحبة ووضعتها في جيب الخلفي في المحفظة ، وخرجت مع صديق لي إلى البحر ، قلت له أريد شيئاً كبيراً يحتويني كالمحيط ، فأنا لم أعد أطيق الحياة ، جلسنا على الشاطئ وكانت الأمواج تكاد تصل أقدامنا ثم تعود أدراجها كأنها مربوطة بحبل ستارة في المسرح وتكرر الموجات ونحن جالسين على الشاطئ ، وتخيلن بحر الأم الذي يحتوينا قبل الولادة ، ويبدأ خلق الإنسان ، وتكون البداية ، شعرت بقلبي تملأه العواطف الجياشة ، ويعود قلبي فارغاً من المشاعر من جديد ، والأمواج كأنها تأخذ كل ما في أعماق معي وهي تعود إلى البحر ، وتخيلت نفسي أخطبوطاً مرة ومرة أخرى سمكة صغيرة ، ومرة ثالثة أرى نفسي سلحفاة ، أو حوت يطوف المحيطات ، كم هو جميل أن يتخيل المرء نفسه بأنه محيط كبير وعميق . اقترح صديقي أن نشعل نارا فأوقدنا النار فصارت أشعتها كالأفعى تتراقص في الهواء ، أنا وصديقي والنار في الليل ، ونحن نتمدد على الشاطئ ، ماذا يهمني من الناس ، منذ الخليقة حتى الآن ، لا شيء ، وأنا ممددة قرب صديقي الذي لا يتكلم دون أن تسأله ، قلت له :

أتدري مايك ، أن معي حبة تؤدي إلى الموت ؟

وهل تريد الموت حقاً ؟ قال مايك متهكماً !

نعم ، أنت تعرف أننا تناقشنا في الموضوع سابقاً ، فهي معي في المحفظة ، الحبة ليست فعالة ، قالها بدون اهتمام . " وهذه مجرد خدعة رخيصة "

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

ماذا تعني؟ ومددت يدي إلى جيبي الخلفي وأخذت الحبة بين يدي ثم قسمتها نصفين وقلت ، خذ نصف الحبة وأنا نصفها الآخر ، فلنمت وترك هذا العالم .

قلت لك أنها كذبة ، فالحبة ليست مميتة وهي مموهة وليست حقيقية . فلا تبدي السخافات .

أعطيت مايك نصف الحبة فأخذها بيده وانتفض واقفا ، وبدا أمامي كالطفل الكبير حيث لم تظهر عليه إمارات الرجولة ، صديقي منذ المدرسة الثانوية ، نظر إلي ثم وضعها في فمه وبلعها ، وارتمى على الأرض بجانبه ثانية ، ولم أكن أقل منه شجاعة وأنا أعرف أنها مميتة ، ووضعت النصف الآخر بين أسناني ، ثم بلعتها بعد لحظات . نحن مستلقيان على الرمل ، والنار تشتعل ، وصوت أمواج المحيط يأتي ويذهب ، ونحن مستلقيان وجوهنا تتجه إلى السماء ، رأيت القمر في أجمل صورته وهو بدر ، ساكن في وداعته وكأنه يحرسنا على الشاطيء ، كانت أشعة النار تنعكس على وجهه الملانكي ، ثم شرحت فيم يمكن أن يكون موتا بطيئا جميلا لطيفا عميقا ، وأغمضت عيني كمن يسلم أمره لملك الموت ، جاءت صورة أمي أولا ثم صورة أبي ثم صورة الشاب الذي أعطاني الحبة وهو يقول:

ستموتين دون أن تحسني بالموت . وأغمضت عيني ورحت في سبات عميق .

ولدهشتي صباح اليوم التالي كانت الشمس تلسع أجسامنا كشعاع الليزر يعيد الحياة للأموات ، شيء مضحك فعلا ، لقد صدق مايك ، فالحبة كانت مزيفة وخدعة ، وشعرت بالسعادة فجأة أني حية تنبض في عروقي الحياة من جديد وكأني ولدت من جديد ، اقتربت من مايك ودسست يدي في شعره الذهبي وكان قميصه مبتلا من الأمواج والرمل الرطب ، فتح مايك عيناه الزرقاوين ونظر إلى المحيط ، وأشعة الشمس تتحول إلى ملايين الأشعة كأنها تصرخ فينا وتقول:

- أنتم أحياء ، واقتربت من مايك وهمست في أذنه وقلت له : أنا ورثة خلقت من جديد ، وأنت الأرض التي تحتويني ، فهل أنت سعيد بالحياة بعد الممات ؟ وضحكنا معا والتقت عينانا وكأنا أطفال في دنيا الحياة .

*** من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#) . وتجدونه [هنا](#) أو [هنا](#) .

دقيقتان مع [الدكتور يحيى](#)

Two Minutes with Dr. Yahya/7

الحكاية الحادية عشرة: من كتاب [حكايات من أمريكا](#) للمؤلف .
الحكاية الثالثة عشرة

إذا كتب الله لك العيش في أمريكا فكيف تتصرف إذا طلب منك ولدك الصغير أن تشتري له كلباً؟ فبعد ثلاثة أشهر تقريبا من وصولنا الى بلد الحرية والمساواة (أمريكا؟) جاءني ولدي الصغير وعمره خمس سنوات فجرى بيننا الحديث التالي :

قال لي: أريد كلبا صغيرا، (وقبل أن أجيب، ابترني بسؤال آخر لتوكيد طلبه):
لماذا لا نملك كلبا مثل الجيران؟

فحرت في الجواب بل صدمت للوهلة الأولى ، وبدأت أعصر ذكائي للبحث عن أفضل طريقة لأجابته عن سؤاله دون أن أجعله يحس بالذنب فاهتديت الى طريقة مكافحة السؤال بطرح أسئلة حوله وتسلمت بطريقة الهجوم وهي أفضل وسائل الدفاع .

قلت: أليس للكلب مخالب وأسنان؟ قال: نعم.

قلت: ألا يريد الكلب طعاما وخدمة خاصة للعناية به؟ قال: نعم.

قلت: هل تستطيع العناية بالكلب؟ قال: نعم.

قلت وهل تسمح له بالنوم في سريرك؟ قال: نعم.

قلت: هل تستطيع أن تأخذ الكلب معك الى المدرسة؟ قال: لا.

وعندها وجدت العذر في اجراء مجموعة من الأسئلة التي تعطي اجابة النفي بدلا من الأيجاب ففعل وعسى نصل الى تبرير مقنع.

قلت: هل لدى الجيران أطفال في مثل سنك؟ قال: لا.

قلت: هل تستطيع السهر مع الكلب طيلة الليل؟ قال: لا.

قلت: هل يمكن لك أن تجد للكلب زوجة تعيش معه؟ قال: لا .

وحين وجد طفلي أن الاجابة بلا قد زادت عن حدها، واستشف أن فكرة اقتناء كلب قد اضمحلت. سكت ونظر الى المجهول كأنه يعصر دماغه فأعاد التفكير في فكرة أخرى وفجأة نظر الي بنظرة المنتصر وقال :
ما رأيك أن نربي فيلا؟

دقيقتان مع الدكتور يحيى

Two Minutes with Dr. Yahya/8 -

الحكاية الحادية عشرة: من كتاب حكايات من أمريكا للمؤلف.

يعتقد الكثيرون أن الغربية تخلق الرجال. ولكن أليس للغربة ثمن؟ (أحسن من الشرف مافيش) هذه الجملة ردها توفيق الدقن كثيرا في الأفلام العربية. وفي أمريكا ما زال العرب يؤمنون بها بل ويدافعون عنها. فاذا سألت أحدهم عن أمريكا قال: والله كبرت البنت ولا بد لنا من العودة الى الوطن محافظة على الشرف. فأحسن من الشرف مافيش. وما جعل الأب يقول هذا هو أن اختلاف التراث بين الآباء والأبناء يؤدي الى الصراع والتنازع والتنافر، خاصة بين البنات والوالدين. وقد حذر علماء الاجتماع كثيرا من اتساع الشقة بين الآباء والأبناء وهم يعيشون في الولايات المتحدة. فتراث الأب يختلف اختلافا كبيرا عن تراث الأبناء الجديد ، كما نصحوا الآباء بزيادة الوقت الذي يقضونه مع أولادهم قبل أن يصلوا الى الصراع معهم . فالتراث الأمريكي خادع بالحرية الزائدة والاعتماد على النفس والمعاملة اللينة للأولاد وتقطيع أواصر الأسرة فينخدع الأولاد والبنات ويعتقدون أنهم أصبحوا رجالا أو نساء يعتمدون على أنفسهم وأنهم يفهمون أكثر من والديهم الرجعيين. وأنهم مسئولون عن أنفسهم وهذه المميزات براقعة زائفة الا أن لها معاني خاصة عند الوالدين فالتراث العربي المشرقي يعتبر الفتاة والفتى صغارا حتى ينهوا دراساتهم أو يتزوجوا وهم يعتزون بهذا التراث الذي يقصد الأسرة ويقوي أواصر المحبة فيها ويبدل الوالدين كل رعاية للأبناء حتى يشبوا أصحاء جسما وعقلا. والوالدين سعيدين للقيام بذلك. ولكنهم يفاجأون حينما يبدأ الأولاد بالثورة على هذا الحنان الأبوي فالفتاة تريد الخروج والعمل واختيار أصدقائها بنفسها ، والولد يريد

الانتقال من البيت للعيش مع صديقه والعمل في وظيفة حقيرة تكاد لا تدفع سجائره. ويصعق الوالدان ويبدؤون بطرح أسئلة على أنفسهم متعجبين: لماذا حصل ذلك؟ وكيف حصل ونحن قدما ونقدم لهم كل ما يحتاجونه طيلة السنين؟ وأين الأخلاق وأين بالوالدين احسانا؟ وأين التربية؟ وأين؟

وقد حصلت هذه الحكاية مع مغترب عربي جاء من احدى القرى فكان يحكم بيته بالحديد والنار . وكان لا يسمح لابنته بالتحدث أو المشاركة في مناقشة حول سيئات المجتمع الأمريكي ولم يكن يعطيها الوقت الكافي ليعرف المشاكل التي تواجهها في المدرسة فقد كان أبا فظا بمعنى الكلمة. فقد حرم عليها الحديث مع الشباب وحرم اتخاذ صديقات لها وحرم عليها فتح جهاز التلفزيون وحرم عليها الاشتراك في نشاطات المدرسة وكانت الفتاة تبدو لوالدها ملاكا. ولأمها أشرف بنت في أمريكا. الى أن جاءت في أحد الأيام بعد بلوغها سن العشرين وقالت لأمها : لقد تزوجت يوم أمس من شاب فأرجو أن تخبري والدي وتطلبي منه أن لا يغضب. فثارت الأم وبدأت بالبكاء وبدأت بطرح عشرات الأسئلة دفعة واحدة. وكانت الفتاة تجيب على أسئلة أمها بهدوء. فقد تعرفت على الشاب عن طريق صديقتها التي كانت تزورها أيام الأحاد. وعندها كانت تشاهد التلفزيون والأفلام الفاضحة، ثم تعرفت بصديق صاحبها الذي عرض عليها الزواج وهو ليس على دينها. فقبلت لأنها تحبه وتهواه فهو جميل الطلعة ويحب شعرها المنسدل على أكتافها وقد ترك صديقه للزواج منها. وختمت الفتاة حديثها قائلة: سواء رضي أبي أم لم يرض فأنا سأعيش مع زوجي اعتبارا من اليوم وقد جننت لأخذ حوائجي وهو ينتظرني بسيارته أمام البيت. وقامت بتوديع أمها وحملت حقيبتها وخرجت. والأم تفتح فمها منبهرة بما ترى. وفي اليوم التالي خرجت الصحف تزيد من الأسى على الوالدين ونقول: أب عربي يقتل ابنته لأنها وقعت في الحب وتزوجت حسب اختيارها . *** من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#). وتجدونه أيضا [هنا](#) أو [هنا](#).

قام الكاتب بتحويل القصة إلى مسرحية باللغة الإنجليزية . بعنوان : *FBI STORM*

دقيقتان مع الدكتور يحيى

Two Minutes with Dr. Yahya/9 –

الحكاية السابعة عشرة: من كتاب حكايات من أمريكا للمؤلف.
محللات السوبرماركت في أمريكا للفرجة والتبضع. ولكن الجهل أحيانا غير مطلوب عند التسوق. هذه قصة حقيقية واقعية حصلت في إحدى الولايات الأمريكية، فقد جاءت امرأة مع زوجها المبتعث إلى أمريكا ولهما ولد وبنت ورضيع، ولم يمض على قدمهما سوى شهرين حتى عرفا من أين يشتريان حاجاتهما الغذائية اليومية، وحاجات الغسيل والملابس. وعاد الزوج يوما من الجامعة حيث كان في محاضرة له ففاتحته الزوجة وهي باشة الوجه بالخبر الطريف السعيد فقالت:

-هل تصدق أنني ذهبت اليوم إلى (السوبرماركت) واشتريت مواد الطعام، وخصوصا علب لحم وعلب سمك ملونة للأولاد.

فقال لها الزوج: هل قرأت ما عليها. أنا خائف أن تكون لحم خنزير.

فقالت له تقنعه: عليها صورة سمك. قصدك أنا ما أفهم.

وذهبت إلى المطبخ بسرعة وأحضرت علبتين ناولتهما للزوج، فبدأ يقابهما ويقرأ ما عليهما. ثم نظر إليها وقال بهدوء:

-عسى ما اشتريت كثيرا من هذه العلب؟!!

فقالت له: قلت لك أن عليها صورة سمك.

قال الزوج: (وهو يحاول ضبط أعصابه): هل أكل الأولاد منها؟

فقالت: لا ولكن أحضرت من هذه العلب ما يكفيهم على الأقل ثلاثة أشهر. ... انها علب تفتح بسهولة... وهي ملونة ورخيصة وعلبها تنزيلات.

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

فقال الزوج: ارميهم بالزبالة فوراً.
فصعقت الزوجة وصاحت: هل جننت ... نرمي فلوسنا في الزبالة؟
فقال الزوج: هل تعرفين ما في العلب؟
قالت (وكانها تتحزر): لحم خنزير! لحم فاسد! لا.... هذا غير معقول.
قال الزوج (شارحاً الأمر): لا انه طعام كلاب وقطط معلب.
*** من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#). وتجدونه [هنا](#) أو [هنا](#).

دقيقتان مع الدكتور يحيى

Two Minutes with Dr. Yahya/9 -

الحكاية الثامنة عشرة: من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#).

هل عندك ابن يريد أن يغير العالم؟ اذن اقرأ هذه الحكاية. روى لي أحد المغتربين العرب يوماً هذه الحكاية فقال: جمعنتي الصدفة بعد تخرج ولدي الوحيد مع زميل يعيش مثلي في الولايات المتحدة منذ أكثر من عشرين عاماً فقال لي:
-هل تعلم بأن ولدي سيغير هذا العالم!!
فسألته مستعجلاً:

-أي عالم تقصد؟

فتنهده وقال: هذا العالم الذي نعيش فيه.

فقلت له: وكيف ذلك؟ وما الذي جعلك تطلق هذه الدعاية لابنك؟

فقال: ان ولدي قد غير ثلاث مدارس خلال العام السابق، وغير ست فتيات (صاحبات) خلال الشهرين الأخيرين، وغير دراجته النارية مرتين خلال الأشهر الستة السابقة، وغير سيارته ثلاث مرات خلال العام المنصرم.

فقاطعته أسأله وقد زاد اهتمامي بالموضوع:

-على رسلك يا أخي هل ابنك موظف وقادر على ذلك؟

فوضع الزميل يده على جبهته ليمسح قطرات العرق المتساقطة وقال:

-أه ... ماذا أقول لك، فلقد سمعت عنه أنه يغير شغله وعمله كل اسبوعين .

فقلت (مستفسراً): كل اسبوعين؟ هل يطرد من عمله أم أنه مطلوب في السوق لخبرته وحسن أخلاقه ومعاملته لمن حوله؟

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

فقال الأب (بأسى وتأسف): لبيته كان صاحب خبرة أو حسن معاملة ، ففي كل مرة يخرج من عمله بعذر. فهذا لا يفهمه ، وآخر لا يعامله معاملة حسنة ، وثالث يتهمه بالخداع والغش ، ورابعة تغار من خبرته... وهكذا..

فقلت: لكن حتى الآن ... أنت لم تخبرني كيف سيغير ولدك هذا العالم؟
فقال: لقد طلب الاسبوع الماضي أن يغير أباه وأمه... تصور!
فقلت(مندحشا): يعني أنت وزوجتك؟

فقال الرجل: نعم .. نحن. بعد كل الذي صرفناه عليه ، وخدمناه حتى أصبح رجلا، يريد أن يغيرنا لأننا لا نفهمه ، أليس من يريد تغيير أمه وأبيه ، بمقتدر على تغيير هذا العالم الى الأسوأ؟!

ولم أزد عن تحريك رأسي أسفا وألما ... ثم قلت متمتما: اليس هذا مظهرا من مظاهر الحضارة الغربية المنحرفة التي نمدحها كل حين؟ قال: بلى .
*** من كتاب حكايات من أمريكا للمؤلف.

سياسة *Politics*

Israel, Enemy Number One or Seven for Arab Politics Today?

, Ph.Ds **Hasan Yahya**

للدكتور **حسن يحيى**

هذا حديث عاقل خال من الجنون والتخيلات . فتمتع بالقراءة ولا تحكم على المقال ولا على الكاتب حتى تنتهي من قراءته . ومعلومة للقراء فالكاتب غير منتم لحزب سياسي أو ديني ، حتى اجتماعي ، وشكرا . والحديث ليس عن إسرائيل بقدر ما هو عن أحوال العرب اليوم ونحن نرى تقاليد الحكم انتقل إلى الإسلاميين . وللكاتب وجهة نظر في هذا تعتمد الفحص والتمحيص والمنطق . فحكم الكنيسة ولي منذ زمن بعيد وفي بلاد العرب قد تكون (الكنيسة ورجالها الجدد) سببا في العودة بالشعوب والفكر والممارسة إلى القرون الوسطى.

هل إسرائيل العدو رقم واحد أو رقم سبعة في بلاد العرب؟ أم أن الظلم والطغيان العام في بلاد العرب هو العدو الأول ، وما إسرائيل سوى جزء بسيط في معادلة الأعداء والأصدقاء؟ ويتعرض الإجابة على السؤال إلى ظاهرة تولى الإسلاميين مقاليد السلطة والقرار من خلال اكتساحهم مجالس الشعوب في عدد من الدول ، ورغم أن الغرب وقف أمام الإسلاميين وأطاح بهم في الجزائر وفلسطين حتى بعد نجاحهم في الانتخابات نرى الغرب يفتح ذراعيه مبتسما بلقاءاتهم في عدد من الدول في أيامنا هذه .

وسؤال يحتاج منا البحث والتمحيص قبل الإجابة عليه. فالإجابات تختلف الآن كما اختلفت في الماضي وستختلف في المستقبل. فالبشر يختلفون في الزمان والمكان والعمر والجنس (ذكر وأنثى) والعرق والعقيدة . وكلها عوامل تساهم في الإجابة على السؤال في هذا المقال.

فتعريف إسرائيل لا يتعدى في الحقيقة العلمية وإن اختلف على التعريف ، بأنها دولة غنصرية الأهداف لأن من أهدافها تجميع اليهود في فلسطين وقيام إمبراطورية صهيونية تتجاهل الأقوام الأخرى ، وربما كان ذلك من سوء حظ العرب وخاصة سكان فلسطين أن تم اختيار فلسطين لتكون وطنا قوميا لليهود ، وهي فرضية ضعيفة، فالحظ لا مكان له أمام العقل والتحليل المنطقي ، والفرضية الأقوى أن قيامها كمن ضرب عصفورين بحجر واحد ، وأعني بذلك بتخطيط المستعمرين أنجليز وفرنسيين، ومنها أن يتخلص الأوروبيون (فرنسا وبريكانيا بالذات) من عقدة الذنب تجاههم بما فعله هتلر بهم أولا ، والتخلص من وحدة

العرب كعدوة محتملة قد تنهض من تحت الرماد فتشكل خطرا على العالم المسيحي مستقبلا ثانيا. وهذا العصفور الثاني ولد ميتا قبل أن يصل إليه الحجر ، وبما أن الغربيين مولعون بدراسة التاريخ فإنهم قرأوا عن تاريخ العرب في الجاهلية وما بعد الجاهلية (فجر الإسلام) وقاموا بالاستفادة من ذلك التاريخ العتيذ بل وطبقوه في تقسيم الدول العربية واستعانوا بالسيء في المرحلتين للسيطرة على مصادر البلاد العربية وتشطيرها إلى دول أضفيت عليها الشرعية كما تضيفى الشرعية على أبناء الحرام وأصبحت دولا تسيير جنبا إلى جنب مع الظلم والطغيان .

وكان منتهى ما أراه الغرب أن يرى العرب دولا وشعبا مشرذمة تهيم في عقائدها أنها خير أمة مع جهلها وإن ظلمت ، كادعاء اليهود الصهاينة بأنهم شعب الله المختار ، وكلا المبدئين مليء بالخلل العقلي نظرية وتطبيقا .

وبدأ الاستعمار بلباس قناع جديد ، يتناسب مع مرحلة تحرير الشعوب ، وكانت المناداة بالاستقلال السياسي للبلاد التي كانت مستعمرة من حيث النظرية ، ولكن عند التطبيق، كان المتعمر ينظر إلى مصالحه أولا قبل مصالح الشعوب التي تسعى للاستقلال، وكانت تنظر في وسائل التحكم بمن يحكم الشعوب، ولم تنظر إلى مصلحة الشعوب الطالبة بالتححرر. ومضت الخمسينات والستينات وأقبلت السبعينات من القرن الماضي ، وبدأت الشعوب ترى أن هناك خلا في الحكم على الأعداء ، فلم تعد إسرائيل هي العدو الأول، وكانت هناك قوى ظالمة وطاغية تستحق بجدارة أن تكون مع إسرائيل في قائمة الأعداء، وبدأ النضال من جديد ، فسقطت بغداد وسقطت أفغانستان وهما ضمن عوامل التفكير الغربي في توكيد الفارقة بين الدول العربية ، وتشثيت قوى الشعوب الجائعة والعاطلة عن العمل ، والمتطلعة إلى الحرية ، فغزتها من جديد فعدرت بالعروبة أيام عبدالناصر ، وأطاحت بصدام حسين والقوميين العرب فيما عرف بحزب البعث الذي انقسم على نفسه بين العراق والشام ، حيث وقفت أم القومية العربية سوريا بالوقوف ضد العراق متناسية الخبوط القوية التي تحاك بها مؤامرة تقثبت العرب وشعوبهم ، وأصبح العربي يسأم كونه عربيا ، ويفقد الأمل في قيام وحدة عربية نهائيا وإلى الأبد .

فتاريخ العرب بين داحس والغبراء وبين تغليبي وتميمي في فترة ما يطلق عليه بالعصر الجاهلي ، وبين سني وشيعي وبين عربي وأعجمي مما عرف بفترة ما بعد الإسلام ، كان منهاجا للغرب يتبعه للتفريق بين العرب ، فقام بتولية من لا يستحق وتأييده بالسلاح والمال إذا كان فقيرا بدون موارد، وليس من ميزانياته ، بل استخدم ميزانيات العرب أنفسهم في الدويلات والمشياخات النفطية ، ليقوموا بتمويل الحكام الفقراء في الدول العربية ، وجعلوا لهم سلطانا وحكما يتجبرون به ويجولون فيه ظلما وعدوانا. وبدأت نكرة جديدة تقول : الأردن أولا، الخليجي أولا، وبدأت عمليات التكويت والأردنة والسعدنة (أو السعودية كما يسمونها) وكلها مجالات في حب الأنا والأثانية واستعباد الشعوب ، ولم يبق من العروبة ما تتسلح به ، وأصبحت الإقليمية ديدا للحكام وشعوبها ، وأصبح معظم الجهال في أمة يعرب من الأغنياء ، ووضع العقل والمنطق والحريات واحترام الإنسان على الرفوف حتى وسنت كمياه المستنقعات الداكنة ، وبهتت ألوانها فلم يمكن تصورها ، وتم طمسها إلى غير رجعة فهي لم تعد ترى .

وفي هذا المجال كانت إسرائيل ترتع معافاة في خضم القتال بين الأخوة ، بين الجزائر والمغرب، بين اليمن والسعودية ، بين العراق وسورية ، بين مصر وليبيا، والأمثلة كثيرة

فالسودان مثال حديث حيث أصبح سودانيين ، والعراق ثلاثة ، شمال ووسط وجنوب ، والأردن أولا الذي ينفي عن السكان وهم أكثرية ، ويمنع ولاءهم لوطنهم الأم فلسطين ، والمواطن وغير المواطن ، ما هي إلا أمثلة على تنمية الشقاق بين الشعوب في البلاد العربية ، وأمثلة على الشقاق في الشعب الواحد، وبقي الراح الصياد يجلس تحت الشجر يستجم ويتفرج وأعني به إسرائيل، فلم تعد قضية فلسطين علاوية كما كانت في الماضي ، وأصبح كل شعب له حدود وطنية يدافع ويموت من أجلها ، وأصبح الإسلام غطاء للاستعباد والظلم وأصبحت ميادين الفساد مرتعا للسباق الوطني ، وضحكت إسرائيل على أمة يعرب، وبان الفرق بين الجهلاء في الحكم وبين العقلاء في السياسة والاحتلال واستعباد الشعوب.

وفي ختام هذه المقالة ، ونحن نرى أن المتشدقين بالإسلام إخوانا وسلفيين وأصوليين يكتسحون مجال الشعوب في الحكم ، إنما ينادون بنظالية العدالة والحرية وهم يخفون نواياهم بما ليس للصحافة وليس للنشر من تزمّت فكري وتعصب جنسي أو عقيدي بما يتنافى مع التعددية التي آلت إليه بعض الدول شرقا وغربا ، وحكم القانون الوضعي وليس الإلهي ، لأن القوانين الوضعية توضع لخدمة البشر بينما الشرائع توضع للسيطرة على عقول البشر وعواطفهم ولا تخضع لمنطق أو تحليل منطقي عقلائي .

فإذا استمر من يعتقدون أنهم سيطبقون شرع الله في احترام الحاكم وإن ظلم ، واستعباد الشعوب بالتوكل والتواكل على الخالق ، والتعصب لمن يتعصب لعقيدته وحرمان الآخرين من العدالة لأنهم يختلفون عقيدة أو لونا أو ثراء أو هوية في عالم اليوم ، فإنهم يهدمون ركنا أساسيا من أركان الحرية البشرية في العيش بسلام وطمانينة مهما اختلفت أصولهم وعروقهم وأديانهم وعقائدهم .

ولعلي أستطيع الحكم على السنوات والعقود القادمة من حيث السياسات التي ستتبع تحت سيطرة حكم العقائديين من إخوان وسلفيين وأصوليين أو حكم أصحاب الأيديولوجيات من علمانيين (شيوعيين أو رأسماليين) بأن حكمهم لن يقف بقوة مدة طويلة ، فاشعوب تتجه إلى ضلال، وهذا أمر محتوم في كتب السيرة والتاريخ إن كنا نؤمن بالسيرة وقصص التاريخ ، ولن تستطيع جماعات التكفير أو جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تغيير ما سيحصل مستقبلا لسبب بسيط وحقيقة واقعة بل واقعية عبر التاريخ أنسناها ودرسناها وهي أن الإنسان مهما كانت عقيدته فهو حيواني الغرائز ، وقل ما قرأنا حول من يربأ بنفسه فيفرق بين ما هو عام وما هو خاص ، كما كان الأمر أيام العمرين ، عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز ، فالزمن غير الزمن والنشر غير البشر والإخوان غير الصحابة والتابعين ، فالوقت متغير حسب التقنيات المستخدمة فيه ، فلم توجد السيارة ولا الطائرة في عهد الراشدين ، ولم يتم اختراع الإنترنت ولا وسائل الإتصال السريعة بين الناس ، ولم يعد الجمل ولا الحصان وسيلة انتقال كما لم يعد العصر عصر سيف ورمح في عالم القنابل النووية التي استعملت في حروب القرن الماضي بما عرف بالحربين العالميتين ،

فإسرائيل اليوم تصطبغ بصبغة جديدة تختلف عن صبغتها الأولى ولعل ما يقوم به الشباب اليوم في العالم العربي جزء لتحديد هوية إسرائيل ووضعها في الترتيب على سلم الأولويات في العدائية أو الصداقة ، وبما أن الشباب جاهل بشكل عام إلا أقله ، فلا الإخوان ولا السلفيين ولا العلمانيين بقادريين على ترتيب الأولويات والشعوب تخاف على رزقها وأولادها وأوطانها ، والشعوب التي تزيد فيها الأمية بين رجالها ونسائها وأطفالها هي شعوب تحتاج عقودا من تعلم المعرفة واحترام الذات مع احترام الآخرين على قدم وساق ، فالمعرفة والعلم

أمران أساسيان في إقامة العدل والشعور بالأمن والأمان في عالم اليوم ، ولا أستطيع أن أرى ملامح هذا الأمن ولا الأمان في تسلّم السلطة لأصحاب العقائد ، فهم بشر والبشر خطأ ، فلا ملائكة يتسلمون حكما إلا ضلوا وفسدوا وظلموا باسم العقيدة التي يتسمح بها الحكام في كل عصر ، ولن يختلف الإخوان وغيرهم من الإسلاميين مهما تستروا تحت عباة مفاهيم السياسة المعاصرة من المساواة والحرية والعدل والنهضة وهم يؤمنون قولا وفعلا بما قال الله تعالى في الآيات التالية وهي أمثلة على اعتقاد أهل السنة والجماعة تجعل المسلمين أفضل من غيرهم ومن هذه الآيات ما يلي:

جاء في سورة آل عمران - آية 85: " ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ". فإله لن يقبل من العباد إلا دين واحد هو الإسلام ، أما الأديان الأخرى فليست منه في شيء إلا إذا اعتبرنا الإسلام لله عند كل رسله يعني تسليم النفس والروح لأمر الله تعالى والانقياد لمشيئته وهذا التعريف قد يدخل بعض تابعي الأديان الأخرى في الإسلام وإلا فغير المسلمين يعتبرون خارج دائرة الإسلام. فهل يؤمن الإخوان والإسلاميون بعكس ذلك؟

وتقول الآيات القرآنية في النصارى في سورة المائدة - آية رقم 72- 73 " لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ، لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد ". والنصارى اليوم في أوروبا والأمريكيتين وفي أنحاء العالم بين داع للمسيح بأنه الله ، أو داع للمسيح بأنه ثالث ثلاثة . فكيف يفسر العلماء المسلمون ومنهم الإخوان والسلفيين والأصوليين هذه الآيات حول النصارى . وكيف يكون الإخاء بين النصارى واليهود والمسلمين؟ إنها مهمة شاقة ليس إلى حلها من سبيل . فالأديان المتبعة حالياً يناقض أحدها الآخر . ففي الدين اليهودي ورد في التوراة سفر (أشعيا 52) : استيقظي استيقظي ، إبسي عزك يا صهيون ، إبسي ثياب جمالك يا أورشليم لأنه لا يعود يدخلك في ما بعد أغلف ولا نجس " والأغلف هو النصراني والنجس هو المسلم . فكيف يوفق اليهود بين الأديان التي تجمع الأديان الثلاثة ؟ كما يقول التوراة " للأجنبي تفرض بربا ، ولكن لأخيك لا تفرض بربا " (تثنية 23) ، ويقول "أبناء المستوطنين النازلين عندكم تستعبدونهم مدى الدهر وتتخذون منهم عبيدا وإماء أما إخوانكم من بني إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف " (لاويين 25). فهل هذا كلام الله يدعو للعنصرية والربا واستعباد البشر ؟ لست أدري! فهم والإسلاميين على حد سواء بالنظر إلى من هم خارج ملتهم.

وفي النصارى واليهود يقول الله تعالى في سورة المؤمن آية 23- 35: " يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب والفضة ". فهل يغير الإسلاميون من نظرتهم حول ما تعنيه الآيات الكريمة والتعامل بعدل مع الآخرين ، وبمعنى آخر هل ستكون السياسات الاجتماعية والاقتصادية تصب في نهر المحببين والمحجبات ورواد المساجد أم في نهر الشعب بكل طوائفه؟ وهذا أمر سيجابه الإسلاميين العصريين في حكم الشعوب.

ويقول في سورة البقرة - آية 113 " وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب فإله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه مختلفون" . فهل يستطيع علماء المسلمين دفع هذه التهمة عن النصارى واليهود ، فكلام الله سبحانه لا يتبدل ، وهو واضح وضوح الشمس في سماء صافية . فهل تأتون بالآية

الكريمة التي وردت في سورة آل عمران مثلاً – آية 64 والتي تقول: " يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون" حتى ترفعوا عن أنفسكم ما تعرفونه عن اليهود والنصارى من أن قادة دينهم من الأبحار والرهبان يأكلون أموال الناس ويكنزون الذهب والفضة ؟ أليس من منكم من يقوم بذلك حبا بانفس وتآليه الأنانية في ظلم العباد من مسلمين وغير مسلمين؟ لست أدري . فهذه الآية تكرر المعنى السابق وهي الاختلاف الواضح بين أهل الكتاب الذين رفضوا الامتثال لأمر الله وهم لم يأتوا إلى كلمة سواء ، وهي الإيمان بالله وعدم الشرك به . كان الله في عون العلماء المسلمين ، فهم في حرج كبير . وسيظهر ذلك جليا في حكم الإسلاميين للشعوب . وفي رأي المتواضع أن حكم الأديان من كنيسة أو مسجد لم يعد له طعم ولا رائحة فقد أثبتت الكنيسة ومعابد الأصوليين اليهود أنهم لا يحتكمون للعقل ولا يؤيدون المنطق في قراراتهم حول غيرهم، وما نراه في إسرائيل خلال العقود السبعة الماضية وما رأيناه من خداع الكنيسة والكهنوت في أوروبا وما رأيناه من بعض علماء الأزهر (الشريف) ورجال الحركة الوهابية وفتاوى جماعات التكفير إلا نسخة مكررة من تطبيق الظلم والفساد والانحراف عن الخلق السوي الذي تدعو إليه أديانهم ، وسماحة عقائدهم ، ولم يكن من أهداف الله تعالى يوما أن يجعل الجميع سواء تابعين لدين واحد ، فهو شاء وما شاء حصل، لأن من لا يتبع الأديان (من الملحدين) في إيماننا يمثلون أكثر من ثلث سكان هذا العالم إن لم يكن نصفه ، سواء أكانوا على حق أم على باطل .

لذا فإن تسلم رجال الدين كمجموعات أو أحزاب الحكم في بلد ما يطابق الفرضية التي تم فحصها بفضل الكنيسة والمعبد والمسجد ، وتحتم علينا العودة إلى القرون الوسطى حالكة السواد تحت ظل الكنيسة وتعنتها وكان المرابون والكفار والمسيحيون واليهود والمجوس والزرادشتيين على حد سواء كانوا في عهد الرسول وما زالوا يتناسلون إلى يومنا هذا ، فإن وضع الإسلاميون أنفسهم في مقام الله مخطئين ، فالله لا يحتاج حراسة ولا محكمين من أجل دينه ، فلم يبق إلا التحكم للعقل والحصافة العقلية ومنطق الأشياء في تحليل الظواهر ، وهذا أمر يرفضه أصحاب العقائد والأديان في كل مكان ، وستكتشف الشعوب يوما أن من صوتوا لهم خطأ حسب عقيدتهم أصبحوا في لباس الظالمين والدكتاتوريين يلبسون لباس الفضيلة لإخفاء المفساد باسم الدين وسترا العورات في الظاهر واقتراف الذنوب في الباطن ومنها استعباد الشعوب وقتل المخالفين باسم العقيدة والدين ، وهو مبدأ أثبت فشله كما نرى في إيران وإسرائيل ومن يتبعون الوهابية ومن خلال تصرفات بعض جماعات الإسلاميين في الدعوة إلى عبادة الله ، بينما الجهل وعدم استعمال المنطق في تحليل الأشياء والحكم عليها ، ومجاملة العاطفة تكون الضابط الأوحده في تصرفاتهم .

وبناء على ما سبق نصل إلى النتيجة الحتمية بأن الأديان ستترعرع ما بقي الجهل والخلاف العقيدى يعم البشر ويكون دينهم في إدارة آخرهم أكثر اهتماما لإدارة آخرهم . فالأخرة من علوم الله فهل يهتدي أصحاب العقول في نهاية المطاف لاعتقاد جديد وهو أن الله ليس له جند لحماية دينه فهو عالم السرائر والظواهر في السلوك البشري ، وليس البشر هم العارفون والعالمون بكل شيء ، ولعل في العقيدة الخائنة خطر يعلو على خطأ الجهل بأسس وروح العقيدة ، الداعية إلى التوسط في الأمر والاحتكام بالقوانين وروحها في أن واحد وليس في شريعة لا تتناسب مع العصر الحاضر وتتلون بألوان أيديولوجية تغمض عينيها عن الحقوق الإنسانية والعدالة الاجتماعية التي تسعى لها الشعوب . وهذا سيدخل لا محالة في تقييم

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

إسرائيل ووضعها على سلم الأولويات عند العقلاء والشرفاء والشعوب وفي سلم الأعداء والأصدقاء .

الكاتب مسؤول عما يكتب ، فمن له تعليق فليدل بدلوه أو فليسكت. والله أعلم . فقد طفح الكيل وتم قياد الناس بعواطفهم لا بعقولهم في بلاد العرب وهذا أمر لا يلام العرب فيه وخدمهم ، وما هي إلا فترة تاريخية مؤلمة للعاقلين وأصحاب المنطق والعقل الراجح حسب منطق النظرية القمرية التي ينادي بها الكاتب . وفي رأبي أنها تفوق نظرية ماركس ونظريات البقاء للأصلح الداروينية السبنسرية في النظر إلى حل مشكلات العالم شرقا أو غربا غن طريق معرفة والتفاهم والتقدير المتبادل والعيش بسلام .

أقرأ للكاتب : النظرية القمرية وطبيعة الإنسان بالعربية وكتابي [Theory Crescentology](#) : حول مناهج جديدة لحل المشاكل النفسية والعالمية بأسلوب جديد بعيد عن الاشتراكية الشيوعية المنحرفة والرأسمالية المتحكمة الأنانية.

وفي اعتقادي أن معرفة هوية الكاتب ستؤثر في الحكم على نظرياته ، كعربي أو يهودي أو هندوسي أو مجوسي أو نصراني . وهذا أمر صعب التخلص من هذه التأثيرات العاطفية إلا عند العقلاء وأصحاب المنطق السليم وأصحاب الأخلاق السوية في النظر إلى العدالة ، فالهوية أحيانا تسمو بسمو الحضارة التي ينتمي الكاتب إليها زما ومكانا ، ويكتفي الكاتب بالهوية العلمية للتعريف بنفسه فهي أسمى من الهوية السياسية ولها ينتمي الكاتب ، والكمال لله وحده . (2630 كلمة) www.albahspace.com

أخلاق عربية وحكم
من كتاب أخلاق عربية
ARAB MaANNERS

1

الملك لله ونحن البشر نوزعه بين الناس .

God is who gives: We are only distributors.

2

عامل العالم من حولك كعابر سبيل أو كفارس يستظل تحت شجرة
ثم يذهب عنها .

Treat the world as I do, like abir sabeel (way
farer), or a horseman passing by stops in the
tree shade for a time and then move on.

3

تسألوني أن ألعن الكافرين ، وأنا لم أبعث لأكون لعانا .

You ask me to curse unbelievers, but I was not
sent to curse.

4

إعقل وتوكل

Trust God but tie your camel first.

5

النساء أنصاف للرجال

Women are the twin halves of men.

6

النوم صديق للموت

Sleep is brother of death.

7

الزوجة الصالحة أفضل الكنوز في حياة الزوج

A virtuous wife -saliha- is the best treasure any man can have.

8

إن حبك للأشياء بعاطفتك

يجعلك لا ترى الحق ولا تحب سماعه

It is your attachment to objects which makes you blind and deaf.

9

المؤمنون إخوة كالمرايا لبعضهم البعض

The faithful are mirrors, one to the other.

10

إذا ظننت أنك تحب خالقك ، أحب الناس أولا

Do you think you love your creator?

Love your fellow-creature first.

11

كبر لقمتك ولكن لا تعطي أنباء كبيرة تندم عليها

Eat a big bite but don't say a big statement.

12

إذا زاد الظلم فإنه يطال العصافير في أكنانها.

When oppression exists, even the bird dies in its nest.

13

عليكم بنصر كل مظلوم سواء أكان مسلماً أم غير مسلم .

I order you to assist any oppressed person, whether he is a Muslim or not.

14

لا رهبانية في الإسلام

No monkery in Islam la rahbaniyyata fil Islam.

15

ساعة تمضيها في طلب العلم أفضل من ليلة تقضيها في الصلاة

One hour's teaching is better than a whole night of prayer.

16

الليل طويل فلا تقصره بالنوم ، والنهار معتدل فلا تسوده بأعمالك السيئة .

The night is long: do not shorten it by sleep. The day is fair: do not darken it with wrongdoing.

17

التواضع فرع من العبادة، فمن تواضع لله رفعه .

Humility and courtesy are themselves a part of
piety.

18

الحسد يمحو الحسنات ، كما تتشعل النار الغاز .

Envy devours good deeds, as a fire devours fuel.

19

كل من يحترم العلماء يحترمني ، فأحترامهم من إحترامي .

Whoever honors the learned, honors me.

20

الفاقة والعوز هما فخري ، وليس المال والغنى .

My poverty is my pride.

أدب الأسرة

حول الانحراف الأسري

الحكاية العشرون

دقيقتان مع [الدكتور يحيى](#) - 10/Dr. Yahya
الحكاية العشرون: من كتاب [حكايات من أمريكا](#) للمؤلف.

يمثل الأب في الأسرة في كثير من المجتمعات الحنان والعطف ومركز التقدير من أسرته ومجتمعه. فهو الحامي لأبنائه وبناته الذائد عن أعراضهم وشرفهم. أما ما حصل مؤخرا في بوسطن بالولايات المتحدة وتناقشته الصحف وأصبح على كل لسان فهي قصة (أب) دفع لصديق له مبلغ 300 دولار ليقدم له خدمة غريبة جدا وهي اغتصاب ابنته البالغة من العمر 9 سنوات. والحكاية بتفاصيلها أن والد الفتاة طلب من أحد معارفه بان يقوم باغتصاب ابنته مقابل مبلغ من المال مقداره 200 دولار فلم يوافق لأن المبلغ قليل. فلم ييأس الأب وعرض الأمر على صديق (؟) آخر له ورفع المبلغ الى 300 دولار. فقبل الصديق أن يقوم بالخدمة لصديقه فيغتصب ابنته بناء على طلبه. والأدهى بل والأمر من ذلك أن يقوم الأب بامسك رجلي الفتاة لمساعدة صديقه على اتمام فعلته. وانتهى الخبر على هذا الأمر. وجاء دور البوليس الذي وصله الأمر عن طريق الفتاة. فقام بالتحقيق وتقديم الأصدقاء(؟) الى المحاكمة. وقد حكم على الأب السجن مدى الحياة (أربعة أضعاف) أما صديقه فقد حكم عليه بالسجن 18 سنة مقابل خدماته الإنسانية. انتهت الحكاية .

ولا يسع الانسان العاقل الا أن يستغرب أشد الاستغراب لما آلت اليه الأخلاق والأحوال الأسرية في المجتمع الأمريكي. وما هذه الصداقة التي تعتمد الحيوانية الجسدية المادية أساسا لعراها؟ فهل الناس أحرار في التصرف على هذا الأمر بدون وازع من ضمير أو لمحة من الأخلاق؟ ويحلل علماء الاجتماع الأمريكيان المشكلة على أنها أثر من آثار تفسخ العلاقات الأسرية بين أفراد الأسرة وغياب الأخلاق في المجتمع المادي الذي يوزن الانسان بمقياس المادة فحسب. ولكن هل يقف المجتمع متفرجا حتى تتعدل الأمور وتسود الأخلاق وتعود الأسرة الى طبيعتها الراحية لأفرادها المتمسكة بتقاليدها وأخلاقها؟ بالطبع لا. فالعذر أن الحضارة والحرية والفردية لها ثمن وما نراه من تفسخ العلاقات الاسرية وتدني الأخلاق ما هو الا جزء يسير من الثمن الذي يدفعه المجتمع لهذه الشعارات. *** من كتاب [حكايات من أمريكا](#) للمؤلف.

من كتاب اللهم فاشهد!
د. حسن يحيى
إشكاليات الحرية وروح القانون
Freedom and Spirit of Law

تعتبر أزمة الحرية في المجتمعات التقليدية من أهم المواضيع الجدلية في الحياة الثقافية العربية اليوم . والأهم من ذلك، أن الخلاف الكبير بين الشرق والغرب يدور جزء غير يسير منها حول إشكالية الحرية، ففي الغرب يعتبر الحل الإسلامي في جميع صورته وتنويعاته، معاد للحرية. مما يجعل الخلاف يأخذ أبعاداً مهمة بناء على ذلك التصور . خاصة عندما يصور البعض التغريب بوصفه سبباً يحتذى لممارسة الحرية، مما يشكل تهديداً للتراث العربي والإسلامي بوصفه عائقاً أمام ممارسة الحرية. وهذا التصور ، يفجر قضية الحرية مقابل ما يسمى بالقهر الذي يوصف به التراث العربي والإسلامي لتسهيل الحرية بقلب عربي.

وبالنظر في الأمر فإن للحضارة الغربية دلالات متعددة تؤثر سلبيًا أو إيجابًا في أي حضارة خارج وعبر الحدود ، بما فيها الحدود العربية ، فهي ممارسة الفرد لحيته بعيدا عن الجماعة حسب القوانين التي تسنها الدولة الفدرالية أو المحلية ، حيث إن لكل دولة الحق في وضع قوانينها بما يتناسب مع سكانها . بينما يرى الناس الحرية في العالم العربي ممارسة الجماعة للحرية بعيدا عن الفرد. ولكن الحرية في الغرب تمارس ضمن حدود مرسومة وليس حرية إباحية تقف ضد تلك الحدود أو القوانين . والنظر إلى العرب اليوم كحكومات وشعوب في الوقت الراهن ، لا يفقد الحكم على وصف العرب بأنهم منقسمون كأنظمة سياسية إلى فريقين متصادمين وكلاهما يبحث عن الحرية فلا يجدها ، وكلا الفريقين يقيس الحرية بمقاييس مفصلة لهذه الأنظمة . مما يصعب على المتتورين والعقلاء والنابهين من أبناء هذه الأنظمة البيت والفعالية في بسط الحرية دون عقاب من الفريقين . وهذين الفريقين هما : فريق فيه الشعوب عالة على حكوماتها ، وفريق فيه الحكومات عالة على شعوبها.

وتضيع الحرية عند كل فريق منهما ، وتظهر إشكاليات لا بد من بيانها والخوض فيها ، لإصلاح ما فسد في كل منهما ، وهذا ينطبق على العالم العربي بكل نظمه السياسية . والمشكلة الرئيسية كما أراها لا تقبع في المقدس ولا في رفضه ، وإنما أصفها بشارع تم فتحه منذ القدم تعبره الأمم فزادت فيه الحفر الواسعة والمتعددة حتى أصبح بلا لون ولا استقامة ولا صلاحية لسي في مشيا أو في عربة على عجلات ، ولم يبق أحد بإصلاحه ، ولا بتتويره ولا برقعته ، فزادت الإشكاليات التي لا بد من النظر فيها وفهمها من أجل الحيلولة دون النوم عليها أو التعذر بعدم جدوى حلولها أو عدم مناسبتها لمجال الحرية . وهذه الإشكاليات هي :

الإشكالية الأولى في المجتمعات التقليدية . لذا فإن تعريف الحرية وفهم معناها يختلف في بلاد العرب عن معناها في بلاد الغرب. فالحرية المقدسة حسب المقدس من الأديان ليست مفهومة ولا مطبقة لا شرعا ولا قانونا في أكثر الأحيان، ويعتقد البعض أن الغرب وفهمه

للحرية يريد إرغامنا على اتباعها ، ونحن (كعرب) لم نصل بعد إلى مستوى تطبيقها عبر القوانين لا الشرعية ولا الوضعية .

والإشكالية الثانية نابعة من الإشكالية الأولى وهي الظن بأن الحرية في الغرب حرية مطلقة ، وأنها إباحية حتى ضد القوانين التي تتغير كلما ثار عليها الناس فألغوها وجاؤا بتعديل لها أو تغييرها نهائيا ، وهذه الإشكالية لا تخلو من الغموض ، حيث إن الجزء الأول غير صحيح فالحرية مقيدة حسب القوانين المرعية في دل دولة ، أما الجزء الثاني من الإشكالية ، وهي حرية التقبير أو التعديل فهي حقيقة يمارسها المواطن في حدود القانون ، وتوضع المشكلة غير المرضي عنها فتقدم في مشروع قانون للموافقة على التعديل أو التغيير من قبل المواطنين . وهذا الشق من الإشكالية حق من حقوق المواطنين ووجه من وجوه الحرية الذي لم يفهم من العرب معتقدين أن الحرية في الغرب مطلقة ، وبناء عليه لا يجوز تعديل القوانين تمثيلا لحرية المواطنين.

أما الإشكالية الثالثة ، فهي المبدأ الذي تقوم عليه الحرية وهو مغاير للأسس التي تقوم عليها الحرية في الوطن العربي . فالمبدأ الغربي لأساس الحرية هو اختراق حدود المقدسات بينما عند العرب فالمبدأ هو الاعتماد على هذه المقدسات التي هي خارج نطاق الحرية وليست محلا للتغيير . ومع أن الجزء الأول من الإشكالية قد يكون مبررا عند العرب ، إلا أن فهم الجزء الثاني منها يسبب مشكلة للحرية الجماعية والفردية على حد سواء . فالناس يتبعون عادات وتقاليد عفى عليها الزمن واكتست شرعية عبر عصور الجهل والتخلف ، مما يستدعي النظر فيها وإعادة صياغتها لتتناسب مع العصر الحديث ومصالح الناس . خذ مثلا الجهل في كثير من الأمور هو السيد المطاع أساسا وسلوكا والمثل على ذلك قتل المرأة الزانية وقطع الأوصال للمجرمين والسارقين ورجم الزناة . واعتبار الولد مفخرة للآباء تغطي على وضع البنات في الأسرة . وتصبح المسألة عند الجهلاء أنها تحد للقانون مع أنها تحترم القانون وتحاول تعديل ما جاء به من جهل تصور التطبيق له . واعتبار المقدس نظرية وسلوكا لا يحتاجان تعديلا أو تغييرا . فالعقاب للخارجين عن القانون في الغرب هو العقاب للخارجين عن القانون في الشرق . ولكن التطبيق لمفاهيم بالية تأخذ صفة القانون بين جاهلين يعتبر إشكالية كبرى في فهم الحرية . فالمقدسات أمر هام ولكن تصور الناس في تقديسها وتطبيق بعض أحكامها مما يتنافى مع الحقوق المشروعة للفرد يشكل خلافا كبيرا يدعو إلى التساؤل.

الإشكالية الرابعة للحرية هي تطبيق القوانين السرمدية من سلطات لا تتسم بالعدل في تطبيقها ، وكان القانون شيء وتطبيقه شيء آخر ، والتفرقة في التطبيق بين الناس لا تجعل للقانون معنى ، مما يتسبب بما لا يتناسب مع المشكلات الحديثة التي تتصل بالفساد الحكومي والتعاسف عن تطبيق العدالة من خلال القوانين في الثورة على الفساد مثلا ضد من يجير القوانين لمصالحهم الخاصة بدلا من العدالة في التطبيق والمساواة أمام القانون . فالطبقية والرشاوي والمعارف والعلاقات الظاهرة والخافية تغطي على القانون في كثير من البلاد العربية ، فيصبح القانون شماعة للملابس القذرة يعلق عليها الفاسدون والمنحرفون عن عدالة تطبيق القانون ملابسهم القذرة دون رادع أو ضمير حي . وهذه إشكالية تستدعي من الشعب ممثلا بالمتقنين المسلحين بالعلم والنباهة أن يعملوا على تغييرها ، فإذا فعلوا نظرا لأن القوانين تتسهم مكانة قدسية عند الحكومات ، فإن تلك الحكومات تتصرف بأسلوب غير حضاري معهم عن طريق استعمال وسائل قمعية دون

إعطائهم فرصة للدفاع وتبيان الحقائق حول القوانين المذبوحة وضياح عدالة وضعها ، فيستخدمون رجال البوليس وأزلام السلطة لمنعهم من التعبير عن سخطهم حول أخطاء يسببها عدم تطبيق القانون أساسا وروحا . كما تقوم الحكومات بإغلاق منابرهم والزج برؤسائهم في السجون دون محاكمات أو محاكمات شكلية لإرضاء العوام وذر الرماد في العيون . وتبقى العدالة وروح القانون في غيبوبة ، حتى يكون مزاج القائمين على سن القوانين مرتاحا ، فيقومون بتغيير بعض الوجوه ، وليس بعض القوانين التي تعتمد في أصولها على العدالة العالمية . ويبقى الحال على ما هو عليه بل أسوأ حالا فتسود الفوضى ويتجه الشباب إلى العنف كوسيلة سهلة للشكوى التي لا تجد حولا عقلية لامتناص غضبها وسماع أقوالها والعمل على تغيير عوامل أسبابها .

أما الإشكالية الخامسة في فهم الحرية فهي معنية بمشرعي القانون أساسا ، فمعظم القوانين العربية أما لا توجد أساسا خارج نطاق القبيلة ، أو أنها مستوردة من الغرب . لذا فهي ليست مقدسة ولا تمثل دينا ولا شريعة ولا عقيدة ، في معظم البلاد العربية ، فطبقات الشعب ليست موحدة من حيث الأديان والمستوى التعليمي والإقتصادي والسياسي ، وإن استمدت بعض أحكامها من الشريعة في بعض البلدان فهي تتناسى ما للمواطنة من حقوق وواجبات ، فينتشر الظلم في التفرقة كنتيجة في تطبيق القوانين التي تجور أحيانا على بعض الأقليات فتخرجهم من الملة ومن المواطنة وتجعلهم غرباء في أوطانهم باسم القانون الذي وضع أساسا لإقامة العدل والمساواة في التطبيق . وهذه الإشكالية لها أهمية خاصة ، لأن تصور الخروج على عملية تطبيق القوانين إنما هي دعوة لتغليب القوانين الغربية على القوانين التراثية مع أن القوانين التراثية لم تعد صالحة للبت في قضايا الشعوب مع غياب العدالة والتطبيق لتلك القضايا . والمسألة حسب المثقفين والنابهين من أبناء البلد في كل بلد ليس القوانين التراثية المقدسة بل ما تنأثر منها فأصبح قاعدة للتطبيق للقوانين المستوردة . وهذا أمر لا يجب السكوت عليه . وخذ مثلا الفقر العام بين طبقات الشعب وتفاوت الطبقات والتمييز بين العائلات والمراكز القبلية والعسكرية وفقدان العدالة والمساواة كأساس لحفظ موارد الشعوب للشعوب ، وزيادة أعداد الأميين وقلة فرص العمل ، كلها عوامل تساهم في فهم الحرية عند العرب وغيرهم من البلدان المتخلفة .

وفي الختام ، أرى أن قهر الشعوب لا يدوم ، وإن الفهم لمسيبات هذه الإشكاليات أمر ميسر ، وحلها أكثر يسرا ، وأن طرقا ومناهج إنسانية وعقلية لفهم أسباب الشكاوى وطرق حلها بما يتناسب مع حجمها في فئات الشعوب المتطلعة إلى العدالة لا يتعارض مع الحرية في شيء ولا ينال من المقدسات في شيء ، ولعل المجانين من أبناء الشعب أو الذين يتهمون بالجنون فيهم من يجد الحلول لحرية الشعب على مستوى الأفراد والمجموعات . وهذا أمر لا يدخل فيه الغرب طرفا ، لا أوروبا ولا الولايات المتحدة ، ولا غيرها له دخل في موضوع الحرية التي تذبح كل لحظة في بلاد العرب ، فدعوا الغرب في مشاكله التي تختلف اختلافا جوهريا عما عندكم يا عرب ، واهتموا بمشاكلكم وابتنوا الحلول لتلك الحرية على أساس العدل والمساواة وهما الأكثر تقديسا من كل شريعة تنادي بها ولا تطبقها بين تابعيها . وسيفيقي الفريقان اللذان ذطرتهما في بداية المقال هو الحال لسنين قادمة ما لم تنتج الفرصة للإصلاحيين العقلاء المؤمنين المنتورين بالحرية مبدأ وروحا . (1442 كلمة)

بين العرب والغرب
(والله لو خلعت جلدك)
Arabs and the West

العلاقة بين الشرق والغرب علاقة عداة معروفة منذ قرون وكان الله في عون علماء الشرق وهم يحاولون أن يتبنتوا سماحة الإسلام وتقبله للأقليات من أصحاب الديانات الأخرى ، فالغرب عند أهل الشرق وغيرهم يتصف بالعلم والمعرفة والتقدم والاحترام ، والشرق ينظر إليه نظرة الجهل والتأخر والابتذال . ومهما حاول المسلمون وهم من الشرق أن يبيضوا صفحاتهم فالغرب لن يغير نظرتهم إليهم إلا بجهود منظمة وعقول متفتحة ، فالغرب ينظر إليهم نظرة دونية وأنه متأخر ورغم تأخره ما زال قادرا على إيذاء الغرب ، وما مؤتمرات الشرقيين مع الغربيين من أجل تحسين صورتهم إلا تضييع وقت وجهد ومال . فالغرب لن يغير من تصوره كمن يقول للشرق وللإسلام : والله لو غيرت جلدك ما عرفتك . وهذه قصة معروفة عند العرب ملخصها أن رجلا وضع أمانة عند أحد التجار قيل وداعه وهو في طريقة للحج . وبعد عودة الرجل من الحج عرج على التاجر الذي أنكره ولم يتعرف عليه رغم أنه خلع عمامته أولا ثم خلع سترته ثانيا ، وحين رأى التاجر من الحاج ذلك للتعريف بنفسه قال له: يا عم ، والله لو خلعت جلدك ما عرفتك ، فاسترح بالا . نعود إلى علماء المسلمين الذين يحاولون تعريف الإسلام وسماحته للغربيين وافتخروا بعقيديتكم وحاولوا إصلاح ذات البين أولا ، وأعيدوا هويتكم ، وانبوا مؤسساتكم ، واعدلوا في أحكامكم ، وانثروا السماحة في قراكم ومدنكم ، بين عشائركم وقبائلكم ، بين جهالكم وأنصاف المثقفين بينكم ، قبل القفز إلى أعتاب الغرب ، فالغرب يقول لكم: كفاكم تعريا يا علماء الشرق لتفسير ثقافتكم وسماحة أديانكم ، فالغرب محشو العقل بمعلومات تفوق ما لديكم ، وتعرف حول معلوماتكم عنكم أكثر منكم ، ولا يريد الغرب شهادتكم الخالية من الأمراض والخالية من السوابق ، فهذا الحادي عشر من سبتمبر شاهد على ثقافتكم وحضارتكم ، وهذا الجهل يعم نساءكم ورجالكم ، والظلم يبخر قاعات مساجدكم ، ويعلو قمع مناراتكم ، والواردات والصادرات تسقط المواطنين من كشوق ثرواتكم في البنوك الغربية ، فكفى تعريا يا حكماء الشرق أمام علماء الغرب فوالله لو خلعتكم جلودكم ما عرفوكم في الغرب الذي يفتقد العدالة في النظر إلى وجهة النظر الأخرى والرأي الآخر .

بين التعصب والتسامح

Between Racism and Tolerance

التعصب هو الحكم على الآخرين من البشر دون برهان مناسب ، لذا فهو خطأ جسيم يرتكبه الناس شرقا وغربا ومتوسطا ، وإذا تحكمت التعصب في مجموعة من الناس كانت نتائجه خطيرة بقدر قوته ، ومن الشائع عند البشر أن التعصب ينشأ من الخبرات القليلة التي تملكها الأقليات عادة عن المجموعات الأخرى في مجتمع ما ، ومن هذه الخبرات حب المشابهة وكرهية المخالف في الدين والتراث واللون والعرق وحتى السياسة . وهناك سؤال يطرح نفسه : هل تقل العصبية بين الناس مع الزمن أم

تزيد؟ ويقال جوابا على السؤال أن العصبية لجهة معينة كوطن أو دين أو لون أو جنس من الصعب التخلص منها نهائيا ولكن هناك عناصر إذا توافرت ساهمت في تقليصها ، كالتعليم والسفر ومعرفة الآخرين والتعايش الحر في المجتمع . ومن الضروري أن نحدد العوامل والدوافع المحركة لبقاء التعصب ، حيا رغم الجهود المخلصة لتقييم الحقائق حول ما تعتقده الشعوب والمجموعات بأنه خاص بهم . فالتعصب للعروبة والإسلام مثلا أو تجاه السود واليهود من الصعب التخلص منه ولكن ليس من الصعب تقليبه مع الزمن نظرا للبيئات المختلفة التي يعيش فيها الناس ، من الناحيتين البيولوجية والجغرافية ، أو من ناحية العقيدة والعادات ، رغم أن المتعلمين يحاولون أن يكونوا منفتحي العقل في الحكم على الآخرين كبشر حسب مميزاتهم وصفاتهم ، لأن الناس عادة ما يفحصون ما يعتقدونه بأساليب وطرق غير سليمة ، فنتتهي إلى نتائج سلبية متحاملة على الطرف الآخر .

وقد قام الباحثون من علماء النفس وعلماء الاجتماع بعدة تجارب لقياس مدى التعصب ومدى التغيير الإيجابي فيه مع الزمن . ومن هذه البحوث أنهم عرضوا على مجموعة من الشباب صورة امرأة جميلة وطلبوا منهم الاتصال هاتفيا بها وكانت توقعاتهم قبل أن يبدأوا الحديث معها أن صاحبة الصورة ستكون فتاة اجتماعية وشخصيتها مرحة وأنها جذابة ، ثم عرضوا على مجموعة أخرى صورة امرأة ليست جذابة بل عادية أو أقل من العادية (أو قل قبيحة) على نفس المجموعة فكانت توقعاتهم أن صاحبة الصورة لها شخصية معقدة وأنها جدية وليست اجتماعية ، وكان الباحثون يريدون أن يكتشفوا كيف تكون المكالمات الهاتفية مع هاتين السيدتين وما أثر الصورة على في طريقة الحديث بناء على ما اعتقدوا بعد مشاهدة الصور ، فكان المتحدثون مع " المرأة ذات الصورة الجميلة " يتكلمون بدفء وحرارة وصدافة ، ويغلب على حديثهم الفكاهة وكأنهم يعرفون بعضهم من مدة طويلة وكانوا يحاولون زيادة الوقت في الحديث . أما المجموعة الثانية التي تكلمت مع " المرأة صاحبة الصورة القبيحة " فكان حديثهم بناء على توقعاتهم باردا وجافا وهم محافظون في حديثهم ويشعرون بحرج ، وقد احتاروا في اختيار الكلمات للحديث وكانت المكالمات قصيرة ، وق تم عكس الصور للمجموعتين فكانت النتائج متقاربة كما كان متوقعا ، وأضاف العلماء لمجموعتي الشباب مجموعتين من النساء ، وأجروا عليهن نفس التجربة وعرضوا عليهن صورتين لشباب حسن الطلعة باسم وصورة شاب عادي لا تبدو عليه السعادة فكانت النتائج قريبة من نتائج الشباب الرجال ، ولمعرفة مدى التعصب وأثره في المقابلات للوظائف أجرى العلماء أيضا بحوثا على أشخاص بيض قاموا بمقابلة أشخاص بيض مثلهم مرة ثم قابلوا أشخاصا من لون مختلف عنهم فوجدوا أن البيض كانوا أقل حرارة وصدافة مع السود وكانت مقابلاتهم أقصر من مقابلات السود ، وعكسوا الصورة أمام أشخاص سود قابلوا أشخاصا بيضا وسودا ، وقد سجلت المقابلات بالفيديو لمراجعتها وفحصها فحصا دقيقا ، ولم تكن هناك فروقات بالنسبة لكل المجموعات إلا من حيث عنصر التعليم فكانت المجموعة الأكثر تعليما من الذين أجروا التجربة في كل المجموعات أكثر تسامحا مع الآخر وكانوا لطيفين في المكالمات أو الحديث ، بعكس المجموعات ذات المستوى الأقل في التعليم . ولكن التعصب كان موجودا بين الجميع انما اختلفت مستوياته ، فالتعصب للون أو دين أو أو

جنس هو حقيقة واقعة ولكنه من الصعب التخلص منه نهائياً . لأن النمطية التي تتغلغل مع السنين في فكر الإنسان في بيئته الاجتماعية وتصرفاته تلعب دوراً هاماً في تقبل الآخرين أو رفضهم ، لذا لو قابل عربي يهودي أو العكس لوجدنا فروقاً متقاربة في النتائج حول المجموعتين ، ولظهرت الكراهية المبطنة عند الفريقين عند الحكم على الآخر ، فالمعلومات والخبرات التراثية والعادات والتقاليد المعطاة أو المخزنة في العقل البشري عن الآخرين تؤثر تأثيراً مباشراً على عصبية البشر وحكمهم على الطرف الآخر .

ما الطريقة أو الطرق لتقليل التعصب في مجموعة من الناس سواء أكانوا ذكورا أم إناثا ، كبارا أم صغارا ، سودا أم بيضا عربا أو يهودا أو نصارى ؟ أعتقد أن التعليم أمر مهم ، والمعرفة وتعدد الخبرات الشخصية والسفر والتعايش مع الغير تدعو كلها إلى فهم الآخرين والتعايش معهم بأقل مستوى من العصبية والتعصب . فالفهم المتبادل بين أي فريقين (شعوباً ، منفردين ، أو مجموعات) يقلل من التعصب ويزيد من التفاهم والتعايش مع الغير والتقدير المتبادل لكل تراث مهما بدا غريباً أو مألوفاً ، قريباً منا أو بعيداً عنا ، وهذا في اعتقادي يجب أن يكون من أهم أهداف التعليم في أي بلد شرقياً كان أم غربياً أو متوسطاً في هذا العالم الصغير .

اللغة العربية وسعت كتاب الله

Arabic , the Language of Qur'an

هذه القصيدة قالها شاعر النيل " حافظ إبراهيم " مدافعاً ومنافحاً عن اللغة العربية ، اللغة التي يفتخر بها العرب والمسلمون ويعتزون بها ، فهي تحفظ كتابهم وتشريعهم ، وتعبّر عن علومهم وآدابهم.. حين تعالى الهمس واللمز حولها في أوساط رسمية وأدبية، وعلى مسمع ومشهد من أبنائها واشتد الهمس وعلا، واستفحل الخلاف وطغى، فريق يؤهلها لاستيعاب الآداب والمعارف والعلوم الحديثة، وفريق جحود ، يتهمها بالقصور والبلى وبالضيق عن استيعاب العلوم الحديثة.. ولكن حافظاً الأمين على لغته الودود لها يصرخ بوجوه أولئك المتهمسين والداعين لوأدها في ربيع حياتها بأن يعودوا إلى عقولهم ويدركوا خزائن لغتهم فنظم هذه القصيدة يخاطب بلسانها قومه ويستثير للاءهم لها وإخلاصهم لعرائسها وأمجادها ، واليوم تجابه هذه اللغة الكريمة العظيمة نفس التهجم والنسيان والنأي من أبنائها ، فيقول:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي
وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني
عقمت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت فلما لم أجد لعرائسي
رجالاً وأكفاءً وأدت بناتي

في هذه القصيدة قام الشاعر بتشخيص اللغة العربية فجعل منها شخصاً حياً يدافع عن نفسه ، يتكلم بمنطق العقلاء عن نفسه ، وهي مرة أم جعلها تنعى عقوق أبنائها لها ، وتعلن دهشتها

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

من أبنائها الذين يخوضون في هذا الحديث الظالم ضدها فتقول: بعدما سمعت الضجة الكبرى والحملة الجائرة ضدها فرجعت لنفسها وشكت في أمر نفسها فاتهمت عقلها ولكن من يتهمها بالعقم ليسوا صادقين ، وظهر كذب ما يقولون ، فعلمت أنهم يريدون وأداهم والقضاء عليها ودفنها ، فنادت من أعماق صممتها تنادي قومها ، وبدأت في احتساب حياتها عند الله فيما يدخر لها من طرامة الدوام والاستمرار ، فالعقم ليس من صفاتها ولا من طبيعتها ، مهما اتهمت اللغة بالعقم والحدود ولكنه اضطهاد الشباب بنوعهم المرأة والرجل ففي شبابها لم تعقم يوماً وليتها عقت فهي لن تجزع إذا كان ذلك واقعا أو حقيقة ، ولكنه بعيد عن الحقيقة ، فاللغة لم تجزع يوماً لقول الأعداء ، فهي الودود الولود قافزة الحدود تتجدد في كل عصر وزمان. وكانت للأدب عنوان ، فقد ولدت الكلمات والعبارات كالعرائس الجميلة في ليلة زفافهن ، ولكنها بسوء الحظ لم أجد لها الرجال الأكفاء من بني عمها وقومها ، ومات الجديرون بحمل الرابية ، من ناطقيها والمدافعين عنها ، والحريصين على إظهار مكوناتها فبان عليها الهزال فوادت نفسها حياءً من عشاقها وأبنائها .

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية

وما ضقت عن أي به وعظمت

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة

وتنسيق أسماء لمخترعات

أنا البحر في أحشائه الدر كامن

فهل سألو الغواص عن صدقاتي..!؟

وما زالت اللغة تتحدث عن نفسها وتتعجب ممن اتهمها فتقول أنا التي وسعت كتاب الله (لفظاً وغاية)، فكيف لي اليوم أن أضيق عما دونه كالتعبير عن وصف لآلة أو تنسيق أسماء لمخترعات التي لاتساوي شيئاً أمام ما جاء به القرآن من معان وألفاظ . فأنا البحر الذي كُنَّ في جوفه الدر كامن فهل سألو أهل اللغة العالمين بها عن صدقاتي ..

فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني

ومنكم وإن عز الدواء أساتي

أيطربكم من جانب الغرب ناعب

ينادي بوادي في ربيع حياتي! ؟

أرى كل يوم في الجرائد مزلقاً

من القبر يدنيني بغير أناة !!

وأسمع للكتاب في مصر ضجة

فأعلم أن الصائحين نعاتي!!

في هذه الأبيات توبخ اللغة العربية أبناءها بقولها ويحكم أفنى وتفنى محاسني ومنكم وإن قلَّ الدواء أطبائي ! ، ثم تستفهم مستنكرة أيهزكم ويفرحكم من جانب الغرب صوت الغراب الذي ينادي بدفني حية وأنا في ربيع حياتي ؟ ، فأنا أرى في كل يوم في الجرائد زلة وخطأ يدنيني للقبر بغير حلم ولا رفق ، وأسمع للكتاب في مصر ضجة " وتقصد الحملة الجائرة التي قامت في مصر وهي الدعوة إلى العامية فأعلم أن هؤلاء الصائحين والمنادين هم الذين ينقلون خبر وفاتي..

أيهجرنى قومي عفا الله عنهم

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

إلى لغة لم تتصل برواة! !
سرت لوثة الأفرنج فيها كما سرى
لعاب الأفاعي في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة
مشكلة الألوان مختلفات

ثم عادت إلى عتاب أبنائها باستفهام استنكاري يحرك القلوب فتقول أيهجرني قومي - عفا الله عنهم - إلى لغة غريبة لاتمت ولم تتصل برواة . هذه اللغة التي سرت فيها لوثة الأفرنج أي ما دخلها من ألفاظ أجنبية كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل الماء الشديد العذوبة ، وهنا تشبيه ضمني حيث شبه سريان ودبيب لوثة الأفرنج " الألفاظ الأجنبية " في اللغة وتلويتها لها كسريان ودبيب سم الأفاعي في مجرى الماء الشديد العذوبة فجاءت هذه اللغة التي يريدونها مثل الثوب الذي ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفة .

الى معشر الكتاب والجمع حافل
بسطت رجائي بعد بسط شكاتي
فإما حياة تبعث الميت في البلى
وتبنت في تلك الرموس رفاتي
وإما ممات لا قيامة بعده
ممات لعمرى لم يقس بممات.

وفي نهاية القصيدة ، وبعد أن بسطت شكواها هاهي تبسط رجاءها وتقول : إلى معاشر الكتاب والعالمين بها ، عليهم أن يؤمنوا بلغتهم العربية، وأن يلجوا أبوابها الواسعة المفتوحة؛ ليجدوا فيها السعة والرحابة بكل جديد وعديد، ويعودوا إليها فيبعثوا حياتها وإما ممات لأقامة بعده وتقسم أن هذا الممات لم يقس بممات، فموت اللغة العربية ليس كموت أي لغة ، فموتها هو موت للأمة الإسلامية والمسلم يعرف ذلك . ونظرا لأهمية الموضوع ، فسأقدم القصيدة كاملة . في الصفحة التالية .

القصيدة كاملة للتفكر

The Complete Hafiz Poem

نعيش في عصر بدأ ينخر في عظام اللغات الحية القديمة ومنها اللغة العربية ، فيدعون أن قضية تعريب العلوم الطبية والهندسية ، ومخترعات العصر الحديث ، غريبة عن اللغة ، وما تحتاجه اللغة من أبنائها هو المبادرة وشحذ الهمم وزيادة الجهد من المتحدثين بها، لأنهم يغطون في سبات عميق، وقد بهرتهم لغات الغرب فأصابتهم لوثة الإفرنج القوي، ولم ينتبهوا لدواعي هدم اللغة عند أبنائها على يد الغربيين والمستغربين ، كان ذلك أيام حافظ في بداية القرن العشرين ، مما أحبط حافظ إبراهيم (رحمه الله) وأحبطني أيضا في بداية القرن الحادي

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

والعشرين ، حيث نعجب معا للغة التي إتسعت لذكر كتاب الله وعظاته وسنة نبيه ، أن أهلها والناطقين به تكاسلوا في القيام بواجباتها ، وادعوا قصورها عن استيعاب وصف آلة أو تنسيق أسماء لمخترعات ، ويتحدث على لسان اللغة فيحذر من أن تترك اللغة للزمان فتبلى أو تموت موتاً لا قيامة بعده. وهنا أقدم لكم القصيدة كاملة للتذكر والتفكير للنهوض بها والتغني ببديع جمالها وبلاغة ألفاظها لتكون تاجاً على الرؤوس وعلى كل لسان ، في كل مكان وزمان.

قال حافظ إبراهيم: يرثي اللغة العربية

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني عقت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت ولما لم أجد لعراضي رجلاً وأكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن أي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني ومنكم وإن عز الدواء أساتي
فلا تكلوني للزمان فإني أخاف عليكم أن تحين وفاتي
أرى لرجال الغرب عزا ومنعة وكم عز أقوام بعز لغات
أتوا أهلها بالمعجزات تفننا فيا ليتكم تأتون بالكلمات
أيطربكم من جانب الغرب ناعب ينادي بوذي في ربيع حياتي
ولو تزجون الطير يوماً علمتم بما تحته من عثرة وشتات
سقى الله في بطن الجزيرة أعظما يعز عليها أن تلين قناتي
حفظن ودادي في البلى وحفظته لهن بقلب دائم الحسرات
وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق حياء بتلك الأعظم النخرات
أرى كل يوم في الجرائد مزلقاً من القبر يدينني بغير أناة
وأسمع للكتاب في مصر ضجة فأعلم أن الصانحين نعاتي
أيهجرنني قومي عفا الله عنهم إلى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل فرات
فجاءت كتوب ضمن سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات
إلى معشر الكتاب والجمع حافل بسطت وجاني بعد بسط شكاتي
فإما حياة تبعث الميت في البلى وتنبئ في تلك الرموس رفاتي
وإما ممات لا قيامة بعده ممات لعمرى لم يقس بممات

العلم ومظاهر الحضارة
Science and Civilization

هل يضر العلم بالشيء أو بالأشياء التي لم يسبق لنا معرفتها ، لا بد أن القراءة ممتعة إذا كانت تزيد من معارفنا وتفتح عقولنا وتجعلنا نبحر في خضم المعارف والتصورات أو التخيلات ، اعتبر ما نقرأه من أجل الحس بالكرامة الإنسانية ، والرغبة في العيش كإنسان والتمتع بالوقت والاستفادة من المقروء . لأن مخاوف الإنسان من العلم والمعرفة قديمة قدم الحضارة والآلات . وفي هذا الكتاب فكر إن شئت أن تطلق عليه صفة الفكر الإبداع والإبتكار والتجديد في مجتمع مدني يعتمد المؤسسات والمنظمات لخدمة أهداف المجموعات البشرية في كل مجتمع فأنت حر في تسميته ، كما أنك حر في تكملة جوانب المعرفة فيه .

واليوم يستغل الإنسان الجشع العلم حيث بدأ يحكم العالم ويريد من العالم أن يقلده ويتبعه نهما في جسعه وماديته ، وبدأ التظاهر والادعاء الحضاري يكلف البشرية ثمنا باهظا على حساب الجوهر والمحتوى للحياة . وأصبح العلم شريرا من شؤون الآخرين وتبعهم تابعون يرددون ما يقولون .

إن الحافز الملح والممتع معا هو الإحساس بالاكتشاف الشخصي للقدرات والإمكانات للتغيير . فالرتابة كالتنظريات مملة ، والعلم التطبيقي يجعل للحياة معنى ، اسألوا كتبة المصارف والبنوك ، اسألوا سائقي التاكسي ، اسألوا الرسامين والكتاب عن أعمالهم ، اسألوا الزوجات ، اسألوا المدرسين ، اسألوا الموظفين الحكوميين . هل يتمتعون في أعمالهم الرتيبة ؟ لقد مهدت نظرية الأعداد للعالم هاردي أو تكهنات علم الفلك الفيزيائي إلى مقولة أن العلم التجريدي ليس له علاقة بالممارسات اليومية . اسألوا الناس وستعرفون أن النظرية بلا تطبيق ، هي حياة رتيبة مملة تقود إلى الجنون أو الانعزالية أو الفراق . اسألوا الأدباء عن رأيهم في العلماء النظريين ، سيقولون أنهم جامدون يذهبون لعلمهم صباحا في عالم حيادي مغلق ، فهم " يعرضون أنفسهم للضوء كلوحة التصوير الفوتوغرافي في غرفة التحميض المظلمة أو المختبر يحمضون الصورة" ، ثم على نحو مباغت تظهر الصورة المكتشفة بأحرف بارزة كمعادلة رياضية للطاقة النووية . ولو سألت قراء الأدب الرفيع ، فهل يصدقون إذا قيل لهم أن ما يقرأون هو ما سجلته كاميرا الكاتب وما اخترنته في جوفها من صور ؟ لن يصدقوا لسبب بسيط وهو أنهم يعرفون أن العلماء كإناس يثبتون الحقائق الطبيعية بوسائل ميكانيكية أو عملية .

والعلم بشقيه التجريدي البحت والتطبيقي هو العلم الذي يتم بحثه لاكتشاف الحقائق ، والقدرة على الاكتشاف وصنع الاكتشاف ظاهرتان توأمان ، ولا يمكن لأحد أن يفصلهما عن بعض ، فالمجتمعات مهما كانت نظرياتها متقدمة أو متأخرة فإنه يتم تطبيقها في الحياة اليومية واحترامها والدفاع عنها مهما بلغ بعدها عن النظرية المعرفية التقليدية . فالمظاهر الجديدة قد خلقت معارف يصدقها البشر بحكم نموهم ، فالطفل يقدر السن ، والمرأة تقدر المرء وتعتمد عليه ، والبنات في عنق أبيها حتى يموت هو وليس هي . ذلك هو العلم النظري وهذه تطبيقاته . فهل يستطيع الإنسان رفض العلم النظري والتطبيق في مجتمعه بحجة التغيير ؟ لسبب بسيط هو أن الناس تعارفوا عليه ، وخبروه ، واستفادوا من ممارسته . لا أعتقد أن عقلا

يرمي نفسه إلى التهلكة من أجل تغيير ما يتصور الناس أنه حقيقة مقدسة ، وقد قام العديد من الحضارات على هذا الأساس الاجتماعي التقليدي بشقيه النظري والتطبيقي .

البصيرة والإبصار

البصيرة والإبصار ، البصيرة إبداع والإبصار تطبيق للإبداع ، فرسم اللوحة ينم عن بصيرة الفنان ، والتمتع بتلك الصورة وتنسيق ألوانها وما تحتويه من معان هو إبصار . ومن البصيرة ما فكر فيه كوبرنيكس الذي وجد أنه إذا نظر إلى الأفلاك الكواكب من ناحية الشمس وليس من ناحية الأرض فإن حساب أبعادها يبدو أسهل . ومن البصيرة ما نادى به كبلر في بداية القرن السابع عشر فهو يقول بأننا إذا ربنا سنة كوكب ما ، فإننا نحصل على رقم يتناسب مع مكعب بعده عن الشمس . ومن البصيرة أيضا ما افترضه كوبرنيكس في كتلب له عام 1533 وهو أن "الأرض تدور حول الشمس" وتبعه بعد ذلك غاليليو غاليلي الذي دفع حياته ثمنا لاستعمال بصيرته بعد أن سجن وعذب ولكنهم لم يستطيعوا أن يثنوه عن رأيه دفاعا عن الحقيقة العلمية . وقل أن نجد هذه الأيام من يدافع عن الحقائق العلمية في عصر عم فيه جهل السياسيين ممن استغنوا من حكم الشعوب حيث اتسعت دائرة الجهل حولهم من المتزلفين وأصحاب المصالح من الاستخبارات والقبائل والعشائر التي لا تؤمن بسيطرة العلم ونبوغ العلماء .

مراحل التطور العلمي البشري

إن علوم الكون والفلك والفيزياء المجردة قد مهدت الطريق واسعا أمام التطبيق في الحياة الإنسانية ، وهذا ما أطلق عليه أوجست كومت مرحلة العقلانية من مراحل الإنسانية الثلاث الدينية التقليدية وماوراء الطبيعة والعقلانية المجردة . ومما وصفه بالمرحلة الدينية كان من صفات القرن التاسع عشر في فرنسا حين بدأت النهضة وأصبح مركز الإنسان في المجتمع حسب بناء المجتمع محاط بمعوقات لا تدعه يبتعد عن الخالق في تفكيره ، أي ربط التفكير بمعتقدات الأديان ، وفي هذه الفترة تعلم الإنسان دون تبصر ما ورثه عن الآباء واعتقد بقوة الخوارق الإلهية ، وهي الإيمان بقيمة الموروث أو الإيمان بقوة خارقة ، تفوق قوة البشر عائدة إلى الاعتقاد بأنه يتحكم في الكون ويسيطر عليه . وكانت فرنسا تتبع الطريقة التقليدية في التفكير . أما المرحلة الثانية فكانت مرحلة ما وراء الطبيعة (Metaphysical phase) وتختلف عما عرفت عن أرسطو وغيره من الفلاسفة ، لأن جذورها تبدأ من مشاكل المجتمع الفرنسي التي جاءت نتيجة الثورة الفرنسية سنة 1789 . وهذه المرحلة من تاريخ البشرية اعتبرت الحقوق الإنسانية العالمية للبشر في مرتبة أعلى من من سلطة أي حاكم . وهه المرحلة اعتبرت مرحلة تحري للحقائق لأن الناس بدأوا بإعمال العقل والتفكير ومساءلة تلك القوى الخارقة ، ولكنها لم تكن ناجحة وإن وضعت الأسس للمرحلة الثالثة في نموذج كومت وهي المرحلة العقلية الموضوعية (positivisme) التي اتسمت بمساءلة الدين والسلطات ، وجعلت أساسا لها قواعد علمية لاستعمالها للوصول إلى الحقائق عن طريق اتباع مناهج علمية وقواعد عقلية ، وهي مرحلة تبعت فشل الثورة وتسلم نابليون للسلطات وأصبح الناس يجدون حولا لمشاكل المجتمع الفرنسي وجعلت هذه الحلول أساسا بدلا من الثقة العمياء بالآلهة ومعجزاتهم . وبدأ العلم يفتح آفاقا جديدة للإنسان مبنية على الفرضيات وفحصها حسب مناهج علمية لا حكمية كما كان سابقا . وأصبح فيما بعد نموذج كومت لتطور البشرية في المراحل الثلاث أساس للنظرية الاجتماعية الداروينية ، وقد سماها كومت

بالفيزياء التقليدية واعتبر عمله في المجتمع ليس كعلم اجتما وإنما سماه بفيزياء المجتمع (Social Physic) أو هندسة المجتمع (Social Engineering). ولم يكن ماركس شاذًا عن تلك المراحل فاعتبر العمل وطرق الإنتاج أساسًا لتقوية مراحل التاريخ كما اعتبر تقسيم العمل أساسًا للتطور البشري، حيث قسم المراحل إلى خمسة مراحل تبدأ بالمرحلة البدائية القبلية الذي تنعدم فيه الطبقات حيث تكون صلة القرابة هي المتحكم في الناس، ويكون الرئيس هو القاضي والحاكم والموزع للمؤن وأسباب الحياة، وتتسم المرحلة بالجمع والقطف للثمار من النساء والصيد والتجارة من الرجال، وتوزيع المحصول من قبل الرئيس. ويعتبر ماركس وأنجل هذه المرحلة مرحلة قبلية بدائية يعود فيها تقسيم العمل إلى أفراد الأسرة أو القبيلة. وفي هذا المرحلة تأسست العبودية للأحرار خاصة الفقراء الذين لا ينتمون إلى القبيلة بعد أن بدأ تزايد السكان مع زيادة مطالبهم وحاجاتهم بشكل عاملا هاما في التغيير. وبعد أن بدأ الناس يتصلون بالحضارات الأخرى حولهم. وجاءت المرحلة الثانية بعد الاتصال بين الحضارات حيث قسمتهم إلى غالب ومغلوب وبدأ عصر العبودية الذي أنشأ الطبقات الاجتماعية، وبدأ إنشاء المدن كرها بالغلبة والقوة أو طوعا بالصلح والاستسلام، وبدأ في هذه المرحلة ما يعرف بالتملك أو الملكية الخاصة بشكل مبدئي في البداية ولكنه أكثر تعقيدا في المراحل التالية، حيث كان تمركز الثروة في أيدي القلائل من أصحاب القوة يجعل الملكية تنشيء طبقات تدور في فلك أصحاب القوة والثروة. ومع تزايد الناس المستعبدين نشأت طبقة عمالية ممن كانوا يفلحون الأرض أو يعملون في المصانع لها مميزات تختلف عن الطبقة الأرستقراطية الغنية صاحبة القوة، حيث سماها ماركس بالبوليتاريا.

أما المرحلة الثالثة حسب ماركس فكانت مرحلة الإقطاع وهي كالأنظمة السابقة من حيث ملكية الأرض ولكنها أكبر اتساعا، فتحول الناس من خدم للإقطاعي لعمال يعملون في خدمة الأرض كفلاحين أو أجراء يعتاشون من خدماتهم لصاحب الأملاك من الإقطاعيين. وفي المدينة أصبح الفلاحون عمال مصانع مع تقدم المخترعات والصناعات المختلفة، وأوجد المجتمع الديد نظام التبادل التجاري حسب قوانين الإقطاع. وأصبحت المدن والمجتمعات تتبع المجال الإنتاجي، وأصبحت شروط الإنتاج تتحكم في بعلاقات الطبقات في المجتمع، سواء في الزراعة أو الصناعة، وبدأ استغلال الأيدي العاملة من المزارعين وعمال المصانع لصالح الأغنياء وأصحاب الثروات من العائلات الحاكمة، وكان تقسيم العمل بسيطا فهناك مالك للثروة وهناك طبقة عاملة تخدم صاحب الأملاك في المصنع أو الأرض. وظهرت مرحلة جديدة عرفت بالرأسمالية، وقد ترعرعت الرأسمالية من زيادة التجارة والتبادل التجاري بين الشعوب حيث زادت ثروات أصحاب الثروة وزاد تحكمهم بالعاملين لديهم، وزاد تملل الطبقات العاملة في بريطانيا فقاموا بثورتهم سنة 1640، كما قامت الثروة الفرنسية سنة 1789، وكلاهما أسس مجتمعا يعتمد على البضائع والأرباح، وهي من أسس المجتمع الرأسمالي الجديد، واعتقدت البروليتاريا أو الطبقات العاملة أنها ربحت بعد الثورة ولكن استغلالها زاد عما قبل وبطرق مبتدعة جديدة مما خلق هوة واسعة بين من يملكون ومن لا يملكون. وبدأت ثورة الطبقات العمالية بالمطالبة بتحسين أوضاعهم ولو أدى ذلك إلى الثورة المسلحة لتغيير الحكومات لنيل مطالبهم، وبما سمى ماركس بمرحلة الاشتراكية أو الشيوعية وهي تساوي الناس في العمل وفي الإنتاج واعتبر ماركس هذه المرحلة بأنها النهائية في التطور البشري. ولكن الرأسمالية عادت من جديد تتحكم في مصائر الدول والشعوب يعد سقوط المد الشيوعي المتمثل في الإتحاد

السوفييتي مما زاد من سطوة الرأسمالية العالمية وكان من نتائج العولمية احتلال أفغانستان والعراق ومحاربة المسلمين .

أنواع العنف ضد النساء Violence Against Women

يعتبر العنف ضد المرأة ظاهرة سلبية تظهر في الدول النامية والدول المتنامية على حد سواء ، مع أن حوادث العنف في الأسر تعتبر حالات خاصة تمر بالكتمان في أغلب الأحيان ، حتى أنها لا تنتشر للجيران أو السلطات الرسمية عبر مراكز البوليس أو الصحافة ، ولكن استمرار تلك الحوادث وحجمها قد أخرجها من الخصوصية إلى الرأي العام . وفي هذا المقال يعرض الكاتب ثلاثة من مظاهر العنف ضد النساء في العالم .

أولها العنف الأسري: ففي الولايات المتحدة تقع حوادث اعتداء بالضرب على المرأة كل 18 دقيقة . تعتبر الاعتداءات سببا رئيسيا للجروح والكدمات التي تظهر على وجه النساء ، خاصة النساء بين الخامسة عشرة والخمسين في العمر . ومن خلال ملفات غرف الطوارئ في المستشفيات فإن نسبة 22 إلى 35 % في المائة من حالات حوادث النساء تكون نتيجة لذلك العنف المدني ضد النساء .

وفي البيرو فإن هناك 70% في المائة ، من مجموع الجرائم التي تصل مراكز البوليس تكون لها علاقة متصلة بالاعتداء بالضرب على النساء من قبل أزواجهن، ولا تخل دولة من دول العالم من تخلو من حادث الاعتداء الجسدي واستعمال العنف مع النساء ، حتى أن جمعيات حقوق الإنسان ومؤسسات النفع العام قد شاركت في فضح هذه الأعمال البربرية ضد النساء ، حيث أعلنت أن النساء في باكستان تتعرض للعنف الجسدي وأن هناك تقرير بأن 400 حالة في عام 1993 في مقاطعة واحدة غرب باكستان يقال لها البنجاب . وقد أفادت التقارير أن أكثر من نصف هذه الحوادث انتهى بوفاة الزوجة .

ولم يكن الاهتمام العالمي للمعاملات القاسية للنساء إلا بعد أن نجا لاعب الكرة أو. جي. سامبسون من تهمة قتل زوجته وصديقها في كاليفورنيا بالولايات المتحدة قبل عقدين من الزمان ، حيث كان للخبر أصداءه في الصحافة العالمية التي بدأت تهتم بقضية شائكة تهم العنف ضد المرأة وتدافع عنها ،

وفي العالمين العربي والإسامي ما زالت النساء لأسباب تتصل بشرف العائلة تتحمل العقاب بما يسمى جريمة الشرف ، نظرا لأن شرف الأسرة في الدين مرتبط بشرف المرأة ، وقد تقتل المرأة لمجرد الشك في أمرها بعد إشاعة مغرضة ، فتفقد المرأة حياتها دون دفاع عن نفسها . مما يساهم في زيادة العنف في تربية البنات على مستوى الأقاليم ، رغم أن كثيرا من الدول بدأت بوضع قوانين صارمة لتقليل تلك العادة وهي قتل المرأة من قبل مقرب لها يكون أخاها أو أباه . وبدأ الاهتمام أيضا بتبيان أهمية التربية بالحوار والمعاملات الإنسانية للبنات والبيني على حد سواء ، ووضعت قوات خاصة من الأمن العام لمتابعة هذه القضايا وطلبت من المستشفيات أن تقدم المشورة والتوجيه للجمهور حتى يزيد من التوعية في هذا المجال . وحتى أن بعض الدول أدخلت مسابقات في مدارسها الثانوية تحض على حل المشاكل وعدم

استعمال العنف في حلها ، أما في الدول المتقدمة فقد فتحت المنشآت المجانية ومراكز الاستشارة لاستقبال تساؤلات النساء وتقاريرهن حول العنف ضدهن . والنقطة الثانية في العنف الأسري تتعلق بالطهور ، الذي يتعدى الذكور إلى الإناث في بعض الدول والتقاليد ، ومع أن طهور الفتيات ليس من الدين في شيء فهو مرتبط بتقاليد متوارثة في جنوب مصر والسودان ومعظم دول أفريقيا الوسطى وجنوب شرق آسيا ، وقل أن نجد عادة تطهير الإناث في دولة غالبيتها مسلمون كما يعتقد البعض ، ولكن بعض الحاقدين ممن يكرهون العرب والمسلمين يتهمونهم بهذه العادة رغم أنها منتشرة في نواحي فيها أقليات من المسلمين يمارسون عادت قبلية لا يوافق الإسلام عليها . ويدعي من يقوم بعمليات تطهير الإناث أن العملية تقلل من لذة الفتيات ومن شغفهن في المتعة الجنسية ، وهو حق من حقوقهن عدا عن أن الذين يمارسون التطهير للفتيات الصغيرات ليسوا مهرة بل هم مبتدؤون في أعمالهم وغالبيتهم من الحلاقين في تلك البقاع مما يتسبب في وفاة العديد من الفتيات نظرا للالتهابات والمضاعفات التي تتبع عملية التطهير . وهناك في العالم ما يقرب من 85 إلى 115 مليون فتاة وامرأة تتعرض لهذه العمليات وتقاسي نتائجها النفسية والجسدية ، مما يستدعي اهتماما دوليا على مستوى هيئة الأمم ، وفي كل عام هناك تقديرات تتراوح بين مليونين وثلاثة ملايين فتاة في العالم تتعرض لمثل تلك العمليات الشنيعة ، معظمها في دول أفريقيا وآسيا ، كما أن عددا منها قد حصل في أوروبا وأمريكا الشمالية بين المهاجرين القدامى والجدد من الدول الأفريقية والآسيوية الذين اعتادوا ذلك في تقاليدهم . ففي فرنسا مثلا ، أدين رجل لقيامه بتلك العملية لفتاة فقدت حياتها بعد عملية تطهيرها ، وفي كندا أضافت سببا جديدا لقبول المهاجرين كلاجئين سياسيين إذا تعرضوا لعمليات التطهير وهربوا من ممارستها أو القيام بها .

وقد بدت الكثير من المؤسسات والمنظمات الحكومية والشعبية بنشر معلومات تساعد على منع عمليات تطهير الفتيات ، لما لها من مضاعفات جسدية ونفسية وأخلاقية على الفتيات ومستقبلهن . ويكاد يكون هناك إجماع عالمي على نبذ هذه العادات التي تقلل من قيمة المرأة على أنها إنسان قادر على التفكير وحماية نفسه في المجال الجنسي .

أما النقطة الثالثة فهي الاهتمام بالذكر أكثر من البنت فكم من النساء من تعاني من هذه المسألة ففي الهند تقام عمليات الإجهاض لحوامل الإناث في مئات العيادات ، وتموت المئات من النساء أثناء تلك العمليات أو بعدها نظرا للالتهابات والتطورات الصحية السلبية . ولا يسمى عند العرب أو المسلمين الشخص بأنه أبا لفتاة بل يقال له أبو ذكر ، أي اسم الولد الذكر ، ويتمنى الكثيرون من الأزواج بناء على تلك التقاليد أن تكون المرأة حاملا بمولود ذكر أكثر من تمنياتهم للمولود الأنثى . حتى أن الرجال يطلقون زوجاتهم لحملهن بالإناث ، أو يتزوجون على نساتهم من أجل الولد . وهذه عادات سيئة تقلل من احترام الأنثى في المجتمع ويدعو إلى عدم تعليم النساء وسرعة تطبيبهن في حالة المرض والتقليل من أهمية تغذيتهم كما يفعلوا مع إبنائهم الذكور .

وفي الصين والهند مثلا تقرر كثير من النساء يحاولن عمليات الإجهاض للتخلص من الجنين إذا كان أنثى بينما يبقين حملهن في حالة الحمل بذكر ، لدرجة أن إعلانا صريحا ورد في الصحف لزيادة عمليات الإجهاض ، يقول : من الأفضل أن تدفع مبلغ \$40 دولارا بدلا من دفع \$3000 دولار مهرا لابنتك ، كما وجدت دراسة قام بها أحد المستشفيات في الهند بين النساء اللواتي يقدمن على عملية الإجهاض فكانت النتائج مروعة تدعو إلى التساؤل . حيث إن

أكثر من 95% في المائة من حالات الإجهاض كانت لنساء حوامل بجنين مؤنث . ويعني ذلك أن 4% في المائة فقط يقام الإجهاض لحالات تكون الأم حاملا بالذكور . حتى أن الدول المتقدمة أحيانا تؤكد تلك النظرة الدونية للمرأة ، وقد عرفت نكتة عن محمد علي بطل الملاكمة العالمي حين سئل عن أولاده فقال : ولد واحد وسبع غلطات . وكان ذلك للدعابة وليس مقصودا بالطبع .

النقطة الرابعة في هذا المجال هي المهور وكيفية دفعها ، والمهور هي مبالغ من المال أو الأشياء المنقولة ، فإذا لم تدفع أو قصر أحد الفريقين في دفعها فإن قتالا بين الأسرتين يبدأ ولا ينتهي إلا بعمليات عنف لتحصيلها . بالإضافة إلى أن كثيرا من الزيجات تحصل دون موافقة الفتاة على عريسها الذي تختاره الأسرة دون علمها ، وقد جاءت الأخبار بأن هناك أكثر من خمس نساء في اليوم الواحد يفقدن حياتهن بالحرق أحياء للخلاف حول المهور وعدم دفعها . فيما سبق بينا أربعة ظواهر تساهم في التأثير على مركز المرأة في المجتمع ، وعلى المجتمعات أن تعدل في النظرية والتطبيق في معاملة أبنائها القتي والفتاة بعدالة في التربية وتقديم الخدمات والتقدير الجماعي ، وهذه أساسيات تنبئ بالتحول الحضاري الذي تحاول الشعوب أن تصل إليه ، فإذا حصل التقدم في هذه المجال قل العنف تجاه النساء وذلك مقياس للتقدم الأخلاقي لكل أمة واتباع الأديان في هذه القضايا وليس العادات والتقاليد للحفاظ على البنين والبنات على حد سواء . (1194 كلمة)

الجنس والمساواة بين الرجل والمرأة Gender Equality

عندما يتشكل الغضب أو تنمو مشكلة أو مجموعة مشاكل تدعو إليه وتوجهه فإن فروقا بين الرجل والمرأة في مجالات الجنس والمساواة بين الرجل والمرأة تبدأ في الظهور . وهي حالات نفسية وفسولوجية يختلف فيها الرجل عن المرأة باختلاف تكوينه خلقا وخلقاً . وتعتبر موجة إباحة الجنس قبل نصف قرن أو تزيد ، محاولة يائسة وغير سوية علميا لمساواة الرجل والمرأة في الغرب ، وتحاول كثير من الأقوام والشعوب في التسابق في هذا المجال الذي ينحرف عما عهد في الأسرة الصغيرة والكبيرة على مر التاريخ ، وهم على غير علم بما وراء طبيعة الخلق للذكر والأنثى أساسا ، أو لما كتب لكل منهما من قدرات جسدية أو عقلية أو عاطفية تكتسي بالمشاعر والأحاسيس . ورغم التقدم المشاهد في هذا المضمار ، إلا أن وضع المرأة ما زال بعيدا أميالا طويلة يستحيل الوصول إليه عمليا وواقعا ، لسبب بسيط هو ما يعرف بالهدف الرئيسي بين الرجل والمرأة للوصول إلى ما يسمى بالمساواة بين الجنسين . والمعروف علميا في دراسة علوم الإنسان ، أن الرجل في كل زمان ومكان كان وما زال يتصدر المكان الأول في الدين والسياسة والتربية والاقتصاد والطب والمحاماة والهندسة إلى جانب العديد من الحرف والمهن والوظائف الروحية والنفسية والجسدية . ومع بعض الاستثناءات ، نجد أن الرجال منهم القادة والمدراء وأصحاب الحل والعقد في الأسر والحكومات ، ومنهم صناع الصناعة لما فيه من خدمات للبشر ومنهم من يقف خلف الأمور الفنية في مجالات الصحة والأدوية وما يستعمله الناس في حياتهم مما يبني أجسادهم وعقولهم

ونفوسهم وطموحاتهم . ومنهم محرکوا القطاعات العامة في كل المجالات العلمية والصناعية والمالية مما يتبع علوم الطبيعة في الأرض أو في السماء .

وبناء على ما سبق يرى الناس (رجالاً ونساء على حد سواء) أن المركز الاجتماعي للرجل والمرأة يمثل التابع والمتبوع إلا ما ندر في بعض الحقب التاريخية قبل التاريخ ، واليوم نرى ونلاحظ أن لكل من الرجل والمرأة وجهة نظره وعقيدته أو تصوره نحو نفسه ونحو غيره ، وينطبق هذا على عملية الجماع والمعاشرة الجنسية حيث ما زالت النظرة العلوية لعلاقة الرجل والمرأة كطبق فوق طبق لا طبق مقابل طبق. فالرجل هو المبتدئ بالعلاقات الإنسانية عاطفية كانت أم اجتماعية ، فهو الذي يعرض على الفتاة فيما يعرف بالخطبة وهو المتقدم لطلب يدها للزواج ، وهو الذي يتحمل العناء والمسؤولية ويتكفل بالصراف عليها خلال فترة الزواج أو خارج الزواج ، بما يعرف بالحلال والحرام في الأديان . ففي حالة ما قبل التاريخ كانت المرأة تعمل جنباً إلى جنب مع الرجل ، حيث لم يكن يعرف الإنسان الفروق بين مهمات الرجل وما يقوم به ومهمات المرأة وما تقوم به . حيث إن أعمالهم كانت محدودة للحفاظ على بقاء النوع دون معرفة أو فلسفات حول الدور الأول والثاني في المجموعات البشرية القديمة . فكانت في تلك الأوقات تملك حرية الاختيار في المعاشرة الجنسية دون تحديد لمركز اجتماعي فهي مساوية له ، حيث إن فكرة التمييز بينها وبين الرجل لم تكن واضحة أو غير هامة في نظرهما . لذا فالمرأة كانت مساوية للرجل وكانت تعرض نفسها عليه أو على غيره ممن تحب وتشتهي ، بمثل ما كان يعرض نفسه عليها أو على غيرها ممن يحب ويشتهي . وكانت المعاشرة الجنسية تحقيق لرغبات جسدية لا يستطيع المرء كتمانها فيسعى لتحقيقها عن طريق إرضاء تلك الرغبة خاصة في فترة المراهقة وما بعدها التي قد تطول وقد تقصر عند كل من الرجل والمرأة . وعلى عكس ما هو معروف اليوم من عرض الرجل نفسه على المرأة فهي تستقبل عرضاً يقدم إليها ، فتتظر فيه وتقبله من عدة جوانب إنسانية وجسدية وعاطفية ، وإن كانت ترضى أو لا ترضى ، فإن رضاها أعلى احتمالاً من عدم رضاها ، لأنها تشعر بمركزها الحرج في مجتمها الصغير كعضو في الأسرة أو مجتمعها الكبير كعضو في مؤسسة أو مصنع أو وزارة أو مجال .

قبل نصف قرن أو تزيد قليلاً أو كثيراً حاولت النساء أن تغير من مركزها الاجتماعي فيما يعرف بحركة النساء ، بعد أن تقدمت علماً ومعرفة حتى تساوت مع الرجال ، وحاولت العودة بالتاريخ إلى فترة ما قبل التاريخ حيث إن تقسيم العمل والمسؤوليات والواجبات لم يأخذ اهتماماً كبيراً . وكانت ظاهر تلك الحركة الجانب الجنسي وليس الجوانب الإنسانية الأخرى كالعادلة في المعاملة والمساواة في الحقوق والواجبات وعدم التفرقة في القدرات إذا أتاحت للقادرين والقادرات ، وكان محور رسالة النساء في تلك الحركة المناداة بأنها تملك جسدها ، وأنها حرة في إباحة استعمال ذلك الجسد أو منع استعماله . مطالبة من الرجال الذين كانوا سعداء لذلك القرار فقفزوا على الموجة ينادون بتلك الرغبة الجامحة لممارسة الجنس دون حدود ورقابة من الأهل والحكومات . وهل يريد الرجال غير ذلك من النساء حتى وإن لم يعلنوا عما يبيطنوا ، فذلك أمر يزيد من عبودية المرأة كعضو دوني في المجتمع ، فانحرفت المرأة عن الطريق الواجب عليها اتباعه لتحقيق المركز الذي تسعى إليه من مساواة بالرجل في الأعمال والجوائز من الرواتب والتقدير كعضو لا يقل أهمية عما يقدمه الرجل للمجتمع .

وفي البداية حاول الرجال المحافظون التقليديون أسريا وثقافيا ممن تعدوا البلوغ بسنوات عديدة، حسب العادات والتقاليد ، حاولوا الوقوف أمام تلك المطالب النسوية وقادوا مقاومة شرسة ضد تلك المطالب التي نادى بها ثورة الحريم في أمريكا الشمالية ودول أوروبا : فرنسا، ألمانيا، إيطاليا ، وبريطانيا. وقبلها بأربعين عاما أي في عام 1920 كانت هناك ثورة نسائية أيضا غي الولايات المتحدة الأمريكية ، وكانت لها مطالب مخالفة لثورة الستينات من القرن الماضي ، فقد كانت تهدف إلى مشاركة المرأة في قانون الانتخابات وفتح مجال الإنتخاب في وجهها لتشارك في وضع السياسات التي تهم الرجل والمرأة على حد سواء وهو أكثر حكمة من الثورة الجنسية من النواحي الاجتماعية والأخلاقية.

ولم تأت ثورة الجنس في أوروبا وأمريكا الشمالية من فراغ ، فهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالسر والسحرة ، حيث ظهرت بعض الكتابات الداعية إلى إباحة الجنس بين الشباب البالغين في قصص خيالية سارحة بعيدا في مآهات السحر والخيال ، مما أعطى الرجل والمرأة القوة والعزيمة للمناداة بحرية الجنس ليس بحسب القواعد التي كانت متبعة قبالا مما يعرف من تقاليد حسب الأصول الأخلاقية الأسرية المرعية ، بل إباحة الجنس خارج نطاق الأخلاق الذي تحكمه مؤسسة الزواج . وتبع تلك الثورة من تبعها لأغراض متنوعة وركب الموجة من أراد فأشعلها نارا وابتعد في وصف مميزاتها عن حدود المعروف من المعقول ، فأصبحت الأفكار خيالية لدرجة الذهول ممن يقولوها أو يسمعونها بها ، فكانت من نتائج تلك الثورة ، نبضات تدعو إلى الجنس مع المثل ، وتعدد الاختيارات مع الشريك الواحد أو الشركاء في العملية الجنسية ، وأصبح العري والعهر وتعذيب النفس البشرية من خلال عبادة الجسد تفوق ما توقعه المنادون من رواد تلك الثورة حيث كان من نتائجها زيادة تحقير المرأة وليس زيادة مواساتها ، وسمي الانحراف فنا محترما وعملا تختاره النساء وخاصة صغيرات السن منهن كدافع للانحراف والشهرة وجمع الأموال ، وجلبت ما لم يكن متوقعا من استعباد جديد للمرأة بطرق جديدة مبتكرة من خلال الإعلام الموجه ووسائل الأخبار . وتعرضت الصحة البشرية للخطر بما يسمى مرض الأيدز الخطير الذي يهدد الرجل كما يهدد المرأة والأطفال . وفي نظرة سريعة على مدى حجم الوباء الذي يحمله الأيدز فإن هناك 25 مليون من البشر ماتوا من المرض منذ أن اكتشف لأول مرة عام 1981 ، أي عشرين عاما مما عرف بثورة الجنس حيث كانت العذرية وصمة عار في أوروبا وأمريكا الشمالية . ونظرا للعلاقات الجنسية خارج نطاق مؤسسة الزواج فقد وجد 11.6 مليون يتيم في أفريقيا ، ومع نهاية عام 2007 حققت النساء أخيرا إحدى مطالب ثورتها الجنسية في المساواة مع الرجل فكانت نسبة النساء المصابات بمرض الأيدز مساوية للرجال 50/50% ، حتى أنها فاقت نسبة الرجال في بعض أجزاء من أفريقيا حتى وصلت 59% في عدد الإصابات بمرض الأيدز. أما الشباب الذين تقل أعمارهم عن 25 سنة فيمثلون نصف المصابين بذلك المرض . ولم تستطع المصانع ولا الأبحاث في صناعات الأدوية أكثر من تقديم الخدمات الطبية والوقائية والدوائية إلى أقل من ثلث المصابين منهم (31%).

فالثورة الإباحية للمعاشرة الجنسية لم تصل إلى مبتغاها فبعد أن كانت الفتاة تشعر بالإحراج للحفاظ على عذريتها ، خرجت ثورة مضادة من المحافظين والمحافظات على التقاليد والأخلاق يعززها ما حققه مرض الأيدز من نتائج مبهرة وانتشار معاشرة المثل بين مجموعات النساء ومجموعات الرجال وكثرة جرائم الأقارب من أنصاف الآباء والأمهات تجاه أطفالهم بالتبني أو من خارج عقود الزواج ، والمتاجرة بأجسادهم في أسواق الدعارة

عبر الحدود . وعاد الناس والمرأة خاصة بالعودة إلى قواعد الصحة والتسك بالأسرة ، ولكن الثورة حققت بعض أهدافها ، حيث تغيرت النظرة الدونية للمرأة وتحس وضعها الاجتماعي وزاد عدد النساء المشاركات في تولي المراكز الحساسة كالرجل تماما ولكن بنسب مختلفة ليست كما يجب ، وتتراوح بين 1 إلى 20 في بعض المجتمعات المتخلفة التي وفتت ضد الثورة الجنسية وقاومتها بالأديان والعقائد والتقاليد ، وبين 1 إلى 10 في الدول المتقدمة التي احتضنت الثورات الجنسية وشجعت عليها.

فهل تريد المرأة في بلاد العرب والمسلمين تقليد الغرب فيما سعت النساء إليه من إباحة الجنس وتقليل قيمة الزواج والأسرة فيما يسمى بالحرية والمساواة للمرأة أم يريدون التمسك بأخلاقيات العقائد الدينية وما يقره الذوق السليم من احترام المرأة في المعاشرة الجنسية والصحة النفسية ؟ أعتقد أن الأمر كله في يد المرأة العربية المسلمة وهي حرة في اختيارها ، واعتقد أن ذلك من العدل أن يقال في نهاية هذا المقال .

من لا يريد زوجة ؟

A Wife! Who Doesn't Need?

كنا في الثانوية العامة وهي السنة الأخيرة من الدراسة الثانوية ، وكان موضوع الإنشاء موضوعا شيقا ، والشباب تتطلع إلى المستقبل ، وكانت الزوجة في خيالنا لها مكانة خاصة مليئة بالتصورات السحرية البعيدة عن الخيال ، ولكن حين سئلنا لوضع تلك التصورات على الورق فوجئنا بالموضوع ، فلم يعد التصور بعيدا عن الواقع ونحن نشاهد الزوجات سواء كن أمهات أو خالات أو عمات ، أو جارات ، وكان موضوعي قد نال الإعجاب من زملاء والمدرس الذي أشاد به وما زلت أحتفظ به منذ ثلاثين عاما .

أريدها زوجة لتنظيف البيت ، أريدها زوجة لتحقيق حاجاتي الجسدية ، لتغسل ملابسي ، وتطبخ طعامي ، وتعنتني بأولادي ، تجعل البيت نظيفا دائما ، تجمع حاجاتي وتقوم بغسلها وتنظيفها ، تبقيها مرتبة ونظيفة ومكوية ومحفوظة في مكان مناسب أجده بسرعة في حالة الاستعجال حتى لا أتعب في البحث عنها ، أريدها زوجة تجيد عمليات الطبخ وتحضير الموائد ، أريدها زوجة تجيد التخطيط ، زوجة تعنتني بي إذا مرضت وتفهم تقلبات مزاجي ، أريدها زوجة ماهرة في التبضع من الأسواق غير مبذرة لأموالي وراتبي ، أريد زوجة تخفف عني ألومي ، تسليني في أوقات فراغي ، أريدها زوجة ترافقني في رحلاتي وترافق أسرتي وتكون رائدة في تنظيم الخطط لإسعادي وإسعاد أولادي تنفيذ تلك الخطط بمهارة وإتقان ،

أريدها زوجة لا ترغمني على معاشرتها جنسيا كلما اشتهدت ذلك ، أريدها زوجة تستسلم لي وتستجيب لرغباتي ، كما وأن تفهم موقفي حين أكون منزعجا أو متعكر المزاج ، أريدها زوجة تتحمل المسؤولية ، تحترم الالتزام بموانع الحمل ، ولا تفاجئني بحمل غير مخطط له ، أريدها زوجة نظيفو روحيا وجسديا على طول المدى ، قلبا وقلبا ، أريدها زوجة مخلصلة لي زلعلاقاتي معها ، لا أن تقفز أسوار العفاف في علاقة مع الجار أو أي شخص آخر رجلا كان أم امرأة ، فقطعني في أعز ما أملك من عزة نفس . أريدها زوجة تحترم مواعيدي وتحترم صمتي إذا صمتت وسكت ، تحترم رغباتي فلا تتذمر من سوء أفعالي ، أريدها زوجة تتذكر عيد ميلادي وتقوم بالاحتفال بها وتسجل نجاحاتي ، ولا تزن في إذني في كل وقت هفواتي ، وأخطائي.

أريدها زوجة لا تضايقني بكثرة الشكاوي حول صحتها وواجباتها وعملها ، وتغير مزاجها ، وفراغ أوقاتها ، أريد زوجة تصغي إلى قولي حين أتحدث إليها ، خاصة حين أشرح شيئا أو أصف بعض المنغصات التي تعترض سبيلي ، في الدراسة والعمل والعلاقات مع الآخرين ، أريد زوجة تحرر مقالاتي وتراجعها وتطبعها ، تعيد صياغة ما كتبت وما أكتب ، أريد زوجة تهتم بشؤوني وعلاقتي مع الناس خاصة حين دعوتهم لحفلاتي وأعياد ميلادي ، تتحدث إليهم بود ومحبة ، وتجعلهم يفضون وقتنا ممتعا ومسليا ، أريد زوجة لا تقاطعني أثناء الحديث ، ولا تتخذ رأيا معاكسا لرأيي ، أو ما أنادي به من أفكار ،

أريدها زوجة تقرأ لأولادي قبل أوقات النوم ، تسهر على راحتهم نهارا وليلا ، تغذيهم برغبة وعدم شكوى ، أريد زوجة تحترم ضيوفها وتكون مضييفة طيبة تعمل في خدمتهم في زيارتهم لي ،

أريدها زوجة تتفنن صنع المشروبات لي ، مثل الشاي والقهوة وغيرها مما أحب وأستمع ، أريدها لطيفة المعشر أريدها زوجة تفهم حاجتي للوحدة ولو ليلة واحدة أكون بعيدا عنها وحيدا ،

أريد زوجة حساسة لحاجاتي الجنسية ، زوجة تتفنن المعاشرة الجنسية دون تأفف أو حياء أو تدين ، أريدها زوجة تتعري تماما حين نلتقي لعملية الجنس ، لا أن تتلفع بملابس تعيق العملية الجنسية والاستمتاع بها ، وأن تخلع ملابسها بغنج ورغبة ، أريدها زوجة تيسر الأمور الجنسية لا أن تزيد من تعقيدها ، وتكون راغبة فيها لا أن تظهر وكأنها تقوم بعمل روتيني لا يستدعي تحضيرا ومزاجا حساسا مليئا بالحب والود والمرح ،

أريد زوجة لا تغضب من سخافات بل تسترضيني وتخفف من توتري وغضبي ، أريدها زوجة صافية المزاج دائما لا متقلبة الأمزجة .

أريدها زوجة لا تعمل خارج المنزل ، أريد زوجة تقوم بخدمتي بعناية وتحضر احتياجات البيت لي ولأولادي بصدر رحب ، أريدها قادرة على تنويع الطعام واللباس بما لا ينهك ميزانيتي . أريدها زوجة تفهم أنني بشر لي طموحاتي وغرائزي ، وحيي للتغيير ، أريد زوجة تعتني بأولادي إذا غابت عن المنزل لأسباب عملية أو ترويحية ، أو حتى عند انتقالي لحضن امرأة أخرى حسب رغبتني وإرادتي ومزاجي ،

وأخيرا أريدها زوجة لا تغضب إذا قررت يوما أن أنتقل إلى امرأة أخرى للتنوع وكسر الملل ، دون اعتراض منها أو نقد أو غضب أريدها زوجة تفهم انتقالي لامرأة لها صفات المرأة التي بدأت الزوجة بالتخلص منها أو النفور من ممارستها .

أريدها زوجة كاملة الأوصاف لكل ما سبق ذكره ، عندها أقول : بالله عليكم من من الرجال من لا يريد زوجة بتلك الصفات ؟ (744 كلمة)

فكر القاعدة
والإسلام والمسلمون

Al-Qa'idah, Islamic Legacy & Muslims

هل يختلف فكر العلماء المسلمين عن فكر مؤسسي القاعدة والأصوليين في اتباع آيات القرآن وتفسيرها ، لا أعتقد ذلك. خذ مثلا الآيات الكريمة الواردة في سورة 60 آية 1-5 ما يلي: قال تعالى: "ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ومن يتولهم منكم فإنه منهم يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أدلة على المؤمنين أعزة على الكفار ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون في سبيل الله لومة لائم ". أعتقد أن مفكري تأسيس القاعدة من الأصوليين يفهمون معنى الآيات ويفقدون ما فيها فهل يمكن إنكار هذه الآيات التي تبين أن من يتخذ من المؤمنين (المسلمين) أحدا من اليهود أو النصارى وليا له أي حاميا له وموجها لسياساته وظروف حياته فإنه منهم أي تبع دينهم وملتهم ، كما تؤكد الآيات على هذا ارتداد عن الدين فمن يرتد عن الدين باتباع اليهود والنصارى باتخاذهم أولياء فإن العقاب سيأتي من الله حيث يستبدل المرتدين بقوم حسب مشيئته ، فهم يحبون الله والله يحبهم ، ومن صفات هؤلاء الناس أنهم لا يتخذون من اليهود والنصارى أولياء من دون الله ، فهم يعاملون المؤمنين أمثالهم بالحسنى ويقفون من الذين كفروا (المرتدون الموالون للنصارى واليهود) موقفا حازما بالاعتزاز بدينهم ، لذا فهم اعتبروا أنفسهم من هؤلاء القوم الجدد الذين استبدلهم الله بالموالين للنصارى واليهود ، وعليه فإنهم حين يقفون أمامهم إنما يجاهدون في سبيل الله وأنهم لا يخافون من لوم اللاتمين لهم. ألا يؤمن كل المسلمين بتلك الآيات ؟ وسؤالي لعلماء المسلمين الذين يتدافعون لإظهار أنفسهم بأنهم يحترمون الأديان الأخرى هو: كيف تفسر هذه الآيات بغير ما ورد في تفسيرها عبر القرون . فهل يستطيع العلماء المسلمون إقناع العالم بأنهم يحترمون الأديان الأخرى وهم يؤمنون إيمانا عميقا بأن القرآن هو كلام الله الذي نزل على عبده . لست أدري . لعلمهم يأتون بالآية الكريمة التي تقول في سورة الحجرات - آية 13 " ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم". لكي يبعدوا عن أنفسهم أثر الآيات السابقة عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء . أم أنهم سيأتون بالآية الكريمة في سورة البقرة – آية 256 والتي تقول "لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي". والآيات السابقة تحض على قتالهم والجهاد في سبيل الله ضدهم. أم يأتون بالآية الكريمة التي وردت في سورة البقرة – آية 285 والتي تقول: "أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ". كاعتراف باليهود والنصارى من خلال الاعتراف برسولهم . لست أدري. بل لعل العلماء المسلمين سيأتون بالآية الكريمة التي وردت في القرآن الكريم في سورة البقرة أيضا – آية 136-137 تخاطب اليهود والنصارى " قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى

وعيسى فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ..". وهي تصور اليهود والنصارى بأنهم لن يصبحوا مسلمين وأنهم لن يهتدوا بهدي الإسلام ، والدليل أنهم ما زالوا يعتقدون بما لا يعتقد به المسلمون من الإيمان بما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ، بل هم ينكرون على الإسلام أنه دين كأديانهم . لست أدري كيف سيكون موقف العلماء المسلمين من هذه الآيات التي لم ولن تتغير في وصف اليهود والنصارى .

وفي اليهود يقول الله تعالى في سورة الجمعة – آية 5 "مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله " . فكيف يغير العلماء المسلمون فكرتهم عن اليهود الذين شبهوا بالحمير تحمل كتباً قيمة ولا تدري مدى قيمتها ، وهم من حملوا التوراة ولم يؤمنوا بها؟ وكيف يدافع العلماء المسلمون عن أنفسهم وهم يأخذون بما جاء في القرآن الكريم من كلام الله تعالى ؟ لست أدري!

وفي النصارى يقول الله سبحانه في سورة العنكبوت – آية رقم 70-71 : " يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ، يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون". وقال تعالى في نفس السورة – آية 73 : " ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم " . فكيف يرد علماء المسلمين على هذه الآية ، واليهود والنصارى لا يتبعون دين الإسلام ؟ وما رأي علماء الإسلام في تفسير الآية الكريمة في سورة آل عمران – آية 85 التي تقول: " ومن يبين غير الإسلام دينا فلن يقبل منه " . فالله لن يقبل من العباد إلا دين واحد هو الإسلام ، أما الأديان الأخرى فليست منه في شيء إلا إذا اعتبرنا الإسلام لله عند كل رسله يعني تسليم النفس والروح لأمر الله تعالى والانقياد لمشيئته وهذا التعريف قد يدخل بعض تابعي الأديان الأخرى في الإسلام وإلا فغير المسلمين يعتبرون خارج دائرة الإسلام . إضافة إلى ذلك تقول الآيات القرآنية في النصارى في سورة المائدة – آية رقم 72-73 " لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ، لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد " . والنصارى اليوم في أوروبا والأمريكيتين وفي أنحاء العالم بين داع للمسيح بأنه الله ، أو داع للمسيح بأنه ثالث ثلاثة . فكيف يفسر العلماء المسلمون هذه الآيات حول النصارى . وكيف يكون الإخاء بين النصارى واليهود والمسلمين؟ إنها مهمة شاقة ليس إلى حلها من سبيل . فالأديان المتبعة حاليا يناقض أحدها الآخر . ففي الدين اليهودي ورد في التوراة سفر (أشعيا 52) : استيقظي استيقظي ، إبسي عزك يا صهيون ، إبسي ثياب جمالك يا أورشليم لأنه لا يعود يدخلك في ما بعد أغلف ولا نجس " والأغلف هو النصراني والنجس هو المسلم . فكيف يوفق اليهود بين الأديان في المؤتمرات التي تجمع الأديان الثلاثة ؟ كما يقول التوراة " للأجنبي تفرض بربا ، ولكن لأخيك لا تفرض بربا " (تثنية 23) ، "أبناء المستوطنين النازلين عندكم تستعبدونهم مدى الدهر وتتخذون منهم عبيدا وإماء أما إخوتكم من بني إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف " (لاويين 25). فهل هذا كلام الله يدعو للعنصرية والربا واستعباد البشر ؟

وفي النصارى واليهود يقول الله تعالى في سورة المؤمن آية 23- 35: " يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب والفضة ". ويقول في سورة البقرة – آية 113 " وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب فانه يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه مختلفون" . فهل يستطيع علماء المسلمين دفع هذه التهمة عن النصارى واليهود ، فكلام الله سبحانه لا يتبدل ، وهو واضح وضوح الشمس في سماء صافية . فهل تأتون بالآية الكريمة التي وردت في سورة آل عمران مثلا – آية 64 والتي تقول: " يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون" حتى ترفعوا عن أنفسكم ما تعرفونه عن اليهود والنصارى من أن قادة دينهم من الأحبار والرهبان يأكلون أموال الناس ويكنزون الذهب والفضة ؟ لست أدري . فهذه الآية تكرر المعنى السابق وهي الاختلاف الواضح بين أهل الكتاب الذين رفضوا الامتنال لأمر الله وهم لم يأتوا إلى كلمة سواء ، وهي الإيمان بالله وعدم الشرك به . كان الله في عون العلماء المسلمين ، فهم في حرج كبير . لعلهم يأتون بالآية الكريمة من القرآن التي وردت في سورة لقمان – آية 27 والتي تقول: " ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة " . حتى يثبتوا أن أصل المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم من خلق الله وقد خلقهم من نفس واحدة ، لذا فالمسلمون لا يفرقون بين المسلمين وأصحاب الأديان الأخرى . أو يأتون بالآية الكريمة في سورة النساء – آية 85 التي تبين الأخلاق الإسلامية في التعامل " إذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها " .

وخذ الإيمان بالقضاء والقدر عند المسلمين حيث ينبع من الآية الكريمة الواردة في سورة آل عمران – آية رقم 26 والتي تقول: " اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير " . فانه سبحانه حسب الآية الكريمة هو الذي يعطي وهو الذي يأخذ وهو الذي يرفع وهو الذي يخفض مقامات الناس وهو الذي يعز وهو الذي يذل ، فبيده الأمر قادر على كل شيء . فكيف نفسر تقدم الغرب في هذه الأيام وتأخر الشرق حسب الآية الكريمة ؟ فهل تقدم الغرب بمشيئة الله ؟ وهل تأخر الشرق (ومعهم المسلمون) بمشيئة الله أيضا ؟ وعليه يجب التسليم بما جاء في الآية الكريمة . وأن القول "وتلك الأيام نداولها بين الناس " .

عيسى عليه السلام في القرآن الكريم:

قال الله تعالى في سورة المائدة – آية 110 " إذ قال الله : يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس ، تكلم الناس في المهدي ، وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني ، وتبريء الأكمه والأبرص بإذني ، وإذ تخرج الموتى بإذني ، وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين " .

وفي نفس السورة - آية 112 " إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا قال

عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وأية منك وارزقنا قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ، قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ، إنك أنت علام الغيوب " . ثم يتابع عيسى كلمة في نفس الآية " ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ، أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد ، إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم " .

حول الأنبياء وعددهم في الآيات 18 رسولا : الأنعام 83-87
ملاك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل وذريته ، داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ، وإسماعيل وإليسع ويونس ولوطا كلا فضلنا على العالمين "
المائدة – آية رقم 44 "إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله ، "
المائدة آية رقم 46 " وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناها الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين " .
المائدة –48: " وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيما عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا شريعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم في ما آتاكم " .
المائدة 64 : " وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ... " .

العقائد والحياة

Beliefs and Life

هذا المقال ضرورة للفصل بين العقيدة الفاسدة والعقيدة الصحيحة ، ونختم به هذا الكتاب، حيث إنه لكل شيء في هذه الحياة حدود زمانية أو مكانية لا يمكن تحديها ، بل يجب الاعتراف بها والتسليم لها ، فعمر الإنسان قصير إذا قورن بالمخلوقات الطبيعية الأخرى كالقمر والشمس والنجوم والأشجار والجبال والسهول والبحار . وباختصار فإن الإنسان يمثل جزءا يسيرا في هذا الكون الخالد فهو ليس مطلق الوجود ولا مطلق الخلود . إذ لا يوصف بالخلود شيء غير خالق الأكوان ، ومن نعم الله تعالى على البشر أن جعلهم قادرين على استغلال باقي المخلوقات لخدمته ، من خلال ما وضعه الله تعالى في الإنسان من عقل يعقل به حيث إن باقي المخلوقات لا تستطيع تغيير مسارها الحياتي أو تتدخل في تغيير الطبيعة والبيئة ، فبواسطة العقل يستطيع الإنسان من خلال الدراسات التطبيقية والاستنباطية والاستدلالية والتفكير النقدي والتمحيص واتباع مناهج علمية لتذليل الصعاب التي تقف أمامه أو تعترض سبيله ، كل ذلك لا يتأتى إلا عن طريق استعمال العقل والعيش بسلام مع نفسه ، مع أسرته ، ومع مجتمعه ومع العالم الفسيح شرقا وغربا شمالا وجنوبا ، ولا يكون الإنسان إنسانا ما لم يكن في سلام مع عقيدته ، مع خالقه المتصف وحده لا غيره بالخلود السرمدى.

العقيدة والعقل البشري

كما يستطيع الإنسان بواسطة عقله الذي وضعه الله فيه وخلق به ، أن يقارن بين المحدود المؤقت وبين اللامحدود ، الدائم ، الخالد بسهولة ويسر إذا استعمل ذلك العقل ، فيصل إلى حقيقة دامغة وبرهان ثابت أنه كبشر ليس خالدا وأنه محدود نظريا وتطبيقيا ، فنظريا لا خلود للبشر على هذه الدنيا ، والمسلمون يؤمنون بالآيات الكريمة التي تقول: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (آل عمران: 185) ، و"كل نفس ذائقة الموت" (آل عمران: 18) و (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ" (الجمعة: 8) و قوله : " كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ " (سورة الرحمن 26 ، 27) و "إنك ميت وإنهم ميتون" و "أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة" فهذه حقيقة دامغة لكل من يتحداها ، أو يريد أن يثبت عكسها. وهي واقع ملموس يوميا يثبت ضعف الإنسان وحقارته في تحدي الخالد الذي خلقه وجعله خليفة على هذه الأرض أو ما يسمى بالحياة الدنيا التي نعيشها ، ومهما طالت تلك الحياة فإنها آيلة إلى نهاية . حيث إن لكل بداية نهاية، ولكل قوة ضعفاً ، ولكل حياة موتاً.

وقد قال الشاعر المعري على لسان آدم أبو البشر ، قبل قرون :

نحن بنو الأرض وسكانها منها خلقنا وإلينا نعود

أما تطبيقيا فهي إثبات لوضوح عدم قدرة الإنسان وعجزه عن التحكم بعمره والإطالة به ليجعله خالدا ، وهذه بعينها تعتبر حقيقة ساطعة نختبرها يوميا من صفحات الوفيات للأغنياء

والفقراء ، وللمؤمنين والملحدين ، على حد سواء . وهذه الحقيقة تستدعي من الإنسان التفكير فيما هو خالد ، أبدي سرمدي ، لا يأتيه الوهن ولا الضعف والموت . وهذا التفكير كفيل بأن يصل بالإنسان إلى حقيقة الله الخالق الخالد سرمدي ، خالق الأكوان ، ولنا في القرآن الكريم موعظة حسنة حيث يقول الله تعالى : " قل سيروا في الأرض ، فانظروا كيف بدأ الخلق " (العنكبوت: 20) ، والنظر هنا ليس بالبصر فقط ولكن بالبصيرة وهي أساس التفكير الواعي بواسطة العقل . ورغم اعتقادي بأن العقل قد لا يتفق مع العقيدة أحيانا إذا انفلت في التفكير فيما وراء الطبيعة ، إلا أنه غاب عن الساحة في كثير من المجتمعات الإسلامية والعربية لمثل تلك المحاولات وعن استخدام لإصلاح البشر وحل مشاكلهم عن طريق البحث والتجربة وعن طريق التحليل والمقارنة واستخدام الزمان والمكان ، والبحث عن الحلول الواقعية ، وأكتفي بما هو معروف تقليديا بأن العقيدة هي تعبد واستغفار وسكينة ، بينما أهمية العقل البشري تقع في استعماله والنظر في الطبيعة وأسباب تغيرها وفي المجتمعات والمؤثرات التي تغير من سلوكياتها . فالأديان لم تأت لخلق الصراع بين البشر ، وإنما لتقليلها وتهذيب أخلاق الناس للتفكير في الغير وحل المشاكل الدنيوية عن طريق العقل ، وما الاجتهاد إلا طريقة ومنهج للبحث عن الأسباب لصنع القرار ، ولا تكون الحلول بالطلب من الله تعالى أن ينزل المطر إذا شح وجوده ويبيست الأرض ، وزادت حرارة الشمس ، فللطبيعة قوانينها ، ولا يغير الله من هذه القوانين إلا إذا شاء ، ولكن البشر قادرين على التفكير بجلب الماء من مصادر قريبة بالتعاون بين الدول ، وتبادل المنافع من حيث التشجير وفتح القنوات بين مصادر المياه ، وفي كثير من الأحيان بنيت السدود في الماضي وتبنى في الحاضر لحفظ المياه التي حسب العقيدة لا يرسلها إلا الله كما يشاء وليس كما يشاء البشر . ولكن ضيق العقل الانساني في بعض العقائد تلجم العقل وخلاياه عن التفكير العملي في حل مشكلات الحياة للأفراد والشعوب والحكومات . فانه لم يحدد الأجور للعمال ولم يعط الأغنياء ما حصلوا عليه من أموال ، ولم يعط ملكا لأحد ، إذ ليس الأغنياء في كثير من الأحيان بأصحاب عقيدة ولا الحكام كذلك ، ولكنهم أعطوا عقلا للمساعدة على حل المشكلات الفردية والجماعية في المجتمعات . وألهموا بعد تقدم العمر أنهم بشر كالبشر ، يحتاجونهم ، فوجود الأسواق والتبادل التجاري بين الدول ما هو إلا تحقيق عملي لإشغال العقل لتطوير التعاون والتبادل بينها ، وبما أن العقيدة وحدها لا تقيد دون العمل ، وأن العمل يحتاج تخطيطا باستعمال العقل إلى جانب العقيدة فإن الاكتفاء بالعقيدة يقلل من قيمتها عند النظر إلى أهداف الأفراد والمجتمعات والدول التي تتشارك فيها عقائد كثيرة فدعو إلى التناحر والصراع على الأرض والثروة ومنايع المياه ومصادر التغذية.

فبدون العقل لا يستطيع الإنسان القراءة ولا الكتابة ولا التفكير ، وقد بدأ الإسلام بالحث على القراءة في أول آية نزلت على رسول الله محمد (ص) في بداية سورة العلق التي تقول: "اقرأ باسم ربك الذي خلق". (العلق: 1) وهي دعوة لاستخدام العقل في الفصل بين ما هو خالد بلا حدود وما هو فان بحدود زمنية ومكانية . وكلما نما الإنسان وانتقل من مرحلة إلى أخرى زادت قدراته العقلية على التعلم واكتساب مهارات عقلية وجسدية ، بعكس مخلوقات الله الأخرى ... فالجبال والوديان والبحار والشمس والقمر ليست محظوظة كحظ الإنسان الذي اختصه الله بالعقل فلم يحظ به غيره من الخلق . فالإنسان بعقله شق الجبال وحفر الأنفاق ، واستعمل الطاقة الشمسية للدفع والحرارة ، واهترع آلاف الابتكارات من أجل راحة الإنسان

في الدنيا ، وعلى الناس في كل مكان النظر إلى خارج الحدود المنظورة ليروا فرص التعاون للبقاء لا لاحتكار الموارد لفئات قليلة تنسم بالغباء أو العرقية أو القومية .

العقيدة والروحانية

كانت وظيفة الأديان والعقائد وتأثيرها على البشر روحيا ومعنويا لزيادة قدرة الإنسان على الاستفادة من قواه الروحانية خلال نموه العقلي والجسماني ، وهذه القوة النامية في تطور الإنسان من مرحلة إلى أخرى ، تنقل الإنسان من مرحلة ضعف إلى مرحلة قوة ، وكلما تقدمت به العمر ازداد قوة في الحكمة واستعمال العقل ، فكل مرحلة من مراحل النمو الإنساني وانتقاله من عام إلى عام آخر تعتبر نعمة من الله خالق البشر وخالق السموات والأرض ، خالق كل شيء .

وبما أن الإنسان غير دائم في هذه الدنيا التي نعرفها ونتعاش معها ، فقد قدم الله له بديلا ليكون خالدا يوم القيامة ، وذلك باتباع الطريق المستقيم والاختيار الأقوى نحو الخلود ، فالإنسان يستطيع الوقوف ضد الأعمال السيئة سواء من قبل الأفراد أو الجماعات حتى تصل أو تتضمن الحكومات ، ويقف ضد ما تجلبه الثروات على النفس ورغباتها ، أو ضد الأسلحة الفتاكة التي تستعملها الدول والحكومات للفتك بغيرها ظلما وعدوانا ، وكل هذه التأثيرات يستطيع الإنسان مهما قل شأنه صاحب العقيدة بأنه لا خالد إلا وجهه ، وما نحن إلا مسافرون من محطة مؤقتة إلى محطة دائمة ليس لها نهاية ، ففي مواجهة كل هذه التأثيرات يستطيع الإنسان المؤمن التغلب عليها ووقفها عند حدها ، لأن قوة الإيمان مستمدة من قوة الله الخالدة بخلوده ، وهو المتحكم في مصائر البشر والأمم قديما وحاضرا ، وهو صاحب القوة الوحيد الذي لا يستطيع أحد آخر أن يشاركه فيها ،

قصص مترجمة

الطبيب والمریضة الشقية - قصة قصيرة قصة مترجمة للدكتور حسن يحيى

كان المرضى يأتون إلى عيادتي لأول مرة ، وكل ما لدي هو اسم أحدهم وهو محمود ، حيث جاء إلي يقول: أرجوك يا دكتور ، إنها ابنتي ، مريضة جدا أرجو أن تأتي لترأها . فالتقط حقبتي المعتادة وفيها سماعة وبعض الكمادات والأدوية كاليود والمقويات مناهضات الجراثيم والفيوسات في حالات البرد الشديد أو الانفلونزا الحادة ، وفيها جهازان لقياس النبض وضغط الدم ، وبعض اللفافات من القماش اللين وبعض الأكياس القطنية . وحينما وصلت مع محمود إلى بيته ، قابلتني أمه ويبدو عليها الكبر من خلال الشعيرات البيضاء التي تظهر من تحت غطاء الرأس ، كما تبدو عليها النظافة وتنظر إلي بتوسل وتقول: هل هذا هو الطبيب ، يا ولدي ؟ تفضل بالدخول . وأرجو أن لا تؤاخذنا يا دكتور ، وأن تعذرنا ، فحالتنا لا تسر الصديق ، ولكن البيت كان نظيفا والأغراض مرتبة تدل على ذوق رفيع رغم فقره ، وقالت الأم : تعال يا دكتور فالفتاة في المطبخ لأنه أكثر دفئا . فالطروف أحيانا تكون أكثر بردا في الغرفة الداخلية ، ودخلت إلى المطبخ حيث كانت تستلقي الفتاة التي لا يبدو إلا وجهها فقد كانت على الأرض بجانب طاولة المطبخ الصغيرة ، ويبدو عليها الهزال والكسل ، فقام الأب محمود بحمل البنت ووضعها على ركبتيه وغطاها بغطاء ثقيل وهو يحضنها إلى صدره ، فخلعت معطفي ونظرت إلى محمود ووالدته فرأيت أنهما يظهر عليهما شيء من القلق وكأنهما لا يتفان بما سأفعل ، أو هكذا تهيا لي من نظراتهما ، فطمأنتهما وقلت ما تعودت عليه في معظم هذه الحالات : يبدو أنها بخير ، فلا تقلقوا ! ما بالها ؟ كيف حصل ذلك ؟ وهل كانت طبيعية بالأمس ؟ ولم يبد منها أي رغبة في المساعدة ، فأنا الطبيب ويجب أن أعرف ما في الفتاة من مرض . ولو عرفوا علاجها لما جاء الأب محمود إلى عيادتي والطلب مني لمرافقته لرؤيتها .

وكانت الفتاة تنظر إلي بعينيها الباردتين الواسعتين وكأنها تستغرب وجودي ، وكان تنففسها يتسارع بشكل غير عادي ، ووجهها محمر قليلا أكثر من المعتاد ، ولاحظت بلامستها أنها مصابة بقشعريرة حادة وجسمها دافئ أكثر من المعتاد ، وكان للفتاة شعر ذهبي يلف حول رقبتها ، فأخرجت سماعتي واقتربت منها ، ووضععت السماعة على صدرها الصغير ، وهي تبدو كالصورة الجميلة على إعلانات الصحيفة الأسبوعية ، وقد علمت أن السخونة عليها منذ ثلاثة أيام حسب كلام الأب ، وحين لم تتغير إلى الأفضل اهتم الأب بزيارتي وطلب العون للمساعدة ، كما أن الزوجة أعطتها بعض الأدوية مع مرقة الدجاج ، فأنت تعرف الحال في مثل هذه الأمور . ولكن حال الفتاة لم يتغير ، كما أن السخونة كانت منتشرة بين الأطفال في الفترة الأخيرة ، وأحببنا أن نخبرك لتخبرنا بحالها وما جرى لها .
وكما يفعل الأطباء ، رأيت أن أعطيها علاجاً وسألت:

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

هل كان لديها ألم في الحنجرة؟ فأجاب الأب والأم معا بصوت واحد:
لا! لا قالت أن حنجرتها لا تؤلمها. ثم وجهت الأم السؤال إلى الفتاة قائلة:
هل حنجرتك تؤلمك؟ ولكن تعبيرات وجه الفتاة الصغيرة لم تتغير ولم تحرك حتى عينيها عن
النظر في وجه الطبيب فسأل الأم:
هل حاولت فحصها؟

حاولت ، قالت الأم ، ولكني لم أستطع اكتشاف أي شيء.
وكما يحصل في العادة فلدينا عدة حالات ديفتريا في المدرسة التي ذهبت الفتاة إليها ذلك
الشهر وقد كنا جميعا وكان ذلك واضحا أن نفكر في ذلك. ولكننا لم نسمع البعض يتحدث عن
ذلك.

حسنا، قال الطبيب، دعونا ننظر إلى المنجرة أولا.... وقد حاولت أن أبتسم كطبيب مختص ،
قدر استطاعتي ، دعونا نسأل عن اسم الفتاة الأول . تعالي ، خديجة ، إفتحي فمك ودعيني
أنظر إلى حنجرتك.

لا تعمل شيئا.

لا تبدأ أي المشاكل، افتحي فمك واسعا ودعيني أرى. وفتحت ذراعي لأريها أنني لا أحمل شيئا
في يدي ، فقط افتحي فمك ودعيني أنظر .
إنه طبيب ماهر حنون ، قالت الأم ، أنظري كم هو لطيف في التعامل معك. هيا افعلي ما
يقوله لك ، فهو لن يضرك في شيء.

وفي تلك الأثناء حاولت تماسك غضبي لعدم استجابة الطفلة ، فضغطت على أسناني غضبا،
وهو ما أستطيع فعله، ولوأنهم وجدوا كلمة غير الأذى لساعدوني في موقفي ، ولكني لم
أستعجل أو أنزعج وكنت أتكلم بهدوء وببطء اقتربت من الطفلة مرة أخرى.

وحركت الكرسي الذي أجلس عليه إلى الأمام ، لأكون أقرب من المريضة ، وفجأة مدت
الطفلة يديها نحو عيني تريد إيذاءهما ، ولكن يداها لم تصل لحسن الحظ ولكن كادت أن تصل
إلى عيني . وفي الحقيقة أصابت يدها نظاراتي فطارت ووقعت على الأرض. على بعد مني
على أرضية المطبخ القريب ، ولكنها لم تنكسر، وعندها شعر الأب والأم بإحراج شديد من
تصرف الطفلة ، فقاما بالاعتذار .

أنت فتاة شينة ، قالت الأم توبخ ابنتها ، فأخذتها من يدها وهزتها. أنظري ماذا فعلت مع
الرجل الطيب الذي يحاول علاجك.

يا لله قلت مشدوها . لا تقولي أنني رجل طيب ، وتزايد لهاث الطفلة خارجا من حنجرتها
بصعوبة ، فظننت أن الدفتيريا تقوم بعملها ، وتكاد تقتلها، ولم يكن يهمها شيء، فقلت للطفلة
المريضة :

أنظري هنا..... أريد فقط النظر إلى حنجرتك فأنت عاقلة وفي سن يسمح لك أن تفهمي ما
أقول . فهل تفتحين فمك واسعا لأرى . إنك حرة الآن ولا ترغميني على فعل ذلك غضبا
عنك. ولم تتحرك الطفلة ولم تتكلم، ولم تعط أي انطباع أنها فهمت ما أقول. ولكن تنفسها اشتد
أكثر عما كان قبلا..... وبدأت المعركة مع الطفلة فعلي أن أقوم بذلك ... وأن أرى
حنجرتها لعلاجها ، ولكني قلت للأبوين اللذان يحيطان بي ويشاهدان ما يجري،

إن الأمر بالكامل متروك لكما . وشرحت لهما أخطار المرض ، وقلت أنني لن أصر على
فحص الحنجرة وأنهما يتحملان المسؤولية . فإذا لم أقم بعملي هنا فليكن الهاب بها إلى

المستشفى ، فشعرت الأم بالمتعاض من تصرف ابنتها . أما أنا فقد ابتسمت قليلا فقد حاولت جهدي مع الطفلة الشقية ، ولم أفجح . زقد وافق الأبوان على ما أنا فيه ، فقد شاهدا ما فعلته الطفلة وهي تقاوم الطبيب . ولكن الأب حاول استطاعته ، كان رجلا ضخما وكانت الطفلة ابنته ، وكان محرجا من تصرفاتها ، وتقبل أن يرغمها الطبيب بأي وسيلة على فتح فمها بل شجعه على القيام بذلك . فالدفتيريا التي أصابت ابنته جعلته يوافق على مساعدتي في النظر إلى حنجرة الطفلة من جديد . وبان على الأب الإرهاق من الانتظار ، بينما كانت الأم تتحرك بعصبية إلى الأمام وإلى الخلف خلفنا ، وتضع يدها على رأسها وكأنها تفكر ولكن لم تصل إلى قرار . فقلت للأب .

ضع الطفلة أمامك وفي حضنك قم بذلك فورا واقبض على راسيها .

ولكن حالما قام بذلك حتى صرخت الطفلة بجنون ، إنك تؤذيني لا تقم بذلك . أتركوا يدي قلت لكم أتركوني ... وظهر الغضب عليها ، أوقف ذلك ! توقف عن ذلك . فأنت تقتلني ...

هل تظن أنها تستطيع التحمل ... دكتور ؟ قالت الأم .

أنت أخرجي من هنا ، قال الزوج لزوجته ينهرها ، هل تريدان أن تموت الطفلة بالدفتيريا ؟

هيا ... الآن إمساكها جيدا . قلت بصوت تبدو عليه الجدية .

وبعدها أمسكت رأس الطفلة بيدي اليسرى وحاولت بواسطة القطعة الخشبية أن أدخلها بين أسنانها ، وحاولت مرارا فلم أفجح ، فأنا أعرف كيف أصل إلى الحنجرة لفحصها ، ولكني وصلت بصعوبة هذه المرة ، ولكن الطفلة زادت شراسة ، وفي النهاية وصلت الملعقة الخشبية إلى حيث يجب خلف السن الأخيرة ، ونهايتها قريبة من حفرة البلع أعلى الحنجرة ، وكانت قد فتحت فمها على اتساعه ، ولكني لم أر شيئا ، وضغطت الطفلة على القطعة الخشبية حتى كسرتها بأضراسها ، وحولتها إلى شظايا صغيرة ، قبل أن أستطيع إخراجها من فمها .

ألا تستحي ، قالت لها الأم بصوت عال . ألا تستحي من تصرفاتك الطائشة أمام الطبيب .

أعطني ملعقة فضية أو من أي نوع ، قلت للأم . علينا أن ننتهي من هذا بسرعة . فقد كانت الدماء تملأ فم الفتاة ، فقد كان لسانها قد جرح وهي تصيح بأعلى صوتها ، كما مسا من الجنون أصابها ، ربما كان علي أن أكف عن القيام بأي شيء وأعود بعد ساعة أو أكثر ، فقد تكون حالتها أفضل عندئذ ، ولكني كان لدي طفلين آخرين بدون عناية في سريريهما ، ولديهما نفس الظواهر المرضية ، وبما أن شعوري كان يحتم علي أن أعالج الفتاة الآن وأن لا أعاني منها أكثر أعدت جهودي للقيام بعملية مرة أخرى ، ولكن كان الأسوأ في هذا كله هو أنني فقدت أعصابي وكأني فقدت عقلي ، فقد كنت قد قاربت على إيذاء الطفلة ، بيدي وأنا متمتع بذلك ، لقد كانت متعة أن أقوم بعملية بمهاجمة الفتاة ، فقد كان وجهي يحترق من المحاولات السابقة .

كانت الفتاة الشقية تريد أن تحمي نفسها ضد غباؤها ، أو كما يقال ضد نفسها ، فهي ضرورة اجتماعية أحيانا ، ولكنه عمى جنوني ، يشعر البالغ بالحياء لا يريد إظهار سمات البلوغ ، وقد استمرت بذلك حتى النهاية . وفي آخر المطاف حاولت أن أستقوي على الطفلة فأمسكت عنقها وحنكها ، وأرغمتها على استقبال الملعقة الفضية لتدخل في فمها والوصول إلى أسنانها ، وما أن وصلت الملعقة إلى حلقها ، حتى ثارت وامتألت فتحات أنفها بغشاء مخاطي ، وأصرت

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

على منعي معرفة سرها ، فقد كانت تخفي التهاب حنجرتها المريضة لمدة ثلاثة أيام على الأقل وتكذب على والديها حتى لا تتعرض لما تتعرض إليه الآن.
والآن كانت الفتاة تظهر مرتبكة ، وكانت في موقف المدافع قبل أن تبدأ الهجوم، تحاول النهوض من حضن والدها وتطير نحوي بينما كانت دموع الهزيمة تمنع عينيها من النظر.

أسس صناعة المواطن العظيم

البحث عن العظمة هو حلم الشباب ، سواء أكانت تلك العظمة عقليا أو جسديا ، بمعنى أن العظمة قد تكون في جمع الثروات ، وقد تكون في تحصيل العلوم ، والسير قدما نحو العظمة ما هو إلا الوظيفة الجادة للرجال . فمن تبع العظمة المعنوية العقلية ، إنما يتبع العظماء في كل مكان ، يسافر إلى بلاد بعيدة للحصول على إنتاجهم والاستفادة من عبقرياتهم ، إذا كان ذلك ممكنا ، للتعرف على أفكارهم من خلال كتبهم وتعليقاتهم ومخترعات أفكارهم . وكلما زاد تحصيلهم زاد تقويمهم لأنفسهم كبشر يفكر ليعيش أو كما يقولون "ياكلون ليعيشوا" لا العكس ، لأن العكس يقرب الإنسان من منزلة الحيوان ، الذي يعيش ليأكل.

وقد يكون هناك لغات حية ، تساعد على الفهم والبحث عن العظماء وأعماله ، وقد يكون هناك مكان تنبت الدولارات على أشجاره ، كمناجم الذهب في جنوب أفريقيا ، والثروة في مناطق أبار البترول في الخليج ، وقد تكون الأحوال الجوية في جبال لبنان تساعد على التمتع بجمال الطبيعة ، وهذا صحسح ، ولكن الإنسان لا يسافر ليرتاح ماديا ، أو لكي يكون ثريا أو ليتمتع بجمال الطبيعة وصفاء السماء ، وكلها أشياء جميلة ومحبية للنفس ، فإنه يتطلع إلى حيث الناس والعمارات أو المنازل التي يسكنها بشر مثله لهم أحلام كأحلامه ، وهنا تكمن العظمة في التعلم وتزداد ثروات العقل فتشكل قوة المعرفة ، ومن أجل ذلك يستطيع الشاب بيع كل ما عدا ذلك ويشترى المعرفة بكل ثروات الدنيا . لذا فالإنسان يسافر من مكان لآخر قريب أو بعيد من أجل هدف روحي أو مادي.

أما إذا رأى أحدنا العظمة في جني الثروات ، وفي النظر إلى ما في أيادي الغير ، وحب الذات ، وأنانية النفس والتغلب على الآخرين ، فإن الأحلام تكون خيالية لدرجة قد تحطم حياة الأفراد والمجموعات وقد تؤدي بحياة الإنسان إلى حتفه ، فلا يرى شيئا جميلا إلا وكان ملونا بألوان الثروة مهما كانت قليلة في البداية فتغلق أبواب القناعة في عقولهم وتفتح أبواب الطمع وتخلق مناهج الغرور ، وتنشط خلايا استعباد البشر عند هؤلاء ، فيزداد ظلمهم فيسحقون أحلام الغير بأنانيتهم ، ويدوسون آمال الغير لتحقيق مآربهم ، ويتباهون بانتصاراتهم مهما كانت صغيرة .

ويبدأ السباق بين هؤلاء وهؤلاء ، بين طامع في العظمة عن طريق العقل والقناعة ، وبين طامع في العظمة عن طريق العاطفة وحب الذات والأنانية ، بين من يصبر على الأذى حتى يصل إلى ما يريد من عظمة ، وبين من يظلم الناس حتى يصل إلى الثروة والسلطان ، فالمعرفة في المدينة حيث الناس كثيرون والمنافسة كبيرة ، وإن كانت العظمة أحيانا موجودة في الأرياف تتجلى في الفلاح الذي يستيقظ مبكرا فيحمل فأسه ويشق القنوت المائية لسقاية زرعه وأشجاره ، ويعتني بها حتى تؤتي أكلها ، يعمل بعرق جبينه ، ويعود مرهقا في نهاية اليوم ليجد زوجته وقد حضرت له الطعام فيأكل هنينا مريئا ، ويضطجع وهو يلعب أبناءه حتى يقترب موعد النوم فينام دون مشقة ليكون جاهزا في اليوم التالي للعمل بنشاط . إلا أن المدينة أفسى ظروفها من الأرياف ، فالوظائف تنقرع وأكثرها يعتمد على الحرفة والمهارة التي لا تكتسب إلا عن طريق المعرفة والتعلم . حيث يتنافس الموظفون وعددهم يزيد يوما بعد يوم على وظيفة واحدة ، ولا يحصل عليها إلا من أثبت بالبرهان أنه قادر على القيام بها . وقد

قيل فوق كل ذي علم عليم ، أي أن المعرفة والمهارات تتناسب مع خبرات الناس ومستويات تعليمهم ، ولا يفوز بالوظيفة إلا من يستحقها ، بعكس الأرياف في هذا المجال ، حيث المطلوب من المهارات هو القوة الجسدية والعضلية لأن العمل لا يحتاج إلى عقلية مليئة بالمعرفة ، وإن لم تخل من اكتساب المهارة الجسدية في شق الطرق أو حفر الأرض أو زراعة النبات ، فهي أيضا تحتاج إلى دراية ومعرفة ومهارة لكنها إذا قيست لوظائف المدينة فهي لا تحتاج كبير عناء ولا إلى دراسات معقدة ، وقد يفوز بها كل من كان على قدر من الصحة والجسد السليم وإن كانت بالواسطة أحيانا إلا أن مؤهلاتها تختلف عن مؤهلات الوظيفة في المدينة . وليس من حسنات المدينة أن يبقى الناس جهلاء فيزيد عدد الشحاذين فيها فيسيء إلى منظرها ، ويزيد عدد الفقراء في بيوتها وعماراتها ، فنقل مواردهم ، ولا بد للناس من تحصيل العلوم ليحصلوا في المستقبل على ما يريدون للبقاء من ملابس ومأكل ومشرب . وكلما زادت نسبة العاطلين عن العمل أو أكثر عدد الجاهلين زاد عدد الفقراء مما يسيء إلى مستقبل المدينة ، فالأموال كالدينار والدرهم والدولار في المدينة لا تثبت على أغصان الأشجار ، غنما تأتي عن طريق العمل والمهارات التي يتخصص الناس فيها ، فيتقنونها ليحصلوا على أركان العظمة التي يسعون إليها .

ولعل الأديان تتحمل قسطا كبيرا من عناء زيادة المعرفة وغرس الفضائل وزراعة القناعات عند البشر حتى لا يكونوا أنانيين أو طامعين إلى ما في أيدي الغير دون حق . والأديان مسيحية أو يهودية أو إسلامية أو بودية تكون ضرورية في بناء السلوك البشري وتحسين العقل الإنساني بالمعرفة وحب الآخرين دون النظر إلى أجناسهم وألوانهم وعقيدتهم وجنسهم . ويعتبر طالبوا المعرفة في شتى مجالاتها ، كمن يدخل سوقا تجاريا فيه العديد من البضائع المختلفة ، ولكل منها سعر خاص بتلك البضاعة ، فالمتسلح بالعقيدة يرى أن صفاء التفكير ما هو إلا تطهير للعقل البشري ، فالإنسان يكون له حرية الاختيار لما يريد ولكن بحدود ما يملك من ثروات ، ومن الناس من يستطيع النحت والرسم في مجالات الفنون ، ومن يستطيع التفكير لحل المشكلات اليومية ، فلكل مادة دنيوية هناك من صممها وصنعها وأفنى عمره في إتقانها ، ووظف العقل في تحسينها وتقليل ثمنها لتكون لكل الناس مهما كانت مداخيلهم ، ومهما تعددت أذواقهم . أي لها أصولها ونشأتها ، واعتمادها على فكرة من عقل مستنير وبحث متواصل.

فوافقت أذواق الناس واعتبروها ضرورية في الحياة . فكثرت صناعاتها وزاد توزيعها وتم استعمالها ، وقل سعرها مع الأيام وامتلكها معظم الناس في المدينة والأرياف ، خاصة بعد جني المحاصيل بعد عمل شاق ونشاط مستمر .

ودعنا الآن أن نبحر في وصف الخدمات التي تقدم في المجتمعات ، ولكن مع التذكير بخطورة هذه الخدمات أو الدراسات التي تنمي العقل وتزيد من المعرفة البشرية ، فالإنسان نبيل تنمو مواهبه كما تنمو الورود والأشجار ، فتكبر أغصانها ، وتورف أرقابها ، تمتد ظلها للناس ليتمتعوا في تلك الظلال ، فالناس كما يقال ينمو كشجرة النخيل ، داخليا وخارجيا ، وفي كل صيف تظعم الشجرة أصحابها وجيرانهم ومعارفهم ، فإذا زادت ثمارها وكثرت أشجار النخيل استفاد زارعوها من جنيها فوزعوها مقابل أثمان في الأسواق القريبة والبعيدة ، أو جعلوها تصنع في صناديق جميلة صحية مغلقة . ويجب أن لا يطغى حب الثروات من المحاصيل الزراعية أو صناعة الخدمات مما يستعمله الناس على حب الناس والشعور بمشاعرهم ، وحب تعليمهم وتطوير مهاراتهم في مجالات الحياة المتنقلة . ولا

تصنع الأشياء عادة ولا تقدم الخدمات من شخص معين ، ولكن الناس يتعاونون مع بعضهم البعض لصناعة شيء أو زراعة محصول أو جني محاصيل ، فالتعاون بين أفراد المجتمع أساس للتعرف بينهم وبسط أوامر المحبة بين أفراد الأسرة الواحدة والمجتمع الواحد ، ويكون التعاون انعكاس لبسماتهم ومشاعرهم بالرضا ، كما يكون انعكاس لمطالبهم وأفكارهم ، فكل إنسان ينظر إلى مهارات الآخرين وهو لا يملكها ، فيبتقنها ويفيد غيره بها . وكلما زاد انعكاس العلاقات على الناس بالحسنى والفائدة زادت علاقاتهم قوة بينهم والتفاهم أصبح دينهم والمساهمة في بناء مجتمعهم أصبحت من أهم واجباتهم فصلاح مجتمعهم وزادت سعادتهم .

كل عضو من الأعضاء البشرية في الجسم البشري يتشابه مع الأعضاء الشبيهة بها في كافة أنواع البشر مهما طالت قاماتهم أو قصرت ، ومهما زاد وزنهم أو نقص ومهما تعلموا أو لم يتعلموا مهما اختلفت ألوانهم أو أديانهم أو أجناسهم . خذ مثلا الرئتين التي يتنفس كل إنسان عن طريقها ، فهما صغيرتين تتشابه مادة ووظيفة ، وكذلك الكبد الذي يصفى الطعام عند كل مخلوق بشري ، يتشابه بين الناس حجما وعملا ، والمعدة فهي صغيرة الحجم تستخدم عند كل الحيوانات والبشر لهضم الطعام ، تتشابه عند كل الناس مادة ووظيفة أيضا ، وكذا العيون واليدان والأذان والأنوف والذراعان والسيقان كلها محدودة القياس تتقارب في صفتها وطريقة عملها . فالأحرى بالإنسان أن يتعظ بما يملكه الناس وما يملكه هو بنفسه ، فليس هناك عضو يدوم أبدا ، وليس هناك عضو يقوم بعمل عضو آخر ، أو عضو يختلف في وظيفته عن العضو الموجود في كل البشر ، فإذا تتبعنا هذه الفكرة بالتأكيح سنصل إلى نتيجة واحدة لا تستدعي منا تفكيراً عميقاً ، وهو التعاون مع الآخرين نظرا لما نحمل من عناصر تقوم بوظائف متشابهة بين كل الناس ، فلا نراهم من علو ولا ننقص من قدرتهم أو نقلل من احترامهم . فنحن وهم سواء بسواء ، لدينا ما لديهم وتقوم أعضاؤنا بمثل ما تقوم به أعضاؤهم ، فلا يجب التعالي عليهم ، والتقليل من أقدارهم . فحسن الخلق حسب العقائد يعتبر الناس سواسية في الخلق والوظائف الفسيولوجية . وإن كانت العقول والأدمغة تتفاوت في طرق بحثها وتعريفها للأشياء إلا أنها تتشابه في طرق التفكير من حيث استغلال الخلايا العصبية والوريدية في عملية التفكير ، فكلما زادت المعرفة وتم تحصيل العلوم زادت ملكات الفرد في استخدام الأدمغة والخلايا العقلية فتنتج أفضل النتائج للبشر جميعا .

ويختلف الناس حسب نشأتهم في بيئاتهم ، فمنهم محافظ على التقاليد ، ومنهم من توسعت مداركه وسافر وتعلم فرأى وخبر وتمرن على أفكار كثيرة واكتسب مهارات عديدة ، فاختر أفضلها مما يقترب من العدالة الاجتماعية ، وحقوق الإنسان ، وحب الناس ، والتعاون فيما بينهم والتأخي هعن طريق التعايش السلمي بينهم . فأطلق الناس عليهم عقلانيين أو مفكرين أو متحررين من التقاليد والعادات ، وهم بعكس التقليديين المحافظين الذين يؤمنون بالعقائد والعادات والتقاليد مهما كانت منحرفة عن طريق المنطق ومناهج العلم التطبيقية في طرق البحث والتدقيق . لا يطبقون إلا ما قبله العقل بعد تمحيص وتدقيق . أما من حيث المداخل فترى أناسا أقبلت الثروات عليهم من أنفسهم أو من كونهم ورثة لأغنياء من أسرهم وعائلاتهم بدون تعب أو مجهود ، وهناك أناس حصلوا على الثروات عن طريق الجد والعمل المستمر ، وهم مختلفون عمن يصبحون أغنياء عن طريق الحظ والمقامرة أو النصب والاحتيال على عباد الله .

وفي الإسلام يقول الله تعالى في القرآن الكريم "وما من دابة إلا على الله رزقها" فتقسيم الأرزاق على رب العباد ، وقال أيضا أن لكل أمة من الأمم بعث نبيا لها ورسولا بلغه قومه ، وفي العصر الحديث خاصة في الغرب ، اعتقد الناس بأن لهم أنبياء يتكلمون لغتهم في فرنسا وبريطانيا وأمريكا الشمالية وفي مدن بعينها كباريس ونيويورك ولندن واليابان ، وما لف لفهم من العواصم في شتى بقاع الأرض بصورة متفاوتة ، وطبق تعاليمهم عن طريق العلوم والتفكير المنطقي ، ونبذ الفكر اللاهوتي الداعي لعبادة الله والالتزام بأمره ، فأصبحت حياتهم مادية لا روحية ، سعدوا بها كطريقة حياة ومنهاج سعادة ، فأنبياؤهم اخترعوا لهم طرق حديثة تختلف عن طرق الأنبياء الذي أرسلوا من عند الله ، فالأنبياء الجدد أصبحوا يجعلون المادة لا الروح أساس في التعامل ، فهم يدعونها روح التجارة ، وروح الأموال ، وروح القوة المادية . فكان داروين نبيا وكان ماركس نبيا وكان نابليون نبيا وكان آدم سميث نبيا عند هذه الأقوام والدول والمدن .

العرب تحت مجهر المغتربين في المهاجر .
عرب يا رسول الله :عرب

مقامة المغتربين

يعيش العرب في المهاجر أمريكا (الولايات المتحدة وكندا) وعيونهم على بلاد العرب . وفي كل يوم يشعر العرب أنهم منبوذون أو يتساءلون عما يرون ويسمعون ويقرأون عن أحوال العرب في شئون حياتهم السياسية التي تغلب على كل ما سواها من شؤون اجتماعية أو اقتصادية .

والعرب يشاركون في القنوات الفضائية ليمضوا أوقاتهم في مشاهدة الأخبار السياسية للعالم العربي من قنوات متخصصة في نقل البلاوي والمشاكل التي تواجه الشعوب وتمضي معظم وقتها في مشاهدة المسلسلات العربية والتركية وهي لا تقل عن الأخبار السياسية في محتواها وفي تصوير الظلم بأشع أشكاله ، فالأغنياء يملكون القرارات التي تسير الفقراء منهم ، وتبين سيادة الرجل على المرأة في كل شأن حياتي وخاصة ما يتعلق بالعواطف المكبوتة للانثى العربية ، ومدى تسلط الآباء والأمهات في السيطرة على أبنائهم وبناتهم ، والتعامل مع مشكلاتهم بما يراه التراث المهترئ الذي يقصد القوي ويستهن بالضعيف . لدرجة أن المهاجر العربي يريد أن يدفن وجهه في التراب حتى لا يرى ولا يسمع ولا يقرأ .

مساكين هم القاطنون في المهاجر ، يظنون أن بلاد العرب قد تغيرت كما يتغير العالم من حولهم ، فيفاجأ بأن أحلامه ما زال يدوسها الإعلام العربي كما تدوسه حوافر خيل الحكومة وأزلامها ، فتصفق له وتحلل القضايا العربية بأساليب فاسدة لا تسمن ولا تغني من جوع ، ويتصدر البعض فيقدم حلولاً لمشاكل أسبابها معروفة لدى جميع العرب في شرق البلاد وغربها .

وفي المهاجر يعيش المئات بل الآلاف من العرب ممن غيروا طرق حياتهم وساهموا في إرساء المنطق والعقل في معالجة قضاياهم ، ولديهم العوامل والخطوات العملية لكل قضية في حياتهم كما في حياة الشعب العربي الذي ما زال يعيش حسب التقاليد والعادات مما يدعونه التراث ، وكان التراث أصبح إليها لا يجوز الخروج على طريقة معالجته للقضايا الإنسانية ، وما زال الغني يأكل مال الفقير ويتمتع بعرقه ويستغله أفسى استغلال في مكان العمل وطريقة الحياة ، وحتى الأحلام بدأ العرب في كل أوطانهم المصطنعة بحدود شائكة بدون أسوار ، فالمصري ما زال يقول مصر أولاً ، وكذلك باقي المواطنين في كل دولة أو دولة أخرى ، فالمسافر من بلد إلى آخر وهم كثر في الأونة الأخيرة يعرف مدى مقاساة المسافرين عبر حدود البلاد العربية ، حتى فيما يدعى بدول مجلس التعاون أو مجلس الخلاف الخليجي . فما زال الوقت بعيداً عن تحرير العقول حول قيمة الإنسان وكيفية التعامل معه ، وكان الحكومات تقصد أن تضع أسوأ الناس أخلاقاً وأكثرهم جهلاً في التعامل مع البشر في مراكز الحدود ، حتى يبأس المواطن العربي من التمتع بحرية التنقل والسفر ،

مساكين من يعيشون في المهاجر وهم يرون إخوانهم يغلفهم القهر ويغطيهم التسلط ويسمهم التعسف بأظافره الحادة ، حتى جعلت المسكنة والتذلل من صفاتهم . ولعل بعض العوامل في

بقاء الأحوال على حالها تنحصر في لقمة العيش التي يقابلها سكنين الواسطة ، ومنجل التفضيل لأبناء الأسرة والعائلة والمؤيدين للسلطة وانتشار الفساد بين أزام السلطة وتجار البلد في كل دولة ، مع غياب العدالة الاجتماعية التي تغطي بلاد العرب شرقها وغربها .
والأمر الثاني هو غياب التخطيط للبرامج ليشمل كافة أفراد الشعب بمختلف فئاته ، واستغلال المداخل من أجل التسلي والرفاهية للأغنياء ، وكأن الله أعطاهم قدرات خفية ليكونوا أعلى من غيرهم وأكثر مالا وأقوى سلطة من غيرهم ممن لا يملكون قوت يومهم ، فنتركهم يتزلفون لأصحاب المراكز وأصحاب السلطة مقابل إذلالهم والدوس على كرامتهم .
وهذا عامل يشترك فيه المواطن العربي أينما كان ، فعنصر الوطنية أصبح كالعصاة السحرية لزراعة الكراهية بين الجاهلين من المواطنين بدوا أو ساكني مدن على السواء ليميزوا عن أصحاب العقول والمهارات من الدول الأخرى مما يعرف بالأيدي العاملة من أصحاب المهارات والتخصصات التي تخدم المواطنين دون مقابل كالاحترام ومساواة المواطن والمهاجر إذا كانوا متساوين في التعليم أو الكفاءة .
ولو أخذت أي بلد من البلاد العربية فستجد أن ذلك دستور تراثي ، حتى في المجتمع الواحد، بين دوسري وبدون وبين أبناء العائلات أو أبناء الأغنياء ، مع أن الجميع نظريا متساوون، ولكن التطبيق طالق بالثلاث عند التنفيذ. والعربي في البلاد العربية مهان بينما الأجنبي الذي لا يعد عربيا مكرم بزيادة رواتبهم مما يفوق رواتب المواطنين أحيانا وتزيد على الضعفين أو الثلاثة أضعاف من راتب العربي من دولة عربية شقيقة ، مع أن الخدمات تكاد تكون متشابهة ، ولكن النظرة إلى الأجنبي (خاصة البريطاني والكندي والأمريكي) كأنه أفضل من المواطن ، ومن العربي معا ، وأن العربي لا يستحق التقدير أمر لا فراغ منه لتبشير الأمور التراثية ، وزرع الكراهية بين الإخوة من البلاد العربية ، أنظروا في أنفسكم ألا ترون ؟ هل عميت أبصاركم ، فلم ترون شمس الحقيقة التي تؤدي إلى العدل؟ عرب يا رسول الله

عرب .
وقد لمس العياد من العرب الذين خدموا البلاد التي يعملون فيها ، ورأوا بأعينهم تلك التفرقة بين مواطن ومقيم ، وبين عربي وأجنبي ، وبين المواطنين أنفسهم ، وأصبح معظم الحكام وأولادهم وأحفادهم ومن يدور في فلك سياساتهم رجال أو نساء أعمال ، يسلمون أمور إدارة أعماله لأجانب من أوروبا ، وخاصة الأمريكية والبريطانيين والكنديين وغيرهم .
وقد عمل كاتب هذه السطور في عدة جامعات عربية فكان راتبه يقل عن نصف رواتب المثيلين له ممن يحملون نفس الشهادات العلمية من جامعات غربية ، ورغم أن خبرتهم تقل عن العربي إلا أن العربي ينظر إليه نظرة سلبية تقلل من احترامه لنفسه وتقلل من كرامته وتساهم في قرفه من الأنظمة العربية التي تمارس هذه الأعمال الشائنة في أكثر من دولة عربية (كدول الخليج وليبيا مثلا)، حتى أن اللغة العربية بدأت تعاني الحذف والنسيان في معظم جامعات العرب وتحل محلها اللغات الأجنبية خاصة الإنجليزية ، حتى سئم العربي أن يكون عربيا مع هذه السلوكيات الطائشة من متقلي السلطة وأزلامهم ، وفي مجال المرأة ومعاملتها أمور لا يمكن التغاضي عنها ، وهي أضعاف في قناطر الظلم منها للرجال . عرب يا رسول الله عرب!

بينما نسمع عن توزيع البلايين في بعض الدول (الغنية الموارد) على مواطنيها مؤخرا نقدا أو بضاعة في زيادة الرواتب والإعفاء من القروض البنكية ، وفتح الجامعات وإقامة العروض وكان البلايين الموزعة صدقة من الحكام أصحاب الثروات ، فأين هذه الثروات خلال

الخمسين سنة الماضية ، وما هذه الثروات إلا ما تملكه الشعوب ولكنها مملوكة للحكام الذي أسأؤوا الحكم وتمتعوا بالفساد مع من حولهم طيلة عشرات السنين دون أن يسألوا عما يصرفون وعما يكنزون وعما (يلهفون) من صفقات الأسلحة أو البضائع المستوردة من الشركات العالمية باستقبال الرشاوي بدموماسية على مستوى السفراء والوزراء وليس من الصعب ملاحظة الثراء على المتصلين بالحوامات ، خاصة رجال الجيش والشرطة والمخابرات ممن لا يزيد تعليمهم عن الثانوية العامة فيسلموا مراكز لإدارة حقوق الشعوب وأعمالهم بطرق ملتوية وسيطرة متعسفة في تطبيق القوانين الفردية لا المتعارف عليها حسب الدساتير الورقية التي تستخدمها الدول التي أقل ما توصف به: دول من القش ، أو من الدمى الكارتونية التي يشكلها من يرسمها ويشكلها كما شاء من جهات داخلية أو جهات خارجية ، مساكين الذين يعيشون في المهاجر ، يظنون أن أحوال الشعوب العربية قد تحسنت ، فإذا بالجهال يترقون ، والفاسدين يسودون، والفقراء ممن يبيعون ذمتهم يستغنون ، والباحثون عن الأعمال عاطلون تتزايد أعدادهم وتقل مهاراتهم ، وتزيد حاجاتهم الأساسية شحا ويصبح الرغيف غريبا عن الأسر الكادحة عند عامة الشعب الغليان .

فماذا تغير في العالم العربي، مازال الأمر الواقع يحترم فرضا ، وليس كل لابس عمة شيخ يؤخذ برأيه ، وليس كل جاهل من أبناء الذوات يساهم في بناء مجتمع الأحلام الذي تطمع إليه الشعوب، لقد كان تخصص كاتب هذه السطور إدارة التربية والتعليم وإدارة الفصول ، ودراسات السلوك البشري في علمي النفس والاجتماع قبل عقد من الزمان فقدم على وظيفة في العالم العربي، فقبل لتدريس اللغة العربية كما كان يفعل قبل دراسته العليا ، وحين حاول تغيير الوظيفة التي قبل بها ، وفتت الأنظمة الفاسدة أمامه ، فانسحب مرغما بعد أن أصبح الاتجاه العام للمسؤولين في تلك البلاد إلى حذف الدراسات العربية نهائيا من الدامعة وتحويلها إلى دراسات أخرى بالإنجليزية أو الفرنسية ، فعرض عليه أن يقوم بتدريس الإنجليزية وإن أجاد فيها إلا أنها ليست من تخصصاته العلمية فقد كان في الإدارة والبحث العلمي خبيرا ، ولم يتغير شيء في عقلية المسؤولين لأنهم يرتبطون ببعضهم البعض فهم أخوة أو أنساب يصاهرون بعضهم بعضا ، ويحملون تلك العقلية الجاهلة في إدارة شؤون البلاد وشؤون العباد .

أرجو من القاريء الكريم –إن وجد في بلاد العرب – إن كان ما خبرته قبل عقود مازال ساريا أم أن هناك تغير ولو طفيفا في سلوكيات البشر حاكمين متسلطين أم محكومين . هل قل عدد الخريجين في العلوم الإنسانية والدينية ؟ هل تغيرت أساليب التدريس التقليدية التي تركز الاستعباد والطاعة العمياء في متلقي العلم في المدارس الثانوية من بنين وبنات ، أم أن النظام التقليدي في التلقي والبصم (الحفظ) بدون تحقيق وتمحيص وبحث واستعباد عقول الطلاب مازال في المعاهد العليا والجامعات يشابه إلى حد كبير المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية ؟

المطلوب تغيير العقول وطرق التفكير في التعامل المشترك بين الناس مهما كانت اختلافاتهم المظهرية أو العقيدية أو الوطنية ، ومن خلا خبرة الكاتب الشخصية فإن المواطنين يعفون من الماء والكهرباء في العديد من الدول بينما تدفع العمالة الأجنبية (خاصة العربية) أضعاف الأسعار لتغطي الخدمات المجانية التي يتمتع بها المواطنون رغم قلة أعدادهم ، وهبوط مستوياتهم العلمية والمهارية ، حيث تترك الحكومات الحبل على الغارب لأصحاب الأملاك لمضاعفة الأجرة حتى في عمارات آيلة للسقوط عاش فيها المغترب عن بلده عشرات السنين

فدفع ثمن العمارة وحده دون شعور بالعاطفة نحوه ، أو تخفيف مآسيه في الصرف على أبنائه أو التهاون معه في أمر البقاء بعد التقاعد ، والمحظوظ من وجد كفيلا من المواطنين يقبل بثمن يدفعه المغترب (الأجنبي العربي) من أموال هو في أمس الحاجة لها لتمويل تعليم أولاده

المطلوب الرحمة والرأفة ليس التساهل في القوانين ، لأن القوانين نظريا تخدم المواطن والوافد معا ، ولكن عند تطبيقها كما في إسرائيل العدو اللدود للعرب وخاصة الفلسطينيين منهم تطبق القانون بنوعين العادل مع اليهود الإسرائيليين ، والظالم الذي يقتص من الفلسطينيين فيسلب أرضهم ويشرد أسرهم فيقوم بتفريق الوالد عن أولاده والزوج عن زوجته ، وهذا ما تقوم به الحكومات العربية عند تطبيق القوانين على مواطنيها بشكل مختلف عن تطبيق نفس القوانين على الوافدين ، مخترقين حاجز الاحترام والتقدير الذي يستحقه الوافد الذي أفنى زهرة عمره في خدمة البلد ، فممنح أسبوعا واحدا لمغادرته ، فهل تغير شيء من ذلك فنرى شيئا من الضوء في نهاية نفق المستقبل ؟ لا أعتقد ذلك . ولا أتوقع أن يحصل ذلك خاصة في الدول التي عرفت بالغنى والثروة ، فليس الفقير كالغني وليس صاحب السلطات كمن يخدم هذه السلطات ، والعدالة مازالت عمياء في طرق مظلمة لا ترى النور إلا في جيوب الفاسدين وأسرهم وعائلاتهم . فهم أحق بسرقة ثروات الشعوب والتمتع بصرفها في شراء النوادي والخيول والنياق والتحف التي تبقى في الكهوف ولا تساهم في رفاهية الشعوب بل تساهم في سلب ثرواته ، ولعل قانون: من أين لك هذا؟ الذي حاولت بعض الدول تقديمه لمعرفة الفاسدين ، قام الفاسدون بطمس ملامحه وتعطيل تطبيقه بل وزادت عليه ، حتى بلغ السيل الزبي ، وتعتبر أصحاب السلطة فهم في غفلة مما لا يتوقعون .

العرب ، أه العرب، عرب يا رسول الله ، ينبحون فلا يجندون ، وتهتك أعراضهم وحقوقهم فلا تقدم لهم يد المساندة في مطالبهم ، وتسلب كرامتهم فلا يتطوع أحد لاستعادتها ومساعدة فاقد الكرامة على استردادها . عرب يا رسول الله عرب لا يفكر أحدهم بجاره ، ولا يهتم أحد بأحد والكل يجري نحو لقمة العيش ولو كان الثمن الوحيد لتلك اللقمة هي الذل والمهانة .

عرب يا رسول الله عرب! معظمهم جاهلون وأكثرهم لا يقرأون ، ومن في يدهم الثروات والسلطات لا يقدرون ، فهم في غيهم يعمهون ، عرب يا رسول الله ما زالوا بالمتزلفين لهم راعون ، يهدوهم الجوائز وبهم يحتفلون ، ويقىمون للقرآن نشاطات حتى مل القرآن من أساليبيهم الرخيصة في استعباد البشر من مواطنيهم والوافدين إلى بلادهم . فالقرآن لا يريد مسابقات بينما الشعوب تسعلا لكرامتها ، فالقرآن له حرمة ، فاتقوا الله فيما تفعلون ، فالوسيلة مريضة في استعمال المقدس لاستخدام المندس في الحياة ، تدفعو جزءا صغيرا لخدمة الدين والسنة ، وتدفعون أضعاف ذلك في استعباد الناس وسلب كرامتهم ، عرب يا رسول الله عرب ما زلت تاكلون لحوم بعض ، في الحاضر والغائب ، تتزلفون لأصحاب الثروات كأنهم آلهة يملكون مصائركم ، عرب يا رسول الله عرب ...

لقد أصبحت العروبة لغة وتاريخا وتطبيقا من الأمور الغريبة ، حتى زاد اغترابها بين أبنائها وصدق الشاعر حين وصف الفتى العربي بالشعور بالغربة في بلاد العرب ، بقوله :

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

فهل تغير هذا بعد غياب طويل عن العالم العربي؟ لا أعتقد أنه تغير تغييرا جذريا فالتراث السليبي الذي يجب أن يتحرر لقبول الإنسان للإنسان ، واحترام الأخ لأخيه ، هذا التراث يزداد

عنجهية وعنصرية تفوق ما كان في جنوب أفريقيا والأراضي المحتلة في فلسطين وأفغانستان والعراق وغيرها من الأوطان . عرب يا رسول الله عرب ... ثمن الناقة وصل إلى الملايين ، وثمان الإنسان العربي انحط إلى الملايم عرب يا رسول الله ... عرب . عرب يا رسول الله عرب . حسبي الله ونعم الوكيل . حسبنا الله ونعم الوكيل . حتى دعوات العرب إلى الله لم يعد الله يستجيب لها ، فلم يتوقع (رب العباد) أن ينزل أصحاب الشرف إلى الحضيض بين الأمم ، وإلى الاعتماد على سياساته في التعاون والاستغلال عن طريق البنوك التي تستعبد الحكومات ، وتذهب المساعدات لتصرف في غير موضعها وترزح الحكومات تحت نير الربا والفائض الذي ليس من العقيدة في شيء وأن تبسط العصبية وقلة احترام الآخرين والظلم والساد إلى أدنى مستوياتها العالمية في البلاد العربية ، وربما هذا ليس من صفات الخالق ، ولكنه قريب وم الواقع المرئي في بلاد العرب وشعوبه شرقا وغربا .

عرب يا رسول الله عرب ! أي مسيحيون وغير مسيحيين مسلمون وغير مسلمين ، يهود وغير يهود ، مواطنين ووافدين كلهم سواسية أمام خالقهم رب العباد ، فمتى استعبدتم الناس وقد خلقوا متساوين ؟ فلم تقولون ما لا تفعلون ؟ عرب يا رسول الله عرب! (2136 كلمة)

*** يرجى التكرم بعد قراءة هذه المقامة إذا وافقت هوى في نفوسكم أن تخبروا أصدقاءكم لتعم الفائدة من المعلومات فيها، وشكرا لكم.

***** Note for readers: If you liked this, please let other people know about it. You may contact the writer using [this site](#). Thank you!**

زاوية "عين اليقين" لأبي دلامة



المستور بين السطور في بلاد العرب

**Corner - The Eye of Certainty [Abu Dulamah](#)
The Hidden Between the Lines
Arab Media in America, Past, Present and future.
الإعلام العربي في أمريكا وخارجها ماضيا وحاضرا ومستقبلا**

ابتكار العناوين قد يكون مدعاة للإبداع في شتى المواضيع وهذا واحد منها .

تقل البحوث التي تجري حول الإعلام في بلاد العرب وإن وجدت فإنها لا تغطي الظواهر ولا المظاهر التي يتصف بها الإعلام العربي سواء حول وضع الإعلام في الماضي ومقارنته بالحاضر ولا التوقعات للإعلام في المستقبل ، وفي هذا البحث كنت قد قمت بدراسة ثلاث صحف عربية تصدر في أمريكا (وهي صدى الوطن والمنندى والحدث) ، وتسعة صحف تصدر في العالم العربي (وهي جريدة القدس الصادرة في فلسطين وجريدة الشرق الأوسط السعودية ، والرأي الأردنية ، والخليج والبيان الصادرتين في الإمارات العربية، وجريدة الأهرام والأخبار الصادرتين في مصر ، وجلابديتي الرأي والفيص الصادرتين في الكويت) في فترات متباعدة منذ الستينات من القرن الماضي وحتى وقتنا الحاضر باستثناء صحيفة اليوم السابع حديثة الإصدار ، وإن كانت العينة تقصر قليلا عن العينة البحثية العلمية إلا أنها كانت عينة تفي لتحقيق هدف البحث حول الإعلام العربي ماضيا وحاضرا والتكهن بتوقعات مسار الإعلام العربي في المستقبل .

ورغم أن الإعلام العربي ما زال يتغنى بالوضع القائم في معظم بلاد العرب وخاصة الدول الملكية والتقليدية في الدول الغنية ، إلا أن هناك تغييرا في المحتوى والمستوى والأسلوب والتغطية السياسية .

منهج البحث::

كان منهج البحث المتبع في الدراسة هو منهج التحليل الاستقرائي والتموي : حيث تم تقسيم المحتوى إلى ثلاثة أقسام وهي من حيث الحجم ونوعية الكتابات أو المقالات أو التقارير . وساحة الإعلانات ، وعدد الصفحات .

تم اختيار العينة لتفي بهدف البحث ولكنها عينة أولية مختارة من الباحث نظرا لتواجدها بين يدي الباحث ، وسهولة الحصول عليها . وهي تضم تسعة صحف ثلاث منها يصدر في الولايات المتحدة وست صحف تصدر في البلاد العربية من الأردن وفلسطين والسعودية والإمارات العربية والكويت ومصر .

بالنسبة للقياسات والتحليل الإحصائي تم اتباع المقاييس المترية لاستخراج النسب والكميات والترتيب في الدراسة .

كان السؤال الرئيسي في البحث : ما مدى التغيير الحاصل في الإعلام العربي من حيث الموضوع والمحتوى والحجم . وحتى نجيب على السؤال استخدمنا العينة في تواريخ متباينة لإمكانية المقارنة بين الصحف ومحتواها حسب الأوقات ماضيا وحاضرا .

ومن بعض النتائج الأولية للبحث ما يلي:

حجم المقالات والتقارير : كانت نسبة المقالات والتقارير مثلا في الوطن والمندى الوسيط والحدث 64,83% و 52,78% و 40,7% بالتوالي.

حجم الإعلانات : كان حجم الإعلانات في الصحف الثلاث نفسها كما يلي: 35,17% في الوطن و 47,22% في المنتدى الوسيط ، و 59,3% في الحدث .

وأما بالنسبة للصحف الصادرة في العالم العربي ، فكانت نسبة المقالات والتقارير تتراوح بين 53,00% وبين 78,00% أما رقعة الإعلانات فكانت تتراوح بين 47,00 و 22,00% .

وهناك ثلاثة ملاحظات على الإعلام العربي من خلال الدراسة أولها: الذات العليا القابعة في قصور محاطة بالحراس ، وجيش من الخدم يدورون في فلك تلك الذات الذين يأتَمرون بأوامره وينتهون بما ينهى . وتلك صفة للإعلام العربي في بلاد العرب .

وثانيها: الثروة الضائعة على التسليح والتشليح والتسييح . وإقامة المعارض وهدم العقول قل أن يتم تغطيتها في صحف العالم العربي بينما تجد لها متسعا في صحف العرب في الولايات المتحدة ، ولعل هامش الحرية من حيث الحجم هو السبب في ذلك .

أما ثالثها مما هو محظور على الإعلام العربي هو الحقيقة أو الحقائق التي تمس ثروات الشعوب وما ينقصها لباسا وطعاما وعقلا، والعقل هنا أقصد به التعليم والتربية اللتين ما زالتا ترتعان في الطرق والمناهج التقليدية التي تجعل المتعلمين عبيدا لأبناء الأغنياء وأبناء الحظوة المتمتعين بالركوع والسجود لغير الله من أولي الأمر . وهذه صفة ما زالت الصحف تتجمل بها في الدول العربية ، بينما تتصف الصحف العربية الصادرة في أمريكا بالمحاذير نفسها ولكن بطرق أكثر واقعية واحترام لقواعد البحث العلمي .

والملاحظة الرابعة : وضع المرأة والهدف من تعليمها . فما زالت هناك الآلاف من النساء من تصل إلى درجات متقدمة من العلم ، وما أن تتزوج حتى يطوبها الزوج تحت جناحه فيعطل جزءا هاما في بناء المجتمع . وقل أن تحتوي الصحف العربية قضايا المرأة في مجالات الحرية والمساواة ولا تحاول الخروج عن التراث وأسسه ، فالمحظورات قديما مازالت هي المحظورات حديثا حول حرية المرأة والقضية المساواة في الرواتب والمشاركة سياسيا أو اجتماعيا ، بينما تظهر مشاركة المرأة في الصحف الصادرة في الولايات المتحدة ولكنها ما زالت توصف بالمقالات الحجة حول المرأة التي تطرق مواضيع الحرية والمساواة من بعيد .

وبناء على ما سبق أقدم الملاحظات التالية حول الإعلام العربي من خلال ما وجدته في العينة تحت الدراسة وتكاد كل الصحف العربية تتقارب في منهجها ومحتواتها وحتى إعلاناتها ، إلا أن الصحف الصادرة في الولايات المتحدة نظرا لصغر حجم قرائها تكون الإعلانات تجارية حول النواحي الصحية والخدمات الاجتماعية ، للمحامين والأطباء والمستشفيات والمحلات التجارية وأسواق المجوهرات والذهب والفضة .

ازدياد رقعة وأحجام الصور في الصحافة العربية وقنوات التلفاز . وقد كانت في الماضي حكرا على الصفحة الأولى الخاصة بصور الراعي الكبير ونشاط أزواجه وأفراد أسرته ، وصور زبانيته ممن هم في حكومته . أما اليوم فالإعلام العربي يتمتع بنقل الأخبار والتوافه عن المطربين والممثلين والغانيات وجرائم الشرف والجنس ، كما أن الرياضة أخذت حيزا لا بأس به ، والحمد لله يعرف الشباب العربي عن مادونا وفرق مانثستر أكثر مما يعرفوه عن التاريخ العربي والمبدعين العرب وعلماء العرب .

ازدياد حيز الإعلانات للوفيات وصور التخرج والإعلانات الأجنبية التي تسرق بضاعتها في الأسواق العربية .

زيادة الاهتمام بنفاهات النساء من مظاهر جسدية كمساحيق الجمال أو القبح ، وكريمات الشعر والجلد في الملمس ، ونماذج اللباس وإن اختفى تحت العباءات ، فالمهم هو تنمية الانحراف وزيادة الهوة بين الفتاة المستقيمة والفتيات المقلدات مما يؤثر تأثيرا سلبيا على تقدير الذات البشرية بين الرجال والنساء . وكنت في أحد مقالتي قد دعوت النساء في كل مكان إلى قص شعورهن حتى يعطرن آلاف الشركات التي تهتم بتجميلهن وتحسين مظهرهن وألوان شعورهن .

الإعلام العربي يهتم بالأخبار مهما كانت ، والمهم أن لا تكون الأخبار عن المحليات السلبية في المجتمع التي يصدر الإعلام فيه . بمعنى أن أخبار الحكومات الأخرى والشعوب الأخرى هي المقصودة لذر الرماد في العيون وإلهاء الشعوب شبابا وشبابا في أمور ليس لهم فيها ناقة ولا جمل . بالإضافة إلى قلة التحليلات المنطقية والإرشادية خلا الناحية الصحية لمن هم أعلى قليلا من الطبقة الوسطى وما فوقها . وقلما أن يكون الإعلام موضوعيا في نقل الأحداث المحلية ، فالمعرض تؤله الدولة ورجالها ، والنشاطات الرياضية والفروسية تكون للطبقة الحاكمة ، ويخدم الـ 'لام العربي جيدا تلك النشاطات وتوزيع كؤوسها على أصحاب العزة والمناصب .

وبالنسبة لإسرائيل في الإعلام العربي ، فقد قلت كلمة إسرائيل بأنها عدوة للشعوب وعنصرية في التطبيق ، فإذا ذكرت تذكر في مجال مفاوضات السلام الذي يضيء عليها صفة الدولة التي تشارك في عملية سلام بعد سرقة الأرض وامتصاص ثرواتها وبناء المستوطنات عليها . وبدأ الإعلام يتعاطف مع منطلق إسرائيل في البقاء رغم أن الإعلام لا يتعاطف مع الفقراء والجهل ومناهج التعليم التقليدية التي تخلو من الدراسات النقدية والإبداعية ، حيث إن معظم نتاج الطلبة في معظم الجامعات التي تصرف على إدارتها البلايين حول التاريخ لنفس البلد أو العلوم الاجتماعية أو الشخصيات الدينية والشريعة ومعظمها نقلًا عن الكتب الصفراء دون تمحيص ودون بحث نقدي ، ولعل محاولة طه حسين في العشرينات من القرن الماضي تعد مثلا على مقاومة الانفتاح على الدراسات النقدية ، حيث هوجم وأجلم من التقليديين في تفكيرهم وممن لا يريدون للمنطق مساحة في التفكير العربي .

خلو المعلومات المنشورة من الثبات ، فقد كثرت الإشاعات التي يتناولها الإعلام العربي، وقلة الاستبانات ومشاريع المسح الاجتماعي التي تعتمد على منطق البحوث العلمية . ولعل ما سبق ينطبق على الإعلام العربي في الولايات المتحدة ، وعن تجاربي في هذا المجال ، معظم جهود الإعلاميين في الصحافة هي جهود فردية أو عائلية أو دينية تعتمد على زكاة البعض وتبرعاتهم دون تدخل أو عون من المؤسسات النفعية ، لذا فقد كانت الصبغة التي تصبغ الاعلام العربي في أمريكا بالسطحية والعاطفية والإثارة لكوامن الكره وعدم المحاوره مع الآخر ، حيث يمكن وصف الصحافة في أمريكا بأنها محجبة وخاصة بمن يقوم بنشرها والصراف عليها ، وقل أن ترى فيها منطفا يتناسب مع العقل وتقدم المناهج التحليلية مما يفيد العرب المهاجرين أو يزيد من أثرهم وتأثيرهم في السياسة الأمريكية . فالأمن لإسرائيل والحديث عن مفاصد بيع السلاح وتكديسه ، وعوائد نطف العرب خطوط حمراء سواء في الإعلام العربي داخل أو خارج الولايات المتحدة ، أما من يشتهر من الإعلاميين العرب وحتى علماءهم فهم يشتهرون بولائهم لجهات رسمية حكومية في بلاد العرب ، وأعرف شخصيا عشرات الأساتذة والعلماء ممن يعملون في الجامعات الأمريكية ولهم اتصالات بالإعلام الأمريكي وشهرة بأن وظائفهم في تلك الجامعات ورواتبهم مدفوعة من دول نفطية لها منح وكراسي مقابل تبرعاتهم لتلك الجامعات ، وتاريخ القادة العرب طويل في هذا المجال ، وقبل أن يتسلم كلينتون الرئاسة في الولايات المتحدة كان قد تلقى منحة تزيد على العشرين مليوناً من دولة نفطية ، وظفت عدد كبيراً ممن يدورون في فلك التقليديّة الجاهلة من الأقليات لاعرفيّة والدينيّة .

والحديث عن الإعلام مستقبلاً فإنه لن يتغير كثيراً ، طالما أن أموال الأغنياء من الجهلاء يملكون صحفاً غير مطهرة ويملكون قنوات فضائية تشد البشر إلى الجهل والاعتقادات الخاطئة واللامنطقية وأقل ما توصف به بالتقليدية العمياء ، لتسكن الأم الفقراء وتعدّ البؤساء لجنة عرضها السماوات والأرض ، وهم لا يملكون شبراً من أرض في حياتهم أو دولاراً في حسابهم البنكي ، وتساعدهم على الصبر على المظالم وأعمال الفاسدين ممن حازوا ويحوزوا ثروات الشعوب ويملكون الأرض ويستعبدون العقول التي يتصف بها العباد. متناسين العدالة الإلهية في خلق العقل البشري ليكون منهاج تفكير وليس عاطفة فقط تؤدي إلى الفيور أسي ولوعة من مقارعة الحياة وفسادها وظلم حكامها ومالكي ثروتها .

وفي الختام نصل إلى القول إن الإعلام العربي موجود ولكنه في طور الطفولة ، أو قارب مرحلة المراهقة ، وهذا الحكم قد لا ينطبق على بعض الصحفيين العرب الذين هم على مستوى عالمي في الكتابة والتحليل وهم عدول في مقالاتهم ، وهذا يعني أن الصحافة العربية والإعلام العربي ما زال يعتمدان على الغير ، إذ ليس هناك من مميزات تجعلهما بالغين أو دلفاً في مرحلة البلوغ ، وستمر سنوات بل عقود قبل أن يصل الإعلام العربي تلك المرحلة المثالية التي يسعى إليها ويتطلع لها بعض الصحفيين العرب الأحرار والعقلاء خاصة الفقراء منهم . ولن تكون في أيامي القصيرة الباقية من عمري .

Music and Islam - I
Hasan A. Yahya, Ph.Ds

Some questions came to me about music in Islam. Whether it is Halal or haram, and how it is perceived by Islamic Sharia'h. Music stands on the same footing of poetry in Islam. The good of it is good and the bad of it is bad. There is however, a great a great difference in opinion among the principle jurists with regard to of legality or otherwise of music. According to the famous Islamic historian Tabari (Abu Tayyeb) holds it as unlawful along with Imam Malik of Medina, Imam Suhayl, Abu Hafsah, Sufian al-Thawri and Hammad Ujrud, They all took the mean view and maintained that it is Makruh, (abominable) bordering on illegality. While Abu Talib Makki, Imam al-Ghazali, and other modern jurists held it as lawful on the sayings and doings of some of the companions of the Prophet like Abdullah bin Ja'fer, Abdullah bin Jubair, Mughirah bin Shu'bah and Mu'awiyah bin Abi Sufian. The second group was followed by Ata'a ibn Junaid and Abu Hassan bin Salem. The right decision on the matter, however, regarding legality and illegality of music is that song is in itself lawful (Halal), but it becomes unlawful (Haram), abominable (Makruh) and laudable (mustahan) according to times, circumstances, places, motives and types of songs.

In Nature, we may find songs, some with voice and others without voice. Birds sing, rivers sing, children are lulled into sleep by songs, workers speed their work by singing, boatmen take courage in mid sea by songs, winds sing, and active men give impetus to their works by songs. So songs live in nature and has been created with nature. It can't be banished from nature. I believe s/he who has got no music within himself is a man or a woman of hard heart, and the remotest of them from Alla in the tradition is the one with hard heart.

For human beings, hearts are the treasure house of secrets. It can be opened by the key of songs. For them, hearts is a mine of jewels, hidden in it as fire is hidden under ashes, or as water is hidden underneath the ground earth. There is no way getting these hidden jewels but by creation of commotion in heart. It is only music that van effectively create commotion in heart just as the throw of a stone in a

lake, to make commotion in water. Songs can therefore rouse up feelings of joy, sorrow and courage, and thus they give impetus to our actions and prayers. Sweet melodious songs take out what is in heart and expose its virtues and vices. Songs make the virtuous more virtuous and the sinners more sinful, as they rouse up virtues from from a virtuous heart and sin from a sinful heart. Hence they act differently in different minds though they are by themselves not unlawful as the same rain-water produces sweetness in Mangoes and bitterness in aloes.(496 words) (www.dryahyatv.com)

Music and Islam- II

Hasan A. Yahya, Ph.Ds

Continuing the answer on music and Islam. Allah is beautiful and He loves beauty (Islamic Tradition). As Muslims to follow the attributions of Allah according to the instruction of the Holy Prophet; they should also love beauty in nature to realize the great beautiful creations in nature. Therefore, there is no harm in appreciating and realizing beauty in the various phenomena of nature with that great object in view. Beauty can be realized through sense organs, such as eye, ear, nose, hand, tongue, brain and heart. The fragrance of a flower can be appreciated by sight and smell. Similarly to hear by ear melodious songs and music is not also unlawful. Which means a sweet voice in a song.

Sweet voice is a precious thing and there was no Prophet without a sweet voice. Allah, according to Islam, likes sweet voice, and not to speak loudly to men. He says: Inna Ankara al-Aswati Lasawti al-Hamir, And lower your voice; verily the most detestable of voices is certainly the braying of the asses (Q:31:19). And about Prophet David God said: We gave David excellence from Us (Q:34:10). This excellence has been explained to be melodious voice (Awwab). David could sing so well with his religious scripture “Zabur” that four hundred men, it is said, breathed their last every day in his assembly of music. The Holy Prophet said: Allah heard nothing(sweeter) than what he heard from the Prophet—his singing with the Qur’an (Q:37:59).

Sweet voice is of two kinds, rhythmical and no-rhythmical. Rhythmical sweet voice is more pleasing than the rhythmless sweet

voice. The former includes songs and poetries and the later general talks. The good of general talk and poetry is good and the bad of general talk and poetry is bad. Similarly, the good of music is good and the bad of music is bad. The same thing in the world has got good and bad effects. Take food for example, it is lawful or unlawful, it is lawful but the excessive quantity is unlawful. In Islam every thing is lawful, except pork, and wine as unlawful. Even a moderate quantity of food

Becomes unlawful for a person of sudden high blood pressure, or high inflammation of bowel-intestines. The same is the case with music, It has been stated in many resources that the good of songs in general is lawful. Hence, the good songs are allowed, for a simple reason, the word “unlawful” cannot be used if there is no express provision in the Qur’an. (425 words) www.hasanyahya.com

من الأشعار بالعربية - من كتاب ديوان بحر الأمانى

قصيدة تفتخرون
لغريب الديار

تفتخر الناس بعرضها وشرفها
وفخركم ليس به عرض ولا شرفا
أنتم كلاب الشعب أذنا بكم معوجة
كأخلاقكم فيها اعوجاج وكفى
بل أنتم حمير الشعوب أصبحتم
لما لكم من صبر الأذى والمصطفى
يا كلاب الشعب أنا في موقعي
محتاج وأنتم تعملون في المال صيرفا
الله بيني وبينكم على المدى حكما
يوم الوقوف في الحج ومزدلفا
موتوا بغیظكم فأنا اليوم ما
زاد قربي منكم بل بعدت مسافا
فأنا أعيش بينكم غير عابيء
وفي النفس منكم كلها أسفا
مقعد أنا وأنتم تتسنمون الكراسي
وظلمكم يشعرنى بالقرفا
ألا ليت شعوبكم ترعوي
فكل منهم السم قد رشفا
وسار كل من فيهم
يبحث لنفسه فيحقق الهدفا
هل بشر أنتم أم ماذا؟
كرماء تقولون عن أنفسكم
فلا نرى إلا بخلا عرفا
آه .. أمة يعرب!
حكومات وشعوبا ... وأسفا

من الأشعار بالإنجليزية
Poetry Diwan in English من كتاب

Number 4 SING

Let us sing
Together a song
This song is for you
Sing with me for
Human beings
Walking, running
Setting or standing
Alone by themselves,
Or joining others,
In groups they gather,
Or like sun and moon
Separated

Sing the song for others
In their silence
Or shouting with loud voice
Or laughing, smiling
Or disparate, or angry
Looking towards you
Or not looking
Sing a song for people
They are humans like you
Have ONLY one head
Exactly like you

Sing the song
For human beings
Enemies they may be
Or very close friends
In the small village they live
or the crowded metropolis
boating or fishing in rivers
Or skiing on snowy mountains
Or wide meadows

Wearing heavily cloth
Or not any thing wearing
Sing with them
Sing for them
Sing among them
They are like you
On two feet walking
One mouth they are having
Their tears fall as yours
Your heart is similar to yours
You and them live
In no different world
They have a sky
Like yours
They step on earth
Like yours
They are in tears cry
Sing for them
A sweet song
They are humans
Exactly like you
Sing for all

Sing a song
For human beings
For black and white sing
For yellow and red sing
Sing for a Hindu
Or Arab Muslim sing
For a Jew sing
For Jesus the bill ring
Whither you know them
Or not knowing
Nothing you loose
You are winning
Sing for all
Of them in this world
Or in heaven
With one child
Or having seven
Sing a song
The love song

With others
And for other be even
Just sing your song
For them
With them
It's not shame to sing

Sing for people of all colors
All shapes and types
Short or tall
Fat or not at all
Poor or rich they are
Near your place
Or long distance far
Disable, able
Sing for the deaf,
For the blind, and the mentally able
Sing for the happy they look
Or for those living
in a sharp miserable
sing a song for them
sing with them
They are humans
Like yourself

Sing a song
A sweet song
It's nothing wrong
To sing a song
A song with lovely words
With music sounds
Sing for the man
Sing for her, the woman
Sing for the mother
With the baby shine
Sing for the Father,
Sing for the girl,
Sing for the son,
Sing with them your song
Sing for the children
Sing for the old

Sing for the young
Sing for all
Anywhere, on earth
Or living in the sky
They are like you
With blood red
And tears they shed
It's nothing wrong
Sing human
Sing
For human like you
Smarter, or not, than you
Sing for all
It's not shame to sing
With people
Have yesterday, today
And have tomorrow
Like you
They all have Friday
Saturday and Sunday
No one human
Owns more
Than you,
Two eyes to see
Two ears to hear
One mouth to eat
One nose to bear
Sing for the horse
Sing for the cat
Sing for the dog
Sing for rabbit
Sing for all animals
On earth
Or under the sea
Dolphins and wails
May be they were humans
like you
Who knows history habits
It's not shame to sing for them
It's not a shame to sing
With them
They were humans

Like yourself
They may be were

Sing for the north
Sing for the east
Sing for the south
Sing for the west
Sing for them going up
Sing for them going down
Sing for them flying
Sing for water drawn
Sing for them playing
It's not a shame
To sing a beautiful song
The song of sorrow
Or the song of fame

Sing for the Winter
Sing for Autumn
Sing for Spring
As well as the Summer
Sing for the trees
Sing for the lake
Sing for the river
You won't lose a thing
You are human being

Sing for them in houses
In the farms
In the schools
In universities
Or in any workplace
Sing for nurses
Engineers, for teachers
For medical doctors
Sing for philosophers
On their right
On their left
On their backs
On their sides
Standing straight
Laying down

With one hand
Or no noun
Sing, sing,
It's not a shame
Sing a song for them
They are human like you
All of them Have one head
Also like you

Sing for them watching TV,
Or using the computer CV
Or running a film on DVD
Setting in a café
Or riding bus o taxi
In the train
Or above in a plane
On the sidewalk living
Or under the bridge with pain
Sing for the rich a song
The poor also, it's not wrong
Sing for them all
Humans are like you
No matter who they are
They are humans like you
Be happy and let them
Be happy like you
Sing for them
Sing with them
It's not a shame to sing

Sing to those on top
Sing to those in bottom
Sing for the middle person
They all humans like you
It's not a shame
Shame on you
If you do not sing
Sing for them
With them
They are humans
Like you
Don't Damn You!

Not sharing the song
Of humanity strong
Sing with them for them
The song of humanity
My song

Sing for them in elevators
In buildings
In the long streets
And shelters
In the short roads
Or on horses
Sing for all
They are humans
Above the earth they live
Or under it sleeping tall
In the golf field
Or football Game
Baseball playing
Or basketball
Or even swimming
Sane or insane
They deserve a song
From heart to heart
Rom human to human
With one head like you

They are human like you
Sing for them
Sing with them
Sharing is never shame
They are human
Like you human, the same

سيرة حياة ومؤلفات الدكتور يحيى

والموسوعة العربية الأمريكية

ودار الكاتب العربي للنشر في المهجر

ضمن مشروع معهد إحياء التراث العربي في المهجر

Arab American Encyclopedia-USA - Hasan Yahya

الدكتور حسن عبدالقادر يحيى

Dr. Hasan A. Yahya Biographical Sketch

HASAN YAHYA was born at a small village called Majdal-YaFa (Majdal Sadiq) in Mandate Palestine (1944). He migrated as a refugee to Mes-ha, a village east of Kufr Qasim, west of Nablus (in the West Bank), then moved with his family to Zarka, 25 km north of Amman – Jordan. He finished the high school at Zarka Secondary School, 1963. He was appointed as a teacher in the same year. Studied Law first at Damascus University, then Lebanon University. He moved to Kuwait. Where he got married in 1967. He was working at Kuwait Television, taught at bilingual School, and Kuwait University. In 1982, Hasan left to the United States to continue his education at Michigan State University. He got the Master Degree in 1983, the Ph.D degree in 1988 in Education (Psychology of Administration). In 1991, He obtained his post degree in research, the result was a second Ph.D degree in Social Psychology. He was the only Arab student who enrolled ever to pursue two simultaneous Ph.D programs from Michigan State University .

Professor Yahya employment history began as a supervisor of a joint project to rehabilitate Youth (inmates out of prison) by Michigan State University and Intermediate School Districts. Worked also as a Teacher Assistant and lecturer in the same university. He was offered a position at Lansing Community College as well as Jackson Community College where he was assistant professor, then associate professor, then full professor (1991-2006). He taught Sociology, psychology, education, criminology and research methods. He supervised 19 Master and Ph.D candidates on various personal, economic psychological and social development topics. Professor Yahya published Hundreds of articles and research reports in local, regional, and international journals. His interest covers local, regional and global conflicts. He also authored, translated, edited and published over 200 books in several languages, in almost all fields especial education, sociology and psychology. He also, was a visiting professor at Eastern Michigan University to give Conflict Management courses. Prof. Yahya accepted an offer to join Zayed University Faculty Team in 1998, then he served as the Head of Education and Psychology Department at Ajman University of Science and Technology 2001-04.

Dr. Yahya established several institutes in Diaspora, the Arab American Encyclopedia, Ihyaa al Turath al Arabi Project, (Revival of Arab Heritage in Diaspora. Recently he was nominated for honorary committee member for the Union of Arab and Muslim Writers in America, and accepted to be a board member in

International Journal of Humanities Studies. He was affiliated with sociological associations and was a member of the Association of Muslim Social Scientists (AMSS) at USA. Social Activities and Community Participation: Dr. Yahya was a national figure on Diversity and Islamic Issues in the United States, with special attention to Race Relations and Psychology of Assimilation. He was invited as a public speaker to many TV shows and interviews in many countries. His philosophy includes enhancing knowledge to appreciate the others, and to compromise with others in order to live peacefully with others. This philosophy was the backgrounds of his theory, called “ Theory C. of Conflict Management”. And developed later to a Science of Cultural Normalization under the title: “Crescentology. The results of such theory will lead to world peace depends on a global Knowledge, Understanding, appreciation, and Compromising (KUAC)” (Revised Feb. 2013)

ولد الدكتور حسن عبدالقادر يحيى في مجدل يابا من أعمال يافا – فلسطين عام 1944. تلقى علومه الابتدائية في مدرسة بديا الأميرية في الضفة الغربية أيام احتوائها ضمن المملكة الأردنية الهاشمية وتخرج في جامعة بيروت حاملاً الإجازة في اللغة العربية وآدابها، ودبلوم التأهيل التربوي من كلية الفديس يوسف بلبنان، ودبلوم الدراسات العليا (الماجستير) ودكتوراة في الإدارة التربوية من جامعة ولاية ميشيغان بالولايات المتحدة عام 1988، وشهادة الدكتوراه في علم الاجتماع المقارن من الجامعة نفسها عام 1991. عمل في التدريس والصحافة الأدبية. أديب وشاعر وقاص، منصرف إلى الكتابة في علوم كثيرة تخص علمي النفس والاجتماع والتنمية البشرية، ألف ونشر العديد من المقالات (1000+) والكتب باللغتين العربية والإنجليزية (أكثر من 200 كتاباً)، منها ست مجموعات قصصية وست كتب للأطفال، وأربع دواوين شعرية باللغتين أيضاً. وعدد من كتب التراث في الشعر والأدب والأخلاق الإسلامية والتربية والأديان. وهو الآن أستاذ متقاعد في جامعة ولاية ميشيغان. وكان عضواً سابقاً في جمعية العلماء المسلمين في أمريكا. وهو مؤسس الموسوعة العربية الأمريكية في الولايات المتحدة ضمن مشروع إحياء التراث العربي في بلاد المهجرز كما تم ترشيحه مؤخرًا ليكون عضو مجلس التحرير لمجلة الدراسات الإنسانية العالمية.

Arab American Encyclopedia Publications

منشورات الموسوعة العربية الأمريكية

كتب الدكتور: د حسن يحيى - Dr. Hasan Yahya Books

كتب (بالعربية والإنجليزية)، قام بنشرها الدكتور حسن يحيى ضمن مشروع: إحياء التراث العربي في المهجر، بالتعاون مع الموسوعة العربية الأمريكية التي أسسها أيضاً لهذا الغرض ومعهد البحوث الإدارية ومطابع شركة القدس والبركان وتلفزيون الدكتور يحيى في الولايات المتحدة.

The Arab American Encyclopedia (Hasan Yahya) Publications:

In English:

1. Hammurabi Codes of Law
2. *The Dangers of the GMS and Conflict Management: Research Paper, Slideshow & Presentation*
3. [Moon Flowers](#): Poems, Tales & Politics
4. [Poetry Diwan](#): Love, Fears & Hopes

5. [Crescentology: A Theory Of Conflict Management And Cultural Normalization](#)
6. Crescentologism: [The Moon Theory](#)
7. [Brief Arab & Muslim Ethics](#): For Non-Arabic Speakers
8. [The Beast In Me America](#): Arabic Tales, Stories, & Poetry
9. [Personality & Stress Management](#): A New Theory
10. [Arab Palestinian & Jews](#): Sociological Approach
11. [Legal Adultery: Sexuality](#) & World Cultures
12. [Crescentologism](#): The Moon Theory
13. [Islam: Finds Its Way](#)
14. [30 Tales From Faraway Land](#): Middle Eastern
15. [Brief Islamic History](#) (bilingual)
16. [Jesus Christ Speaks Arabic](#)
17. [Fan Adabi Jadid](#) (bilingual)
18. [Protocols of Zion](#): Trilingual : Spnaish, English & Arabic
19. Prophets Saga: from Adam to Muhammad
20. [Al-Akhlaq al-Islamiyyah](#) (Bilingual)
21. [Quotes: Love & Humor](#) (Bilingual)
22. [Jesus is Different](#) the Prophets History
23. [50 Short Stories](#) (55 words)-Bilingual
24. [The Intruder](#): Bilingual
25. [Alisha and Other Stories.](#)
26. [70 Very Short Stories](#) (English)
27. [Short Stories from World Literature \(Bilingual\)](#)
28. [65 stories for Children](#) 3-12 , (English)
29. [Occupation](#) and Other Stories from World Literature –English
30. [85 Fables & Tales for Children](#) 3 to 12 (English)
31. [Naji al-Ali Art Show](#). A Palestinian Artist *Ann Mary Thatcher*
32. [Princess Imagination](#): A New Design Novel (English)
33. [Al-Hariri Assemblies](#) (Maqamat al-Hariri (English)
34. [Water, Population and Conflict](#) in the Middle East.
35. [Princess Diana Still Alive](#), *A New Novel Design.*
36. *Nietzsche On Christianity*
37. *Bertrand Russell: Roads to Freedom*
38. *Ernest hemingwaysuicide Story*
39. *Brief Management: Theories & Applications.*
40. *I Have the Right to be Angry*
41. *FBI Madness Storm , One Act Play*
42. *Nadia: An Innocent Girl from Cairo, Short Story*
43. *Brain and Mind Psychology*
44. *Banning Islam: Petition of Ignorance*
45. *The Wiseman Spirit Still Dancing:Short Story*

46. *The Oldman and the Mower, Short Story*
47. *Al Imam al Bukhari Research Methods*
48. *Secularism: A Response to Sh. Yusuf al Qaradawi*
49. *Family, Leadership & Problem Solving Games*
50. *Knowledge & Globalization*
51. *Islam & Muslims in America: Sociological Analysis*
52. *The Science of Socio-Therapy*
53. *Defending Islam, Banning Islam*
54. *Defeating PTSD Epidemics*
55. *New Theory of the Universe: A Macro Philosophical Approach*
56. *The Concept of Crescentology in Sociology*
57. *The Old Man & the Mower, short Story*
58. *Huda Sha'rawi, An Egyptian Legendary Girl*
59. *Joan of Arc: The French Legendary Girl*
60. *Rosa Park: African American Legend*
61. *Sayf bin Thi Yazan*
62. *Ibn Khaldun in Modern Times*
63. *Research Practice: Doing Research for Beginners & Professionals*
64. *Great Arab and Muslim Thinkers*
65. *Ibn al Farid :The Ode Wine (bilingual)*
66. *Arabs & Columbus: Exploratory Study*
67. *Blasphemy in History*
68. *Khalil Gibran*
69. *Crusades, Terrorism and Islamophobia*
70. *Che Guevara: Irish-Legend*
71. *Great Seven Modern Arab Writers*
72. *Rasa'l Ikhwan al Safa: Omar Farrukh*
73. [التعاليم الأخلاقية العربية والإسلامية – باللغتين](#)
74. [ثمان وعشرون قصة قصيرة بالعربية](#)
75. [خمس وخمسون قصة قصيرة للأطفال](#)
76. [مناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية](#)
77. [أضواء على الفكر الغربي](#)
78. [علم الاجتماع التطبيقي](#)
79. [نظرية سي القمرية والطبيعة البشرية](#)
80. [مقالات في التنمية الاجتماعية](#)
81. [ديوان بحر الأمانى – شعر](#)
82. [ديوان القدر – شعر](#)
83. [ديوان لولوك – شعر](#)
84. [ديوان : كبرى عقلك : أغاني للكبار](#)
85. [زوجة السلطان -مجموعة قصصية](#)
86. [زوجات للبيع – قصص ومقالات](#)
87. [أفضل القصص :ثلاثون قصة عربية قصيرة](#)

88. [سبعون قصة عربية قصيرة جدا بالعربية](#)
89. [عربي في أمريكا – مجموعة قصصية](#)
90. [قصة الغزال الطائر : قصة قصيرة](#)
91. [الدليل القاطع: قصة بوليسية قصيرة](#)
92. [دهاء امرأة: قصة بوليسية بالعربية](#)
93. [كيد الرجال : رواية قصيرة بالعربية](#)
94. [لعنة الذكاء : رواية قصيرة بالعربية](#)
95. [مادلين أوهارا : قصة قصيرة بالعربية](#)
96. [الجريمة الكاملة : قصة قصيرة بالعربية](#)
97. [ثمن الثروة : قصة قصيرة بالعربية](#)
98. [أغاني رياض الأطفال – للأطفال](#)
99. [الطفلة المثالية – كتاب أطفال](#)
100. [حكايات وأغاني للأطفال 20/20](#)
101. [سلسلة بلادي العربية – أصل الحضارة \(للأطفال\)](#)
102. [معروف الإسكافي وقصص أخرى من ألف ليلة وليلة](#)
103. [قصص أطفال: أبو صير وأبو قير](#)
104. [قصص أطفال: عبدالله البري وعبدالله البحري](#)
105. [قصص أطفال: الحصان السحري](#)
106. [ألفين بيت من الشعر العربي](#)
107. [مضاربات الشعر العربي والمعلقات – أكثر من 3000 بيت](#)
108. [أشعار الشباب العربي: قصائد من العالم العربي](#)
109. [من عيون الشعر الأندلسي: أشعار عربية](#)
110. [ابن زيدون: شاعر الأندلس](#)
111. [شعر الوصف في بلاد الأندلس](#)
112. [كتاب في علم النفس: الوعي واللاوعي والسعادة](#)
113. [قياسات الذكاء بالعربية](#)
114. [حالات علاجية لغير القادرين](#)
115. [مقالات في علم النفس](#)
116. [عشر قصص عربية](#)
117. [العربية فن : لغير الناطقين بالعربية .](#)
118. [محمد \(ص\) رسول البشرية](#)
119. [التعاليم الأخلاقية العربية والإسلامية – باللغتين](#)
120. [الإسلام ومصالح البشر](#)
121. [موجز التاريخ الإسلامي](#)
122. [اللهم فاشهد – مقالات](#)
123. [أسس الإدارة ونظرياتها](#)
124. [نظرية المؤامرة والعالم العربي](#)
125. [مهارات المعلم وإدارة الفصل – جزء أول](#)
126. [مهارات المعلم وإدارة الفصل – جزء ثان](#)
127. [الأسرة العربية في مهب الريح](#)
128. [قصص إجتماعية : حكايات من أمريكا](#)
129. [فن أدبي جديد : قصص قصيرة جدا : 55 كلمة فقط – باللغتين](#)

130.	<u>مسرحية : الدخيل</u> ، بالعربية مترجمة عن الإنجليزية
131.	<u>مسرحية الدخيل</u> ، <u>بالصينية</u> مترجمة عن الإنجليزية
132.	مسرحية الدخيل بالإسبانية ، مترجمة عن الإنجليزية
133.	مسرحيات وقصص / الشرط الثالث
134.	مسرحية : الثورة نحن وأنا . بالعربية
135.	مسرحية البانصيب: مترجمة لتشيكوف
136.	فارس الشهباء: عنتره بن شداد العبيسي
137.	قنديل أم هاشم: رواية ليحيى حقي
138.	موجز رسائل إخوان الصفا
139.	رسائل إخوان الصفا الرياضية التعليمية - 14
140.	رسائل إخوان الصفا النفسانية العقلية -10
141.	<u>قصص عربية قصيرة</u> من الأدب العربي المعاصر .
142.	<u>الإحتلال وقصص أخرى</u> – مترجمة من الأدب العالمي
143.	قصة <u>التوابع والزوابع</u> لابن شهيد الأندلسي
144.	<u>حي بن يقظان</u> لابن طفيل
145.	<u>رسالة الغفران</u> لأبي العلاء المعري
146.	كتاب <u>كليلة ودمنة</u> لابن المقفع
147.	<u>مقامات بدیع الزمان</u> الهمذاني الخمسين بالعربية
148.	<u>مقامات الحريري</u> الخمسين بالعربية
149.	مقامات الزمخشري (47 مقامة)
150.	<u>قصص قصيرة من الأدب العربي</u> المعاصر بالعربية
151.	<u>الإحتلال وقصص أخرى</u> – مترجمة من الأدب العالمي
152.	<u>طبائع الاستبداد</u> للشيخ عبدالرحمن لكوأبي
153.	<u>باب الإيمان في الصحيحين</u> البخاري ومسلم
154.	<u>تفسير الجلالين : سورة البقرة</u>
155.	<u>كتاب الطهارة في صحيح مسلم.</u>
156.	<u>52 إثنان وخمسون مقالا لأنيس منصور/1</u>
157.	<u>خمسون مقالا لأنيس منصور/ 2</u>
158.	<u>مقالات لأنيس منصور/ 3 .</u>
159.	<u>تفسير سورة الكهف : شريف سيد قطب</u>
160.	<u>تفسير سورة الكهف : يوسف القرضاوي</u>
161.	صدام حسين : رواية أخرج منها يا ملعون
162.	زبيبة والملك: رواية لصدام حسين
163.	السأم الباريسي ترجمة أشغار بودلير لمحمد الإحسايني
164.	أرض البرتقال الحزين لغسان كنفاني
165.	الطوفان الأزرق : رواية من الخيال العلمي : أحمد عبدالسلام البقالي
166.	كتاب كفاحي : أدولف هتلر (باللغتين)
167.	شاعرات العرب : فدوى طوقان :شاعرة من فلسطين
168.	شاعرات العرب: نازك الملائكة : شاعرة من العراق
169.	شاعرات العرب : ولادة بنت المستكفي
170.	شاعرات العرب: رابعة العدوية
171.	شاعرات عربيات: بشرى البستاني

172.	شعراء العرب: أبو القاسم الشابي
173.	شعراء العرب: امرؤ القيس (الملك الضليل)
174.	شعراء العرب: بشار بن برد
175.	شعراء العرب: المتنبي
176.	شعراء العرب: أبو العلاء المعري
177.	شعراء العرب: نزار قباني
178.	رباعين الموشحات الأندلسية
179.	رباعيات الخيام بالعربية
180.	العشاق المجانين: مجنون ليلى
181.	العشاق المجانين: ليلى الأخيلىة
182.	العشاق المجانين: عروة وغراء
183.	صراع الماء والسكان في الشرق الأوسط والعالم
184.	نوادر أشعب وأبودلامة والطفيليين
185.	الكرماء والبخلاء
186.	القصيدة الخمرية لابن الفارض (بالغتين)
187.	شموع ودموع عن النظرات للمنفلوطي
188.	لسان العرب في مسارب الأدب (الإنشاء والرسائل)
189.	مروج الذهب في الحكمة والأدب عند العرب
190.	علامات الحب وعشاق الغرام
191.	سر من قرأ: للترويح عن النفس
192.	الأغاني للأصفهاني- الجزء الأول
193.	الأغاني للأصفهاني – الجزء الثاني
194.	الأغاني للأصفهاني – الجزء الثالث
195.	محاسن لايسات البراقع من الرأس إلى القدم
196.	العبارات لمصطفى المنفلوطي
197.	بديع الكلام في مدح خير الأنام
198.	الفؤاد واللسان في الغزل وهوى الخلان
199.	لا تلمني فالحب أعمى (حول شعر الغزل)
200.	موجز البلاغة للشيخ الطاهر بن عاشور
201.	رواية الدفلى للأديبة العربية ماري رشو
202.	رواية هبة للأديبة العربية: هناء كرم سبابا
203.	رواية في مهيب الريح للأديب الأردني: تيسير دبابنة
204.	الهجرة السرية: قصص قصيرة بالعربية: محمد محمد اليقاش
205.	رحلات السندباد البحري في ألف ليلة وليلة
206.	العلامة المؤرخ الطبري
207.	صويحيات عمر بن أبي ربيعة
208.	اللؤلؤ والمرجان في حدائق الزمان
209.	حكاية معروف الإسكافي: الحكاية الأخير من 1001 ليلة
210.	عناصر النقد الأدبي
211.	سلسلة كتب ابن سينا عن القانون في الطب (سبعة كتب)
212.	1. مناهج البحث العلمي عند ابن سينا
213.	2. ابن سينا وعلم النفس

أجمل ما كتبت – د. حسن يحيى

3. القانون في الطب لابن سينا : موضوع العظام	.214
4. الأمراض وأسبابها لابن سينا	.215
5. تأثير ابن سينا في الغرب	.216
6. خصائص المنهج العلمي عند ابن سينا	.217
7. علاج الأوردة والشرابين عند ابن سينا	.218
هكذا ولدت مريم : رواية لهناء كرم سابا	.219
تحت عباءة أبي العلاء : مقالات لنجيب سرور من مصر	.220
العجوز والبيدر : قصص قصيرة لعبدالرحمن الأقرع من فلسطين	.221
غادة السمان: كوابيس بيروت : مقالات أدبية	.222

These 225 books can be found

[HERE](#) or [Here](#)

تجدون هذه الكتب [هنا](#) أو [هنا](#) وشكرا . والله يرعاكم .

[Arab American Encyclopedia-AAE](#)

أنا على يقين أنكم إذا زرت هذه المواقع ستجدون ما يسركم ويعجبكم من الكتب النافعة والمحبية إلى نفوس القراء والقارئات العرب في المهاجر، وشكرا جزيلا للمساهمين في هذا المشروع النبيل

ختام

"إنما تحيا الأمم بآدابها" كما قال أدياونا ومفكرونا ، وفي هذا الكتاب قدمنا بعض هذه الآداب والعلوم للتذكرة والموعظة والشعور بالفخر والكبرياء والكرامة ، فأدباء أي أمة وكتابها ومفكروها وفلاسفتها هم المنارة الثقافية التي تدل التائهين والباحثين عن درر الياقوت والعنبر نثرا وشعرا وما حوته من فنون الحياة الثقافية من موسيقى وتمثيل وجمال.



الذي نشر 78 كتابا في عام 2012 العالم العربي الأردني الفلسطيني الدكتور حسن يحيى

www.hasanyahya.com

معجزة : كاتب عربي فلسطيني أمريكي
يؤلف وينشر 78 كتابا في عام 2012

الكاتب المعجزة

عربي أردني من فلسطين

***A Miracle: Palestinian Arab Author
Publishes 78 books in 2012***

هذه بعض صفحات ومدونات الدكتور يحيى على الإنترنت:

www.arabamericanencyclopedia.com

www.hasanyahya.com

www.dryahyatv.com

www.askdryahya.com

www.albahaspace.com

www.yahyanewsagency.net

www.arabclubjournal.com

العنوان الدائم:

1029 Coolidge Road, Lansing 48912, Michigan, USA

Email: drhasanyahya@aol.com

OR

info@dryahyatv.com

